صِيَاغَةُ الإِنْسَانِ
بين
العِلْمِ وَالإِيمَانِ

دراسة تحليلية نقدية لكتاب الإنسان ذلك المجهول

الأستاذ
العطري بن عزوز

دار الوصال

صياغة الإنسان
بين
العلم والإيمان

دراسة تحليلية نقدية لكتاب

" الإنسان ذلك المجهول " للدكتور ألكسيس كاريل

الأستاذ

العطـري بن عــزوز

دار الأوطان

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

حي 300 **مسكن** (cite cneap)

سيدي موسى -الجزائر

الهاتف 077170227

عنوان الكتاب	**صياغة الإنسان بين العلم والإيمان**
اسم المؤلف	**العطري بن عزوز**
الطبعة	**الأولى 2012**
تصميم الغلاف	**العطري بن عزوز**

الإيداع القانوني : 1005 – 2012

ردمك : ISBN 978- 9947- 983- 30- 0

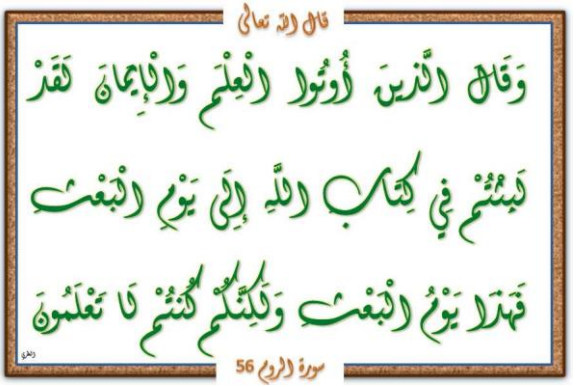

صدق الله العظيم

كلمة العلامة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

إن هذه الدراسات وخصوصا القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي ، ينبغي أن نعيرها اهتماما زائدا ، وأن نتوصل بها إلى إثبات الإيمان الحق .

وهناك علماء كبار أولوا هذا الموضوع ما يستحق من عناية ، وألفوا فيه كتبا قيمة ... وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) لـ (ألكسيس كاريل) من أعظم الجهود البشرية في ذلك المجال .

إنه وقفة من الإنسان المعاصر ، ليتأمل في نفسه على ضوء التقدم العلمي الساحر الذي بلغه ، وليضبط خطواته ، وهو يجتاز الحاضر إلى المستقبل ، مستفيدا من التجارب الحصيفة والمعارف الخصبة التي أتيحت له ، وناقدا الأخطاء التي تسربت إلى مسيرة علة امتداد الحياة من حيث يدري ، ولا يدري* .

محمد الغزالي

* الغزالي ، ركائز الإيمان ، دار الشروق ، القاهرة 2002 ، ط : 2 ، ص : 13

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين على نعمة العلم والدين ، وهو القائل في محكم التنزيل { ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ }[1] .

والصلاة والسلام على النبي الخاتم المؤيد بالدليل المنقول والدليل المعقول على صدق رسالته إلى العالمين من رب العالمين .

وبعد فإن الإسلام هو دين العلم والإيمان ، والعلم الصحيح طريق إلى الإيمان الصادق ، كما قال تعالى : {فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ }[2] فكلما ازداد تطور العلم ازداد الإنسان معرفة أكثر بخالقه ﷻ فما نسمعه ونراه من أخبار علمية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة وما تنشره التقارير العلمية حول أسرار هذا العالم تثبت كلها بجلاء ووضوح عظمة الخالق ودقة صنعه

(1) سورة العلق (1 - 5).

(2) سورة محمد (19).

، ولا ينكر وجوده إلا جاحد أو غائب عن وعيه أو مناقض لعقله ووجوده كما تثبت من جهة أخرى صدق رسالة النبي محمد ﷺ وأن القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا يدخله تحريف أو تزييف و صدق الله العظيم إذ يقول : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ }[1] .

والإسلام كما نعلم يحترم العقل ويدعو إلى النظر والتفكير ويحث على العلم والتعلم وينهى عن التقليد وينفر من إيمان المقلد ، هذا بخلاف ما شاع في تاريخ الكنيسة في العصور الوسطى بأن العقل ضد الوحي والعلم عدو الدين وأن الفكر خصم للإيمان فالمدنية السائدة الآن في العالم بلغت من التطور والتقدم ما لم تبلغه مدنية أخرى في جانبها المادي حتى غدت توصف " بالعالمية " وإن كان الغرب صانعها ،ولكن هذه المدنية أغفلت فطرة الله ﷻ في الإنسان والخصائص الذاتية له ولم تبال بمستقبل الإنسان ومصيره وأصبحت هذه المدنية خطرا عليه ويكاد ينطبق عليها قوله تعالى: { فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣ }[2]

فكان عيب هذه المدنية أنها استغنت عن الإيمان الصحيح و عن الله تعالى واعتبرت الاهتمام بالعلم هو كل ما في الأمر وظنت أنها بذلك تحقق السعادة للإنسان وتبني حضارة تسعد البشرية ، ولكنها نسيت أحد الأسس

(1) سورة الحجر (9) .
(2) سورة غافر (83) .

الهامة لبناء الحضارة وهو الإيمان ، فأصبحت دنيا بلا دين وعلماً بلا إيمان وجسدا بلا روح .

وهو الأمر الذي أقلق المخلصين من علماء الغرب وخشوا أن يجري عليها القانون الإلهي ويصيبها ما أصاب الحضارات السابقة . كما قال تعالى : { **وَلَقَد أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ** }[1] .

فمن هذا المنطلق أردت عرض هذه الدراسة في هذا الوقت الحرج حيث تعاني الإنسانية من ذلك الفراغ الكبير الذي أُحْدث بين العلم والدين لنخلص في النهاية إلى النتيجة الحتمية وهي لا خيار للبشرية من الرجوع إلى الحضارة الإسلامية التي وازنت بين العلم والإيمان باعتبارها رسالة ربانية إنسانية أخلاقية تتميز بالتوازن والتكامل .

وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوي [2] : (إننا لا نريد أن نهدم الحضارة المعاصرة لأنها ستنهدم على رؤوس الجميع وإنما نريد أن نحميها من نفسها ، وأن نقدم لها طوق النجاة من غرق يهددها ويهدد البشرية جمعاء)

۞ أسباب اختيار الموضوع :

1 -في اعتقادي أن قيمة البحث تقاس بمدى فائدته المعرفية والعملية وبقدر ما يعالج مشاكل المجتمعات الآنية أو المستقبلية ويطرح نظرية أو فكرة تحد أو تقضي على المشكلة أو تكون سببا في وضع حلول مناسبة تنهض بالمجتمع

(1) سورة يونس (13) .
(2) يوسف القرضاوي ، الإسلام ..حضارة الغد ، ص : 07

وتوقض الأمة الإسلامية من سباتها أو تعطي صورة واضحة عن الإسلام بعيدا عن التطرف أو الغموض الذي هو سائد الآن في وسائل الإعلام الغربية ، ولا فائدة من بحث لا يستفيد منه مجتمع أو لا يحل مشكلة ، فإيمانا مني بهذه الرؤية اخترت هذا الموضوع لعلي أساهم في حل مشكلة أو أضع بذرة صالحة تنتج الآن أو بعد حين .

2 -للأضواء التي سلطها ألكسي كاريل في كتابه " الإنسان ذلك المجهول " على موضوع الحياة الانسانية اثر فعال في كشف كثير من الأسرار، والخبايا التي نحملها بين جنبينا و لا ندري كنه وجودنا ، فعلمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الانسان متأخر جدا عن علمنا بالماديات و هذا التأخر هو الذي جنى علينا ، بالرغم من أن العلوم الإنسانية أقدم بكثير جداً من تاريخ البحث في العلوم المادية. فإننا لم نحرز أي نجاح يذكر في هذا المجال، إن كلاً من الملحد والمتدين يتفقان على تحليل قطعة الصوديوم كلورايد (الملح ولكن شتان بين رأييهما حول الذات الإنسانية ، فالحضارة الصناعية والتكنولوجية الآن هي أضعف مما كانت من قبل ، إذ لم تحقق للإنسان السعادة التي يبحث عنها .

3 -الحالة المزرية التي تعيشها الأمة الإسلامية والخطر المُحدِقْ بها والتحدي القادم الذي تُنبئ به المؤشرات والدراسات المستقبلية ، كل هذا شجعني على أن أقدم على دراسة موضوع صياغة الإنسان بين العلم والإيمان مستفيدا من الأفكار العلمية التي طرحها كاريل في كتابه .

۞ أهداف الموضوع :

نلخصها في هذه النقاط :

1 -الحديث عن صياغة الإنسان هو الحديث عن صياغة العقليات والذهنيات ، التي دخلها كثير من التحريف والزيغ والانحراف عن المنهج الصحيح الذي رسمه القرآن للإنسان في فهم الأشياء والحكم عليها ، من خلال رؤية واضحة مبنية على أسس صحيحة ، بعيدا عن التقليد الأعمى والتأثر بالآخر ، بحيث تنسخ الشخصية و تمسخ فيتحول الإنسان إلى ببغاء يردد ما يقوله الآخرين ، وهو الأمر الذي نلاحظه في طريقة تفكير أغلب الناس اليوم بمختلف مستوياتهم الثقافية والعلمية مع الأسف ، فأزمة الإنسان الحقيقة اليوم هي أزمة فكرية بالدرجة الأولى ، والتي تحتاج إلى إعادة صياغتها بالوسائل المناسبة لها .

2 -الدعوة إلى ضرورة التسلح بالعلم والإيمان لمواجهة التحدي القادم الذي يستهدف مقومات الأمة الإسلامية وتاريخها المجيد ولغتها العريقة .

3 -الرد على أصحاب المذاهب الضالة والمنحرفة من اليهود أو النصارى أوالمجوس و من تبعهم من المغرر بهم من المسلمين المنبهرين بالمدنية الغربية .

4 -المسلم صاحب رسالة عالمية وعقيدة مبنية على الرؤية الواضحة والعلم الصحيح والمنطق السليم والتفكير القويم ، والإنسانية محتاجة إليها لتوضح لها الطريق الصحيح وتنجيها من هول المادية القاتلة في غياب الإيمان ، وهذا ما سنوضحه في هذه الرسالة .

5 -محاولة إيصال هذا النداء الرباني قوله تعالى :﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

6 -الحاجة ملحة لطرح الدراسات التي تعالج مواضيع الساعة حيث الحديث عن حوار الحضارات وسقوط الحضارات أو الأنظمة ، ومسألة العولمة ، والإعجاز العلمي .. وتلك الصورة المشوهة التي تجعل الإسلام في قفص الاتهام ، وغير ذلك من المواضيع الحساسة الذي يحسن بنا أن نثيرها ونغتنم فرصة التطورات العلمية الحديثة التي تخدم العقيدة الإسلامية بالدرجة الأولى وتقدم البديل المناسب .

7 -تطلع البشرية إلى منقذ ينقذها من الحضارة المادية .

8 -التحدي الصريح والخطر الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من ديار المسلمين وهو الأمر الذي يجب أن تدركه الأمة الإسلامية لتعد له العدة ، والتواكل لا ينفع إذا دخل العدو الديار فأحدث الدمار .

ومن هذا المنطلق سلطت الضوء على كيفية صياغة الإنسان على ضوء القرآن والسنة والأفكار الإنسانية المستمدة من التجارب الإنسانية والعلمية .

(1) سورة آل عمران (64)

الفصل الأول

العلم والإيمان
المفهوم و المضمون

العلم ، المفهوم والمضمون

مفهوم العلم :

- **العلم في اللغة** : ، **العِلْمُ** نقيض الجهل ، وقال ابن بري[1] : وجمعُ **عَالِمٍ عُلماءُ** ، و **عَلاَّمٌ وعَلاَّمَةٌ** إذا بالغت في وصفه **بالعِلْم** أي **عالم** جدا والهاء للمبالغة . وجاء في الصحاح : **عَلِمَ** الشيء بالكسر **يعلمه علما** عَرَفَهُ ، ويقال أيضا **تَعَلَّمْ** بمعنى **أعلم** قال عمرو بن معد يكرب :

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاس طُرًّا قَتيلٌ بَيْنَ أحْجار الكُلاَبِ

و **العَالَمُ** الخَلْقُ والجمع **العَوَالِمُ** بكسر اللام و **العَالَمُونَ** أصناف الخلقِ[2] .

و في المصباح المنير[3] : **عَلِمَ يَعْلَمُ** إذا تيقن وجعل بمعنى **المعرفة** لأن كل منهما مسبوق بالجهل وفي التنزيل : **{ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ }**[4] أي علموا والله تعالى منزه عن سابقة الجهل لأن علمه صفة قديمة ، فيستحيل عليه الجهل ، وإذا كان (عَلِمَ) بمعنى اليقين تعدى إلى مفعولين ، مثل قوله تعالى : **{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ}**[5] ، وإذا كان بمعنى عَرَفَ تعدى إلى مفعول واحد ، مثل قوله تعالى : **{لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ }**[6] .

(1) **عبد الله** (ت:582 ه) نحوي ولغوي مصري مقدسي الأصل .
(2) محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ص: 451 .
(3) أحمد الفيومي ، **معجم المصباح المنير** ، المكتبة العصرية ، ص: 221
(4) سورة المائدة (83) .
(5) سورة الممتحنة (10) .
(6) سورة الأنفال (60) .

إذن فكلمة(العلم) هي ضد الجهل وأنها تأتي بمعنى اليقين والمعرفة ، وهناك من يفرق بين العلم والمعرفة ، كما سنرى لاحقا .

العلم في الاصطلاح :

وقع خلاف طويل في معنى العلم ، حتى قال جماعة : إنه لا يُحَدّ (أي لا يُعَرَّف) لظهوره وكونه من الضروريات ، وقيل لصعوبته وعسره، ومن هؤلاء الفخر الرازي[1] والغزالي[2] ، ولكن الأكثرين رأوا إمكان حده ، فقد حده الباقلاني[3] والباجي[4] بأنه : (**معرفة المعلوم على ما هو به**) . وعرفه الأيجي[5] : (**صفة توجب لمحلها تمييزا بين المعاني لا يحتمل النقيض**)[6].ويقول الجرجاني[7] في التعريفات : العلم ، هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع . وقال الحكماء : هو حصول صورة الشيء في العقل . وقيل هو ادراك الشيء على ما هو به . و ينقسم إلى قسمين : **قديم ، وحادث .** فالعلم القديم هو القائم بذاته تعالى ، ولا يُشَبه بالعلوم المحدثة للعباد .

(1) فخر الدين (ت:606 ه- 1210 م) إمام مفسر ، من مؤلفاته :" مفاتيح الغيب " معالم أصول الدين" ،ولد في الري وتوفي بهراة ، الأعلام ، مج : 6 ، ص : 313 .

(2) أبو حامد محمد (ت:505 ه- 1111م) فيلسوف متكلم متصوف من أهل خراسان ، لقب بحجة الإسلام ، تلميذ الجويني ، مؤلفاته كثيرة أشهرها" إحياء علوم الدين " .

(3) أبو بكر محمد (ت:403 ه- 1013م) قاض ، من كبار علماء الكلام ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، من كتبه : " إعجاز القرآن " . الأعلام ، مج: 6 ، ص : 176

(4) أبو الوليد سليمان بن خلف (ت:474 ه- 1081م) فقيه أندلسي مالكي ، من رجال الحديث ، من كتبه " المُنتقى" في شرح مُوطأ مالك .. الأعلام ، مج: 3 ، ص : 125

(5) عضد الدين (ت:756 ه- 1355م) عبد الرحمان بن أحمد ، من علماء الكلام ، مات سجينا في كرمان ، من كتبه : "المواقف" في علم الكلام ، الأعلام ، مج : 3 ، ص : 295 .

(6) عبد الرحمان الزنيدي ، مصادر المعرفة في الفكرالديني والفلسفي ، ص:47

(7) أبو الحسن علي (1339 - 1413) متكلم أشعري وفيلسوف ،عرف بالسيد الشريف ، له شروح في الأصول والفلسفة والمنطق من كتبه " التعريفات " و " شرح مواقف الإيجي" .

والعلم المُحْدَث ينقسم إلى ثلاثة أقسام : بديهي ، وضروري ، واستدلالي

فالبديهي : ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بوجود نفسه.

والضروري : ما لا يُحتاج فيه إلى تقديم مقدمة ،كالعلم بثبوت الصانع .

والاستدلالي : هو الذي يحصل بدون نظر وفكر،وقيل :هو الذي لا يكون تحصيله مقدورا للعبد [1] ، وكل هذه التعريفات للعلم وغيرها ، لم تسلم من النقد من قبل الباحثين ، لأنها لم تعطي تعريفا شاملا ، و لقد أورد صاحب أبجد العلوم أقوال العلماء في العلم ، وعلق عليها مبينا مواطن النقص فيها وانتهى بقول الشوكاني الذي عرف العلم بأنه : (**صفة نكشف بها المطلوب انكشافا تاما**) وقال : وهذا لا يرد عليه شيء مما تقدم[2] .

ربما يرجع ذلك لتغير العلم بتغير الأزمنة والأحوال كما يقول (سومرست موم)[3]: (إن العلم كائن متقلب فهو ينفي اليوم ماأثبته بالأمس، وهو سيثبت غداً ربما مانفاه اليوم ، فهو لايثبت على حالة واحدة وعباده دوماً في قلق مستمر) ، ومن جهة أخرى محدودية الطاقة البشرية لأن ذلك يقتضي معرفة لأعيان الأشياء المطلوب علمها في الخارج لإجراء المطابقة بين الحكم العقلي وما هو موجود في الخارج ، ولا يتيسر ذلك في كل المعلومات ، بل يستحيل في بعضها كما ذكره المحققون من العلماء[4].

(1) الشريف الجرجاني ، **التعريفات** ، ص: 110 .
(2) صديق القنوجي ، **أبجد العلوم** ، ص: 26
(3) سومرست موم W. Somerset Maugham أديب وطبيب وعالم انجليزي (1874-1965) ، ولد في باريس ، له فلسفة في الحياة . المصدر: الموسوعة البريطانية *Britannica DVD 24 June 2006 Encyclopædia* .
(4) عبد الرحمان الزنيدي ، **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي** ، ص: 47

ويعرفه أوجست كونت[1] : (معرفة القوانين الحقيقة للظواهر الطبيعية ، ولا طريق له إلا التجربة) [2]، و جاء في الموسوعة البريطانية تعريف العلم [3] :(أي نظام للمعرفة الذي يرتبط بالعالم الطبيعي وظواهره ، وتلك تستلزم الملاحظات المحايدة والتجريب المنهجي عموما ، يقتضي علم المتابعة المعرفية التي تتعلق بالحقائق العامة أو عمليات القوانين الأساسية) ، وعن مصدر لفظة (علم) وما يقابلها في اللاتينية جاء في الموسوعة[4] : مصطلح العلم يأتي مِنْ الكلمةِ اللاتينيةِ ***scientia*** التي تَعْني **"معْرِفة"** وهو يُستَعمل لوَصْف مجموعة كبيرة مِنْ المواضيعِ التي تتناول البحثِ عن المعرفةِ حول الكونِ وكُلّ ما فيه. كُلّ هذه المواضيعِ على حدة تسمى عِلْم - على سبيل المثال، عِلْم الفيزياءِ أَو عِلْمِ الكيمياءِ .

وقد دخلت كلمة عالم ***Scientist***إلى اللغة الإنجليزية حوالي أربعين وثمان مائة للميلاد لتميِّز أولئك الذين يبحثون عن قوانين تجريبية في

(1) "Comte, Auguste." (1798-1857 م) ، فيلسوف فرنسي أسس المذهب الوضعي . (الموسوعة البريطانية 2006) .

(2) عبد الرحمان الزنيدي ، المرجع السابق ، ص: 47 .

(3) " *any system of knowledge that is concerned with the physical world and its phenomena and that entails unbiased observations and systematic experimentation. In general, a science involves a pursuit of knowledge covering general truths or the operations of fundamental laws*".

(4) "*The term science comes from the Latin word scientia, which means "knowing." It is used to describe a huge group of subjects that deal with the search for knowledge about the universe and all that is in it. Each of these subjects is also separately referred to as a science-for example, the science of physics or the science of chemistry* "

(Science) *Copyright: Encyclopædia Britannica DVD 24 June 2006*

الطبيعة عن الفلاسفة والمفكرين، وعادة ما ينظر إلى الباحثين في المنطق والرياضيات على أنهم علماء، على الرغم من توقُّف اعتبار الرياضيّات علمًا تجريبيًا في الفترة من سنة 1890م إلى سنة 1910م ، واسم عالم يُعطى أيضًا للمتخصصين في العلوم الاجتماعية تقريبًا دون تقييد ، والعالم في الغرب هو صاحب المعرفة العلمية الذي يضيف إلى ما هو معروف في العلم بالبحث ووضع الاكتشافات أو تدريس العلم في المؤسسات العليا ، وفئات العلم الواسعة ثلاث: العلوم الفيزيائية، والعلوم البيولوجية ، والعلوم الاجتماعية ، بالإضافة إلى الرياضيات التي تعتبر أداة أساسية للعلم .

وعليه : فإن العلم باصطلاحهم محصور في التجربة ، وميدانا في المجال الرياضي والطبيعي ، وما يقبل موضوعه الخضوع للتجربة والاستقراء والمقاييس الكمية [1] ، ومنه يتضح أن العلم في التعريف الغربي سماته :

1 - الجمع بين العلم كنظرية وكتطبيق.
2 - الجمع بين العلم كمنهج للبحث وكمضمون معرفي.
3 - أن العلم يعتمد على التجربة والملاحظة.
4 - أن العلم يتعلق بمجال أخص من المعرفة العامة.

وهذا التحديد لمفهوم العلم متولد من المذهب التجريبي في الفلسفة المعاصرة ، الذي يتمثل في اتجاهين : الوضعي والماركسي ـ في نظرية المعرفة ـ وقد أدى هذا المفهوم إلى إنكار العلم فيما يتجاوز ميدان التجربة ، وهو عالم الطبيعة وإنكار عالم ما وراء الطبيعة ، وكل ما كان مصدره الوحي الإلهي أو الشعور الأخلاقي من العلوم[2]

(1) عبد الرحمان الزنيدي ، **مصادر المعرفة** ..المرجع السابق ، ص: 47 .
(2) الزنيدي ،المرجع السابق ، ص: 48

وأبرز مواطن الالتباس في التعريف هو الخلط بين مصطلحيْ العقل والحس، فأصبح المقصود بالعقل هو التجريب الحسي، وعلى ذلك فالخارج عن نطاق الحس خارج عن نطاق العقل والعلم جميعًا، مما يلزم إنكار المعجزات ومباحث الغيبيات في الفلسفة.

ولم يفت العرب الاهتداء إلي التجربة العلمية ومعرفة دورها في البحث العلمي، فلم يكتفوا بمراقبة الظاهرة وتسجيل حالتها، بل تدخلوا في سيرها ليلاحظوها في ظروف هيأوها بأنفسهم وأعدوها بإرادتهم، وفطنوا فوق هذا وذاك إلى أن الغرض من هذه الدراسات التجريبية هو وضع القوانين العامة التي تفسر الظواهر تفسيرًا علميًا.

وفي الواقع فإنه رغم وجود المنهج التجريبي لدى كلٍّ من العرب والغرب فإنه لم يمنع ذلك من اختلاف نتائجه على تعريف مفهوم العلم لدى كلٍّ منهما لاختلاف رؤية الكون لدى الفريقين ؛ فعلى حين اشتمل مفهوم العلم لدى العرب على العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والعلوم الشرعية اقتصر مفهوم العلم لدى الغرب على العلوم القابلة للدراسة بالمنهج التجريبي ؛ أي العلوم الطبيعية فقط، ولاحقًا حاول علماء العلوم الإنسانية استخدام المنهج التجريبي لدراسة الظواهر الاجتماعية أيضاً وتوظيف الأدوات الكمية والإحصائية في الدراسة

ومهما كان الأمر والاختلاف حول وضع تعريف شامل للعلم فإن الإسلام أوجد شمولية لمفهوم العلم على عدة مستويات ؛ مستوى الجمع بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ومستوى الجمع بين العلوم

الشرعية والعلوم غير الشرعية، ومستوى التكامل بين المنهج العلمي التجريبي والمرجعية المطلقة ذات البعد الغيبي .

وقد يعوق تطور العلوم وتفرعها إلى علوم دقيقة الوصول إلى تعريف للعلم نهائي وشامل ، نظرا لاختلاف مصادر العلم ومضامينه ، فالمفهوم الإسلامي للعلم يختلف عن المفهوم الغربي مصدرا ومضمونا ، وحتى وإن اتفقت الرؤى يبقى الأمر بعيد المنال لاختلاف التوجهات ، وهذا مما يرجح قول القائلين بصعوبة حدّه ، ولما ينطوي عليه من خطر ، بحيث يهدم الأديان والأخلاق ويبعدهما من الحياة العلمية والعملية.

الفرق بين العلم والمعرفة :

تعريف المعرفة : جاء في قاموس المحيط :(**عَرَفَهُ يَعرِفُهُ مَعْرِفَةً أي** عَلِمَه)[1].

وقال الرازي في الصحاح : (**المَعْرُوفُ** ضد المنكر ، و **العُرْفُ** ضد النكر .

ويلخص الجرجاني معناها فيقول : (إنها إدراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولهذا يسمى الحق ﷻ بالعالم ، دون العارف)[2]

ومعروف أن منهج العرب في تعريفهم الأشياء الاكتفاء بتقريب الشيء المعرّف إلى الجاهل به عن طريق ذكر ضده ، دون الغوص إلى ماهية الشيء الذي ينهجه الفلاسفة[3] .

وهذا يعني أن تعريفهم للمعرفة تم ببيان ضدها وهو الإنكار ، على اعتبار أن القراءة مفتاح العلم والمعرفة . وعند الفلاسفة لفظ المعرفة يطلق على الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن ، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعيا بكل ما هو موجود للشيء في الواقع .

وقد فرق ابن القيم بين معنى العلم والمعرفة فجعل المعرفة تصورا ، والعلم تصديقا، وإن جعلوا النوعين معرفة متفاوتة الدرجة ، لا معرفة وعلما [4] .

ونلخص تلك الفروق التي أوردها الراغب الأصفهاني ، وابن القيم في هذا الجدول :

(1) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص : 178 .
(2) الجرجاني ، السابق ، ص: 153 .
(3) الزنيدي ، السابق ، ص: 37 .
(4) عبد الرحمان الزنيدي ، المرجع السابق ، ص: (40 - 44 -45)

المعرفة	العلم	المصدر
1 - **المعرفة** أخص من العلم ، يقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال فلان يعلم الله 2 - **المعرفة** قد تقال فيما تدرك آثاره . 3 - تقال **المعرفة** فيما يتوصل إليه بتفكر. 4 -يضاد **العرفان** الإنكار .	1 - **العلم** أعم ، يقال الله يعلم كذا ولا يقال: يعرف كذا . 2 - **العلم** لا يكاد يقال إلا فيما يدرك ذاته. 3 - **العلم** قد قال في ذلك وفي غيره . 4 - يضاد **العلم** الجهل .	**الراغب المفردات في غريب القرآن ص: 343**
• **من حيث اللفظ :** 1 -إن فعل **المعرفة** يقع على مفعول واحد قال تعالى: {**فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**} سورة يوسف (58) • **من حيث المعنى:** 1 - **المعرفة** تتعلق بذات الشيء. 2 - **المعرفة** هي حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس . 3 - المعرفة تشبه التصور 4 - تأتي **المعرفة** غالبا لما غاب عن القلب بعد إدراكه، قال تعالى : { **يَعْرِفُونَ** نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} . النحل (83) . 5 - **المعرفة** هي العلم بعين الشيء مفصلا عما سواه . 6 - تفيد **المعرفة** تمييز المعروف عن غيره . فقولنا : **عرفت زيدا** يفيد الإثبات والتمييز له عن غيره .	1 - فعل **العلم** يقتضي مفعولين، كقوله ﷻ: { **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**} الممتحنة (10) إن وقع على مفعول واحد فيكون بمعنى المعرفة كقوله تعالى : {وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ} **الأنفال (60)** 1 - **العلم** يتعلق بأحواله ، فقال تعالى {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**} محمد (19) 2 - العلم حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه . 3 - العلم يشبه التصديق . 4 -إذاأدركه ورآه وعلم أنه الموصوف بها قيل عرفه ، قال تعالى { يَعْرِفُونَهُ كَمَا **يَعْرِفُونَ** أَبْنَاءهُمْ } البقرة (146) 5 - **العلم** يتعلق بالشيء مجملا . 6 - **العلم** يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره .فقولنا : **علمت زيدا** كريما. تفيد تخليص الذات عن غيرها ،	**ابن القيم الجوزية مدارج السالكين دارالكتاب العربي بيروت ج: 3 ص: 337**

إن ماسبق ذكره من تعريف العلم وتعريف المعرفة والفرق بينهما ، دليل صريح على حِدّة الاختلاف ، ووجود ثلاثة آراء رئيسية : القول بعموم المعرفة واستغراقها للعلم ، والقول بعكس ذلك تماما ، إلى جانب الذين لا يفرقون بينهما ، بل يحملونهما على معنى واحد ، وجميع ذلك في إطار الفكر الإسلامي قديما وحديثا .

والحق من العسير جدا وضع حد فاصل تماما بين حدود المعرفة وحدود العلم ، ذلك أن حجم الاتصال لا يقل عن حجم الانفصال ، وكلما حاول باحث وضع حدود وفواصل بينهما يفاجأ بالتداخل ، الذي يبعث على الاستثناء والخروج عن تلك الحدود . ويبدوا أن من المتعذر إيجاد تعريف يجمع كل ما يندرج تحت لفظ المعرفة ويمنع دخول العلم فيه ، وكذلك العكس ، بدليل أنه لا اللغة ولا الاصطلاح الفلسفي أو الكلامي استطاع أي منها التوصل إلى ذلك وفق هذا الضابط المطَّرد . ولعل في الأقوال المتقدمة للراغب الأصفهاني وابن قيم الجوزية على وجه التحديد في التفريق بين العلم والمعرفة ما يشير إلى النسبية والتردد في القطع على نحو لا يقبل النقص . لذلك فأرى أن مصطلحي العلم والمعرفة من قبيل المصطلحات التي بينها اتصال وانفصال ، واتفاق وافتراق ، بحيث يصدق عليها القول بأنها من المعاني التي إذا التقت افترقت ، وإذا افترقت التقت ، أو إذا اتفقت اختلفت وإذا اختلفت اتفقت ، شأنها في ذلك شأن الإيمان والإسلام ، والأخلاق والقيم ، وسواها . ويكون السياق هو المحدد الوحيد

لمن رام تفريقا بينهما ، ولكنه تفريق موضعي ـ لا موضوعي ـ لا يصمد أو يطرد في كل حين[1] .

مصدر العلم :

1 - العقل والحس :

كان اليونان يعتقدون أن العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية ، ولا يرون حدوداً لإمكانياته ، وكان من أخطائهم الكثيرة في هذا المجال استخفافهم بكل مصدر آخر للمعرفة غير العقل حتى المصدر الحسي ، والتأمل في الكون ، والسير فيه لجمع المعلومات والاستقراء العلمي .

حصل هؤلاء الفلاسفة بهذه المناهج على معارف بعضها صحيح ، والكثير منها زائف لا قيمة له . وعندما ترجمت هذه المناهج والمعارف بهرت كثيراً من أبناء المسلمين لحداثة عهدهم بهذه العلوم والذين لم تكن لديهم الكفاية في المعرفة بالعلم المادي ، فنتجت عن ذلك إشكالية تعارض العقل مع الوحي .

وفي العصر الحديث طرحت المشكلة مرة أخرى على شكل صراع بين العلم والدين أو بين العلم والإيمان ، بمعطيات تاريخية جديدة ، ففي تلك الفترة كانت الحضارة الإسلامية هي السائدة وهي حضارة العلم والإيمان ، أما اليوم فإن هذه الحضارة بادت وحلت مكانها حضارة غربية عقلية مادية تجعل من العقل والمادة مصدران أساسيان للعلم والمعرفة ، وكان ذلك يشكل بادرة خطيرة أخلت بميزان الثنائية في صالح العقل على حساب الوحي

(1) أحمد الدغفي ، **نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية** ، ص:92.

، والذي جرى هو الاعتراف الواسع النطاق بالعلم، وأصبح الدين في موقف صعب وقامت الثقافة العلمانية بالهجوم عليه ، حتى أجبرته على الدفاع واستغل هؤلاء ضعف المسلمين وتقهقرهم ، وتقدم الغربيين للنيل من الدين ، وعلى الخصوص الدين الإسلامي ، وعلى الأخص القرآن ، وقدموا البراهين الواهية على عدم صلاحيته ومقدرته لمجاراة عصر العلم والاختراعات ، وكانوا يدعون إلى الفكر الحر، أو ما يسمى بعصرنة الإسلام ، على غرار ما حدث في أوروبا القرون الوسطى ، ولعل الغاية القصوى من كل هذه المحاولات المستمرة، هي إضعاف يقين المسلمين بدينهم وقرآنهم ، وهكذا وضع الدين في مواجهة العلم ، ووضعت الحجج التي تثبت هذا التعارض ، مستغلين التطورات العلمية المذهلة ، والتي أبهرت الصغير والكبير ، بحيث أصبح البعض لا يثق إلا في العلم ومعطياته ، وكل ما يأتي من الدين فهو خرافة ، ورجعية ، وتخلف .. وهكذا أُبعد الدين من الحياة بمفهومها الشامل ، وأصبح الدين مجرد طقوسا تؤدى في المساجد و المناسبات ، أو محاضرات ومقالات تلقى هنا أو هناك ، دون أن يتفاعل معها المجتمع .

والخطأ يرجع لرجال العلم ، الذين اعتقدوا ظلما أن الدين هو سبب التخلف ، فأخذوا يحاربونه ، وبدلا من محاربة رجال الدين الجامدين ومفاهيمهم المنحرفة ، راحوا يحاربون الدين ، مهما كان هذا الدين[1]. وفي هذا الصدد يقول وحيد الدين خان : (ومن سوء الطالع أن أدعياء النقد عندنا لا يزالون يكررون هذا الخطأ بكل عناد دون شعور منهم بالأثار

(1) محمد درنيقة ، **القرآن والعلم** ، ص: 14

البعيدة المدى التي يخلفها في حياة البشرية إصرارهم على التفرقة بين الدين والعلم .)[1].

فهؤلاء يتبعون المذاهب الوضعية ويجعلون من قوانين الطبيعة وسننها المصدر الأساسي للمعرفة ويزعمون أنهم جماعة العقل ، ويرفضون كل ما يخالفه ، معتقدين أن العقل مقتدر على أن يعرف معرفة يقينية بعض الحقائق عن الكون لا تستطيع الملاحظة الخارجية أن تعطينا إياها أبدا[2]، وأنه وحده مصدر العلم والمعرفة ، ولهذه الأفكار أصول تاريخية تعود بنا إلى الفلسفة الإغريقية ومنه إلى الفلسفة الغربية المعاصرة .ولعل أوضح بيان يمكن أن يُقدم لوجهة النظر العقلانية هو ما عرضه مؤسس هذا المذهب الفيلسوف الفرنسي **ديكارت**[3]الذي قال : إن قوانا العقلية قادرة على المعرفة المؤكدة ، غير المشكوك فيها ، وبعيدا عن خداع الحواس ..[4]. وفي المقابل نجد وجهة أخرى لمصدر العلم والمعرفة ، وهي النظرة الحسية ، التي ترى أن الحس والتجربة هما أساس العلم ، ويعرف أصحاب هذه النظرة بالتجربيين ، وأما النظرة المادية فتفترض أن المادة هي كنه الكون ، وأن ما نسميه عقلا ، إما صورة للمادة أو خاصة من خصائصها ، أو هما معا ، العقل عندهم ـ باختصار ـ هو المخ وعمله ..، وكل إدراك يرجع إلى انعكاس لواقع معين ، ويجعل هذا الانعكاس عن طريق الإحساس ، وما يخرج عن حدود

(1) وحيد الدين خان ، **الدين في مواجهة العلم** ، ص: 131
(2) وحيد الدين خان ، ص: 131
(3) رينيه ديكارت : ***Descartes*** (1590-1650 م) فيلسوف ورياضي فرنسي له اكتشافات رياضية ، تقوم فلسفته على طريقة الشك المنهجي ، من أشهر كتبه : " مبادئ الفلسفة " .
(4) نايف معروف ، **الإنسان والعقل** ، ص: 88 .

الانعكاسات الحسية لا يمكن أن يتعلق به الإدراك أو الفكر.. وأن الواقع وانعكاس الدماغ عليه هو العقل ، وهو الفكر ، وهو الذي يوجد التفكير[1]

إذن باختصار شديد هذه هي أهم الأفكار الصادرة عن الفلسفة الوضعية الغربية حول العقل ومصادر العلم والمعرفة ، ومحاولاتهم المتكررة والمستمرة ، لإدراك الحقيقة بعقولهم ، باءت بالفشل لأن الفلسفة لم تستطع أن تقتحم أسوار الحقيقة الكلية، لما قبل الوجود وما بعده ، لمعرفة كنه الإنسان خارج عالم الشهادة .

وهكذا نجد أن الفلسفة الغربية لم تعط تصورا حقيقيا ، لمصدر العلم والمعرفة وتعدوا أن تكون شروح وتوضيحات أو محاولات لسد الثغرات التي وقعت فيها الفلسفة الإغريقية والأفلاطونية والأبيقورية ، وأن الفلسفة في حقيقتها ، كما قال أستاذ الفلسفة (راندال وبوخلر) : أنها تبدو للرجل العادي دائما غرّارة وخادعة ، فقد وعدت بكل شيء ولم تعط شيئا ، حتى ولا الحقيقة ...)[2] .

فالعقل ليس وسيلة للكشف المباشر على الحق ، بل يسلك إلى الحق طريقا صارما عبر ما يسمى بالنظر أو الفكر ، وهذا الطريق يتصف بالمرحلية والتدرج والترابط ، ينتقل من المقدمات إلى النتائج ، ومن المعاليم إلى المجاهيل ، وهذا الطريق محفوف بالمخاطر التي تهدد بإعاقة العقل عن إصابة الحق. وذلك لأن العقل يتحرك في معطيات الحس ، لإدراك ما وراءها من

(1) نايف معروف ، السابق ، ص: (96) .
(2) وحيد الدين خان ، **الدين في مواجهة العلم** ، ص: 131

المعقول المجرد ، ومن البيّن أن معطيات الحس محدودة بظرف الزمان وظرف المكان ، فالحواس تجمع محصولها منهما لتقدمه إلى العقل . ومعطيات الزمان والمكان لا تتعلق بالأسياء تعلق بيان إلا من حيث هي آثار وشواهد على ثبوت حقيقتها ، وعلامات على خصائصها وصفاتها ، أما كنه الأشياء وما هيتها فهي أبعد من أن تنالها بالبيان معطيات الزمان والمكان . هذا في عالم الطبيعة المادية ، فما بالك بعالم الغيب ، وبناء على ذلك فإن المعرفة العقلية في مجال الأشياء لا يتعدى نطاقها حدود الظواهر والصفات والآثار إلى حقيقة الماهيات والأكناه[1] .

إن الرؤية الواقعية للحياة تثبت عجز العقل وحده عن حل مشاكل البشرية ، فنحن نرى أن سبب ما تعانيه البشرية اليوم ، وما نسمعه ونشاهده في وسائل الإعلام وفي ساحات المحاكم المحلية والدولية من الظلم والاستبداد إنما يرجع ذلك كله إلى إبعاد الوحي، وتحكيم العقل في كل شيء ، وقد تبينت الحقيقة الماثلة أمامهم أن العقل غير كاف لإسعاد البشرية ، وقد ثبت عجزه في وضع الحلول لسير حياة البشر، ولو كان العقل كافيا ، فما جدوى إرسال الأنبياء والرسل ؟، أليست الحكمة هي توجيه هذا العقل الوجهة الصحيحة حتى لا يظل الطريق ويهتدي إلى الحقيقة[2] ، فالعقل يتعرض للخداع الفكري، كما تتعرض الحواس للخداع السمعي أو البصري .. و قد اكتشف الناس اليوم خطأ ما ساد من وهم في بداية ازدهار الحضارة

(1) عبد المجيد النجار ، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** ، ص: (74 -75) .
(2) محمد الصايم ، **قيمة العقل في الإسلام** ، ص: 39 .

الغربية بأن العقل الإنساني يتصف بالقدرة على إصابة الحق المطلق ، فبدأ منذ حين يوضع في حجمه الحقيقي الذي يكون به قادرا على إدراك الحق[1].

يقول محمد عبده :(إن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلهي، كما لا يستقل الحيوان في إدراك جميع المحسوسات بحاسة وحدها ، بل لابد معها من السمع لإدراك المسموعات)[2].

2 - **الوحـــي** : لقد حصرت الفلسفة الغربية مصادر العلم والمعرفة في مصدريين أساسيين هما العقل والحس ، وغفلوا عن أهم مصدر للمعرفة وهو **الوحي** المتمثل في الخطاب الإلهي للإنسان وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، والوحي يستقل بمصدريته للمعرفة في مجال الغيبيات ، ويشترك مع كل واحد من المصدرين الآخرَيْن في مجاله ويهيمن عليه فيه. وقد توصلنا إلى أن العقل وحده غير كاف للوصول إلى الحقيقة ، وأنه محدود في تفكيره ، وله أسوار لا يجوز أن يتجاوزها ، مع الإشارة إلى أنه ينبغي التفريق بين المنطقة المحرّمة على العقل الإنساني والتي لا يقوى على اقتحام أسوارها وبين المناطق الشاسعة جدا التي يستطيع أن يخترقها بعيدا عن الغيبيات ، وما اكتشف الآن لا يعدو أن يكون حبة رمل على شاطئ بحر. قال تعالى : { **وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴿٨٥﴾}[3].

(1) عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص: (76) .
(2) محمد عبده ، **رسالة التوحيد** ، ص:104
(3) سورة الإسراء (85) .

الوحي معناه الرسالات السماوية التي يكلف بها نبي مختار من عباد الله ليبلغها إلى القوم الذين أرسل إليهم . وهذا ما يؤكده قوله تعالى : {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا}[1] وقوله تعالى : {وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ }[2] .

فقد تبين من خلال الآيات القرآنية أن الوحي هو تلك التعاليم التي جاء بها محمد ﷺ مبلغا إياها عن ربه منضبطة في النص القرآني ، ونصوص الحديث النبوي الشريف . ويقول رشيد رضا : (وحي الله إلى الأنبياء عبارة عما يختصهم به من المعارف التي يريد أن يعملوا بها ، وأن يبلغوها الناس للاهتداء بها ؛ بحيث يكونون على بيّنة من ربهم ، وثقة تامة بأن ذلك من لدنه سبحانه وتعالى ، ولا يعلم كنه الوحي وحقيقته إلا من اختصهم الله تعالى به)[3]. فالوحي الإلهي هو رحمة للناس جميعاً ، إذ يهدي النفوس الضالة ، ويساعد العقل على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها على الإنسان.وقد شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء فهذا الكاتب الفرنسي"**ماكسيم رودنسون "**[4] نجده يقول : (.. بل إن أكثر ما يلفت النظر هو أن الوحي نفسه ، هذه الظاهرة الأقل اتساما بالعقلانية في أي دين ،

(1) سورة الشورى (7)
(2) سورة فاطر (31) .
(3) محمد رشيد رضا ، مجلة المنار ، ص: 251
(4) كاتب يهودي ماركسي فرنسي ، له كتاب " الإسلام والرأسمالية " .

الوحي الذي أنزله الله على مختلف الرُّسُل عبر العصور وعلى خاتمهم محمد ، يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان ... وحي يحمل نفس السمات الإلهية شكلا ومضمونا). وفي هذا المعنى يقول الدكتور القرضاوي : (لا يعني أن كل شيء ، في هدى العقيدة القرآنية ، تُدرَك بالعقل ، فكثير منها لا يبلغه العقل ، وهذه بالذات آية من آيات الله على قدرته وعلى إحاطة علمه ، وهذه الأشياء التي لا يقبَلَ للعقل البشري أن يدركها بقوته وحدها ، يكشف الله للناس عن بعض منها بواسطة أنبيائه – الوحي - أما باقيها فيظل إلى الأبد في عالم الغيب ، ومهمة العقل هي أن يفهم صدق ما تقوله رسالات الرُّسُل عن المجهول الذي لا طاقة له على معرفته ، وأن يدرك أيضا أن مصلحته هي في إطاعة تعاليمهم)[1]. فالوحي ليس القصد منه إعطاء نظريات علمية عن الكون ، وما تحويه الكواكب من مكونات ، أو الحديث عن طبقات الأرض ، أو ما يحتاج إليه النبات لينمو ، أو ما تفتقر إليه الحيوانات للحفاظ على النوع ، أو ما يحتاجه الإنسان في حياته الطبيعية ، فكل ذلك يهتدي إليه الإنسان بما أودعه الله فيه من الإدراك العقلي ، إن القصد من الوحي هو أن يدعو الإنسان إلى النظر إلى ما فيه من الدلالة على حكمة مبدعه ، وتوجه الفكر إلى الغوص لإدراك أسرار الكون لتتبين لهم عظمة الخالق في خلقه ، ومن ثم الإنطلاق إلى عبادته حق العبادة[2] .

(1) يوسف القرضاوي ، **العقل والعلم في القرآن** ، ص : 62
(2) محمد عبدو ، المرجع السابق ، ص:99 .

وما يهمنا في هذا المبحث هو أن للوحي الدور الفعّال في حل بعض ألغار الكون والإنسان ، وأن لا حل لمعضلة طغيان العلم على حساب الوحي إلا بتعاون العقل والوحي في حل مشاكل الإنسانية التي تتخبط فيها يوما بعد يوم ، والخطر القادم أشد وأعظم ، لأن العلم إذا ترك حرا بدون أن يقيد بالوحي سوف يؤدي بالبشرية إلى واد سقيح ، و هذا ما نسمع ونشاهد بوادره في الأخبار العلمية بما يسمى بالاستنساخ البشري أو الحيواني أو ما يسمى بتكنولوجية النانو وما إلى ذلك ، مما تطلعنا به الأبحاث العلمية . ولذا نجد كثير من العلماء قد أطلقوا انذارات الخطر ومنهم الدكتور ألكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول " بعد أن يتحدث عن الإنجازات العلمية وتطور الإنسان وانتقاله من الريف إلى المدينة يقول : (إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقة ، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس ، وأوهامهم ، ونظرياتهم ، ورغباتهم وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا)[1] .

القرآن و العلم :

قبل أن نتحدث عن موقف القرآن من العلم ، يحسن بنا أن نذكر أن القرآن الكريم هو وحي من الخالق ﷻ ، وليس كما يقول أعداء القرآن بأنه من وضع محمد ﷺ ، وأنه قد اقتبسه من الكتب السماوية السابقة أو من الحضارات السابقة .. وفي القرآن الأدلة الكافية للرد هذه الافتراضات ،

(1) ألكسيس كاريل ، **الإنسان ذلك المجهول** ، ص: 37 .

ويكفي أن نذكر بعض منها ، والتي ذكرها الدكتور محمد درنيقة في كتابه "القرآن والعلم"[1] :

1 -تصوير القرآن للنبي محمدﷺ بأنه العبد المطيع،الذي يلتزم بأوامر الله ﷻ القائل : {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ}[2]

وكلمة " قل " تدل على أن النبي ﷺ مُخَاطب وليس بمتكلم .

2 - شهادة فصحاء العرب ، بأن هذا القرآن ليس من قول البشر ، قال أحدهم لما سمع القرآن يتلى : (إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمغدق ، وإن أسفله لمثمر ، وما بقول بشر)[3].

وقد تحدى الله تعالى كافة المخلوقات أن يأتوا بمثله ، قال تعالى : { وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ }[4].□

3 - احتواء القرآن على آيات فيها عتاب من الله تعالى على نبيهﷺ ، قال تعالى : {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾}[5].

وهذا يدل أن ليس له من الأمر إلا الاتباع لما يوحى إليه .

(1) محمد درنيقة ، السابق ، ص: (47-57)
(2) سورة الكهف (110)
(3) صبحي الصالح ، **مباحث في علوم القرآن** ، ص : 46
(4) سورة البقرة (23).
(5) سورة الأنفال (67).

4 - اخبار القرآن عن الأمم السابقة ، بأمور لا يمكن أن يعلمها الرسولﷺ ، كقوله تعالى : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾}[1] . فالآية صريحة بعدم علم النبيﷺ بشيء من الماضي ، قبل نزول الوحي .

5 - اخبار القرآن عن الغيب ، حيث أثبتت الأيام صدقها ، مثل الاخبار بانتصار الروم على الفرس قال تعالى : { الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ }(2)

7 - في الكون نظرات صائبة في حقائق الكون ، وإشارات علمية صحيحة ، أثبتها العلم الحديث مع العلم أن النبي ﷺ لم يكن عالما فلكيا أو طبيبا أو فيزيائيا حيث لاحظ العلماء أن القرآن لا يخالف العلم ، مثل الآيات التي تتكلم عن خلق الكون والإنسان كما سنرى في الفصل الثاني .

مما هو معلوم أنه لا يوجد دين من الأديان أفاض فى الثناء، على العلم وأهله كالإسلام، وحسبنا أن أول آيات نزلت من القرآن نوهت بشأن العلم والتعليم ، وذلك في سورة العلق . قال تعالى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ }[3] .

(1) سورة يوسف (3).
(2) سورة الروم (1-3).
(3) سورة العلق (1-5).

والعلم الذي نوه به القرآن، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الكون ، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة .

وفي توضيح معنى هذه الآيات الكريمات يقول الدكتور القرضاوي : (أمرت الآيات الكريمات بالقراءة مرتين ، والأمر لرسول الله بالإصالة ، ولكل من يتأتى خطاب بالتبع . والقراءة هي وسيلة التعلم ، ومفتاح العلم ، سواء فسَّرنا القراءة بالمعنى الحقيقي ، وهي القراءة للكتاب المسطور ، أم فسَّرناها بالمعنى المجازي ، وهي القراءة لكتاب الكون المشهود[1] . على نحو ما قال الشاعر :

تأمّل سطور الكائنات ، فإنـها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها لو تأمَّلت سطرها : ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكما هو معلوم أيضا ، أن القرآن لم يجيء ليعلمنا العلوم ، بل جاء ليحث العقول على تعلم العلوم والنظر في الكون والإنسان ، لتنكشف الأسرار الغامضة ، على أن يتعاون الوحي مع العقل في استقراء الحقائق من الكتابين ، فالقرآن كلام الله وكتابه المسطور ، والكون خلق الله وكتابه المنظور والحقيقة مبثوثة فيهما . يقول الشيخ الشعرواي : (.. الكتاب لم يجيء كتابا كونيا ، لم يجيء ليعلمنا العلوم .. الكتاب جاء يستحث عقولنا أن تتعلم .. ولكن أيمر على الحقائق وهي حقائق ؟ نقول له : قائل الكلام

(1) يوسف القرضاوي ، **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، السابق ، ص: 205.

هو الله ، وخالق الكون هو الله ، وما دام قائل الكلام هو خالق الكون ، فيجب ألا تتضارب حقائق القرآن مع حقائق الكون ..)[1] ،

ومعنى هذا ألاّ تضارب بين القرآن والعلم وأن موقف القرآن من العلم واضح ، ففي القرآن الكريم آيات أثنت على العلم وأهله، من حيث هو (علم)، أي معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، دون النظر إلى كونه علما دينيا أو دنيويا. مثل قوله تعالي :{**قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ۝٩ }[2] ، ومثل ذلك قوله تعالي: { **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ۝١٨}[3] فالمفهوم من هذه الآية : أن (أولي العلم) الذين عطفهم الله تعالي على الملائكة فى الشهادة لله بالوحدانية، هم الذين استنارت بصائرهم بالعلم والمعرفة، سواء كان علمهم دينيا أم طبيعيا، وكم رأينا فى علماء الكون من شهد لله تعالي بالوحدانية والتفرد بالقدرة والجلال والكمال.

نحاول الآن أن نقارن لفظة " **علم** " ومجموع حروفها في القرآن ، بضدها " **جهل** " ، مع تحليل نتائج الرسم البياني المحصل عليه ،

(1) متولي الشعراوي ، عقيدة المسلم ، ص: 95
(2) سورة الزمر (9) .
(3) سورة آل عمران (18)

جدول يبين احصائيات لفظتي "العلم" و"الجهل" في القرآن

رقم	السور	العلم	الجهل	رقم	السور	العلم	الجهل
01	البقرة	57		40	فصلت	3	
02	آل عمران	18		41	الشورى	4	
03	النساء	9		42	الزخرف	5	
04	المائدة	15		43	الدخان	3	
05	الأنعام	25	1	44	الجاثية	6	
06	الأعراف	15	1	45	الأحقاف	3	1
07	الأنفال	11		46	محمد	5	
08	التوبة	16		47	الفتح	3	
09	يونس	8		48	الحجرات	3	
10	هود	10	1	49	ق	3	
11	يوسف	18		50	الطور	1	
12	الرعد	6		51	النجم	5	
13	إبراهيم	3		52	القمر	1	
14	الحجر	4		53	الرحمان	2	
15	النحل	20		54	الواقعة	3	
16	الإسراء	10		55	الحديد	5	
17	الكهف	8		56	المجادلة	3	
18	مريم	4		57	الممتحنة	2	
19	طه	8		58	الصف	2	
20	الأنبياء	10		59	الجمعة	2	
21	الحج	8		60	المنافقون	2	
22	المؤمنون	4		61	التغابن	1	
23	النور	9		62	الطلاق	1	
24	الفرقان	2		63	الملك	4	
25	الشعراء	6		64	القلم	3	
26	النمل	11	1	65	الحاقة	1	
27	القصص	12		65	المعارج	1	
28	العنكبوت	13		67	نوح	1	
29	الروم	7		68	الجن	2	
30	لقمان	5		69	المزمل	1	
31	السجدة	1		70	المدثر	1	
32	الأحزاب	5		71	النبأ	2	
33	سبأ	6		72	التكوير	1	
34	فاطر	2		73	الإنفطار	2	
35	يس	5		74	الإنشقاق	1	
36	الصافات	2		75	الأعلى	1	
37	ص	2		76	العلق	3	
38	الزمر	7		77	العاديات	1	
39	غافر	6		78	التكاثر	3	
المجمـــــوع		**388**	**4**			**96**	**1**
المجمـــــوع الكلـــــــي :						**484**	**5**

	لفظة " علم" بمشتقاتها	لفظة " جهل" بمشتقاتها
مجموع حروف	484	5

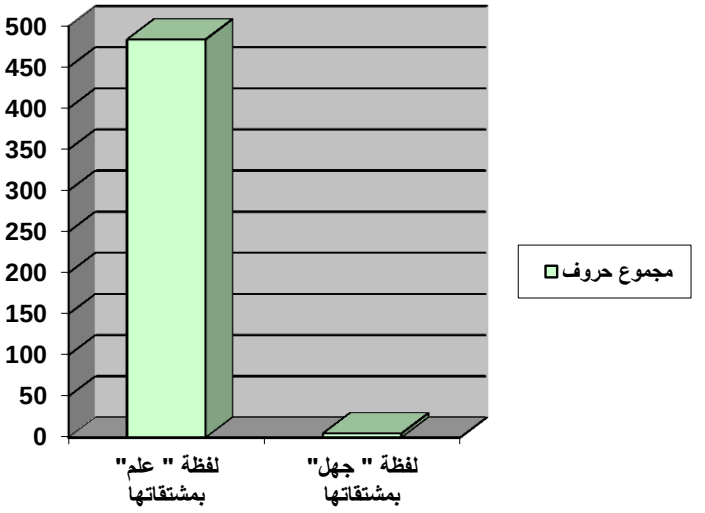

تحليل هذه النتائج :

بالنظر لهذه النتائج ونصوص الآيات القرآنية ، ومقارنة نسب ذكر كلمة " علم" وكلمة "جهل" في القرآن نستنتج ما يلي :

1 - **أن** كلمة " **علم** " ومشتقاتها ، ذكرت بنسبة كبيرة مقارنة بلفظة " جهل" والتي ذكرت في خمس مواضع . أما " علم " بمشتقاتها " فوصلت إلى أربعة وثمانين وأربع مئة مرة .

2 – أن الكلمات الخمس في لفظة " الجهل " ذكرت في سياق الوصف لا بصيغة الأمر مثل قوله تعالى : { **وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ** }[1] وهذا يعني أن صفة الجهل اكتسبوها لأنفسهم ، بعد أن أعرضوا عن العلم ، على عكس كلمة " العلم " التي جاءت في صيغة الأمر سواء بالمنطوق أو بالمفهوم ، مثل قوله تعالى : {**رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ**}[2]، فتعليم الرسولﷺ لنا يستوجب أن نتعلم منه و نبلغ هذا العلم، قال تعالى: {**وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ**}[3]

3 - أن الله تعالى هو مصدر العلم كله فهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم. {**قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢**}[4]

(1) سورة الأحقاف (23) .
(2) سورة البقرة (129) .
(3) سورة البقرة (231) .
(4) سورة البقرة (32) .

وهذا يعني أن صفة " العلم " من صفات الخالق عز وجل .

4 النسب التي لوحظت من خلال هذه الإحصائيات الرقمية ، تدل على نظرة القرآن للعلم ، بحيث لا يوجد كتاب سماوي ولا أرضي اهتم بالعلم مثل اهتمام القرآن به .

5 - وردت كلمة " العلم " بالوصف وبالفعل بمختلف الأزمنة ، فجاء بصيغة الماضي(عَلِمَ) قوله تعالى : {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ }[1] ، وبصيغة المضارع { وَيُعَلِّمُكُمَ مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ }[2] ، وبصيغة المستقبل {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾}[3] .

يتبين لنا أن العلم ليس كالجهل ، والعالم والجاهل لا يستويان ، لا في فهم قيمة الحياة ، ولا في المنزلة عند الله ، ولا في المكانة عند الناس ، ولا مع نفسه هو ، قال تعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ }[4].

فالعالم له قدره ومكانته ومنزلته ، وله الفهم السليم للحياة وما فيها من قيم ومبادئ ، ولعل أروع ما جاء في سياق العلم الإلهي للرسولﷺ بأن يدعو ربه بهذا الدعاء { وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ }[5] ولما كان

(1) سورة البقرة (60)
(2) سورة البقرة (151) .
(3) سورة الأنعام (67) .
(4) سورة الزمر (9) .
(5) سورة طه (114) .

الرسولﷺ هو القدوة ،وجب على المسلمين أن يُقبلوا على العلم ، بكل عزيمة ونشاط . **والجاهل** منقوص القدر والمكانة والمنزلة ، لا يعلم للحياة معنى ولا قيمة ، ولا يلقي بالا للقيم والمبادئ[1] .

ونقرأ في القرآن قوله تعالى: { **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾**}[2] . يقول الإمام الغزالي : (فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم ، وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا)[3]. وينوه القرآن بشأن أهل العلم ، ويضفي عليهم جملة مـن الفضائل والمزايا الفكرية والإيمانية والأخلاقية كانوا أحق بها وأهلها . فهؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين ينكشف لهم الحق الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺقال تعالى : { **وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾** }[4] حيث نجد أن العلم أثمر الإيمان ، وأولوا العلم هم الذين قرنهم القرآن بأهل الإيمان ، ورفعهم

(1) محمد درنيقة ، المرجع السابق ، ص: 63 .
(2) سورة آل عمران (18) .
(3) أبو حامد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ص: (4-5) .
(4) سورة الحج (54) .

جميعا درجات عنده ، يقول تعالى : {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾}[5] ،

وهكذا اعتبر القرآن العلم حياة ونور، والجهل موتا وظلمة قال تعالى : { أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾}[1] . كان ميتا بالجهل قلبه فأحياه بالعلم ، وجعل له من الإيمان نورا يمشي به في الناس[2] .

(5) سورة المجادلة (11) .
(1) سورة الأنعام (122) .
(2) يوسف القرضاوي ، **العقل والعلم في القرآن** ، ص: (78، 89، 90،91)

الإيمان ، المفهوم والمضمون

مفهوم الإيمان

الإيمان في اللغة : جاء في لسان العرب[1] : **الأَمْنُ:** ضدُّ الخوف. و**الأَمانةُ**: ضدُّ الخِيانة. و**الإِيمانُ**: ضدُّ الكفر. و**الإِيمان**: بمعنى التصديق، ضدُّه التكذيب. يقال: آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ. وفي التنزيل العزيز: { **وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** } -[2]. و**الإِيمانُ** عنده الثِّقةُ، ورجل **أَمَنةٌ**، بالفتح: للذي يُصَدِّقَ بكل ما يسمع ولا يُكَذِّب بشيء .

وفي مختار الصحاح[3] : أ م ن ، الأَمَانُ و **الأَمَنَةُ** بمعنى وقد **أَمِنَ** من باب فهم وسلم ، و **الإِيْمَانُ** التصديق .

وفي المصباح[4] : **أَمِنَ** زيد الأسد **أَمْنًا** و **أَمِنَ** منه مثل سلم منه وزنا ومعنى والأصل أن يستعمل في سكون القلب يتعدى بنفسه وبالحرف ويعدى إلى ثان بالهمزة فيقال **آمَنْتُهُ** منه و **أَمِنْتُه** عليه .

و قال الجرجاني[5] : الإيمَانُ في اللغة : التصديق بالقلب .

الإيمان في الاصطلاح : اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان ، وعن أبي حنيفة: أنه الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان دون الجوارح [6] .

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ص: 32
(2) سورة قريش (4)
(3) الرازي، مختار الصحاح ، ص: (51-52) .
(4) أحمد الفيومي المقرئ ، المصباح المنير ، ص: 18 .
(5) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص: 32 .
(6) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص: (332-333)

وقال أبو الحسن الأشعري[1] : الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم ولا يكون هذا الإيمان صحيحا إلا بمعرفته[2] .

ومهما يكن الأمر فإنهم يكاد يجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد[3].

ولهذا حصر الله تعالى الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا في قوله تعالى : { إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا }[4] . وروى ابن أبي حاتم أن أبا ذر سأل النبي ﷺ : ما الإيمان ؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ قوله تعالى : {۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(1) أبو الحسن علي الأشعري (ت:324ه/936م) ، مؤسس المذهب الأشعري ، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد ، من كتبه: " مقالات الإسلاميين " ، الأعلام ، مج : 4 ، ص : 263 .
(2) عبد القاهر البغدادي ، **كتاب أصول الدين** ، ط:3 ، ص: 248 .
(3) ابن أبي العز الحنفي ، المرجع السابق ، 333 .
(4) سورة الأنفال (1-3)

صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ }[1]. وفي الصحيحين **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ** ﷺ : **« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلاهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »**[2]

وبالنظر إلى هذه المفاهيم للإيمان ، نجد أن الإيمان مرده إلى الاعتقاد القلبي ، باعتبار أن القلب هو مصدر صلاح الجسد وفساده كما ذكر في الحديث* ، وبعد استقرار الإيمان وحصول الاطمئنان في القلب وهي مرحلة عمل العقل ، حيث يتتبع الآثار الدالة على الخالق من خلال مخلوقاته ، بعدها تأتي مرحلة الوحي ، وهنا تنتهي مهمة العقل ، ويصبح هناك تسليم وانقياد للأوامر التي يمليها الوحي من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة ، فيعبر عن ذلك الاطمئنان بالنطق باللسان ، قال تعالى: {**وَقُولُوا آمَنَّا**}[3] ثم ينطلق الإنسان ليجسد ما وقر في قلبه ونطق به لسانه بالعمل والقيام بأوامر الوحي ونواهيه قال تعالى: {**إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**}[4]

---

(1) سورة البقرة (177) .

(2) متفق عليه ، محمد الخطيب التبريزي ،مشكاة المصابيح ، المكتب الإسلامي، بيروت 1985، ط:3 ص:10

* **عن النُّعمانَ بنَ بَشيرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كثيرٌ منَ الناسِ.فمنِ اتَّقَىٰ المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وقع في الحرام ، كراعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمىٰ يُوشِكُ أنْ يرتع فيه. ألا وإنَّ لِكلِّ مَلكٍ حِمى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ فِي مَحارِمُه. ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ»** متفق عليه ، **المشكاة ، ج : 2 ، ص:** 843 .

(3) سورة العنكبوت (46) .

(4) سورة العصر (3).

وهكذا يكتمل الإيمان والإسلام . فإذا صلح القلب بالإيمان صلح الجسد بالإسلام ، يقول سيد قطب[1] في تفسيره : (القلب متى تذوق حلاوة الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه ، لابد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب ، في دنيا الناس ، يريد أن يوحد بين ما استشعره في باطنه من حقيقة الإيمان ، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة ، ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه ، والصورة الواقعية من حوله ، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة ، ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن . يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه ، ليراها ممثلة في واقع الحياة)[2] .

ويقسم السيد السابق مفهوم الإيمان إلى ستة أمور :

أولا : المعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهرعظمته في الكون والطبيعة .

ثانيا : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة ،وقوى الشر التي تتمثل في إبليس وجنوده والمعرفة بالجن.

ثالثا : المعرفة بكتب الله التي أنزلها على أنبيائه لتبيان الحلال من الحرام..

(1) سيد قطب (ت: 1387-1966م) ، مفكر اسلامي ومفسر مصري ، شاعر وناقد ، استشهد ، من آثاره تفسيره " في ظلال القرآن" . ... الأعلام ، مج :3 ، ص : 149.

(2) سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، ص:3349 .

رابعا : المعرفة بأنبياء الله ﷻ ورسله عليهم السلام الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى ، وقادة الخلق إلى الحق.

خامسا : المعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب وجنة ونار سادسا : المعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير[1] .

وهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الستة المستمدة من حديث جبرائيل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان فقال النبي ﷺ : (**أن تُؤمن باللّه ومَلائكته وكُتبه ورُسله واليومَ الآخر ؛ وتُؤمن بالقَدر خَيره وشَره**) . وهذا المفهوم للإيمان ، هو العقيدة التي أنزل الله ﷻ بها كتبه ، وأرسل بها رسله وجعلها وصيته في الأولين والآخرين ، فالإيمان الحق هو الذي يشتمل على

1 -العقيدة الثابتة التي لا يُخالطها شك .

2 - العمل الذي يُصدِّقُ العقيدة وهو ثمرتها . والعمل أنواع :

- عمل القلب ، مثل : الخوف من الله ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه

- عمل اللسان ، مثل: نطق الشهادتين ، والاستغفار ، والدعوة إلى الله

- عمل الجوارح ، مثل : القيام بالأركان الخمس ، الجهاد ، طلب العلم ، المعاملات..[2] .

(1) السيد سابق ، **العقائد الإسلامية** ، ص: 8 .

(2) عبد المجيد الزنداني ومراجعة 100 عالم ، **الإيمان** ، ص: (11-12).

الفرق بين الإيمان والإسلام : اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . يقول الغزالي : (الحق أن الإيمان عبارة عن التصديق ، والإسلام عبارة عن الاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان. وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم ، وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح)[1].

فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام فكل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً. وفي إطلاق الشرع ورد باستعمالهما على سبيل الترادف وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل .

الترادف : قوله تعالى : {**فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦**}[2]ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وعن ابنِ عُمَرَرضي الله عنه قال: رسولُ ﷺ: «**بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسٍ : شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، وَإقامِ الصلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضان** »[3]

(1) أبو حامد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ، ص: 116 .
(2) سورة الذاريات (36) .
(3) متفق عليه ، التبريزي ، **مشكاة المصابيح** ، ص : 10 .

الاختلاف : فقوله تعالى: {۞ **قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ** }[1].ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح وفي حديث جبرائيل عليه السلام السابق الذكر، ثم سأله: فما الإسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس المذكورة في الحديث السابق ، فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل.

التداخل : فما روى أيضاً أنه سئل « **فقيل أي الأعمال أفضل فقال ﷺ: الإسلام فقال: أي الإسلام أفضل فقال ﷺ : الإيمان**»[2] وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل ، وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيماناً والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة. وهكذا .. إذا ذكر الإيمان مجرداً : دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، وإذا ذكر الإسلام مجرداً دخل فيه الإيمان والأعمال الصالحة ، على أنهما اسمان لمعنى واحد عند الإطلاق أو التجريد .

(1) سورة الحجرات (14) .
(2) أخرجه أحمد والطبراني ، بإسناد صحيح ، الإحياء ،الغزالي ، ج :1، ص:117

فعَنْ عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ : بينما نحن عند رَسُول اللَّهِ ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر لا يعرفه منا أحد حتى جلس إِلَى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إِلَى ركبتيه ووضع كفيه عَلَى فخذيه وقَالَ: يا محمد أخبرني عَنْ الإسلام فقَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رَسُول اللَّهِ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة،وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) قَالَ صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قَالَ : فأخبرني عَنْ الإيمان قَالَ : (أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره) قَالَ صدقت. قَالَ : فأخبرني عَنْ الإحسان قَالَ: (أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قَالَ: فأخبرني عَنْ الساعة قَالَ: (ما المسئول عَنْها بأعلم مِنْ السائل) قَالَ: فأخبرني عَنْ أماراتها .. قَالَ: (أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء طاولون في البنيان!) ثم انطلق فلبثت مليا ثم قَالَ: (يا عمر أتدري مِنْ السائل)قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قَالَ: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[1]

(1) رواه مسلم، حديث صحيح ، التبريزي، **مشكاة المصابيح** ، السابق،ج:1 ، ص: 9

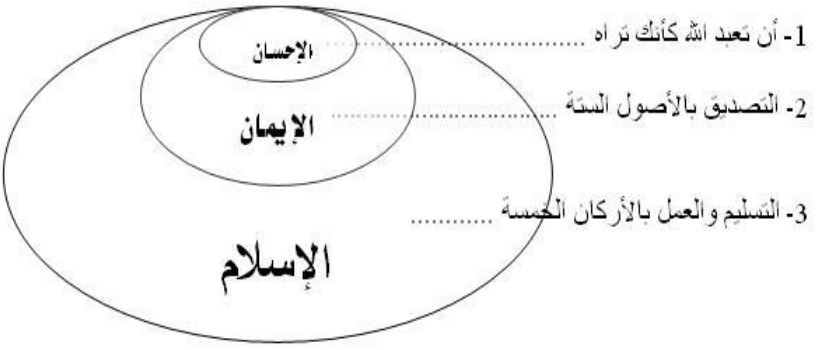

دائرة الإسلام تستغرق الأركان الخمس بالإضافة إلى دائرتي الإيمان والإحسان وجميع أوامر ونواهي الدين الإسلامي .

ودائرة الإيمـــان تستغرق الأصول الستة بالإضافة إلى دائرة الإحسان وكل ما وصف بالإيمان .

ودائرة الإحسان تستغرق استحضار رقابة الله تعالى في كل حركة وسكنة و كل ما جاء في الدائرتين السابقتين . يكاد المسلم المؤمن الموجود في هذه الدائرة يكون خالي من الخطايا ، لأنه وَضَعَ نفسه تحت الرقابة الإلهية فهو يتجنب المعصية قدر ما يستطيع . وربما ينطبق عليه هذا الحديث ، **عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّهَ قال: من عادَى لي وَلِيّاً فقد آذَنْته بالحرب. وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأَعطينه، ولئن استعاذ**

بي لأعيذَنه. وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته»[1] فالدائرة الأولى أعم من الثانية ، والثانية أخص من الأولى وأعم من الثالثة ، والثالثة أخص منهما . ودائرة الإحسان لا يدخلها إلا من توفرت فيه جميع شروط الدائرة الأولى والثانية زيادة على اليقين التام الذي يحصل بمعرفة الله تعالى حق المعرفة ، وفي هذا المعنى جاء في تفسير " الكشاف " لقوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ }[2] (...بإجرائه على أيديهم أموراً خارجة من المعهود خارقة للعادات؛ عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته، يقوى معها اليقين، ويزداد بها الإيمان، ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق...)[3].

ومعنى ذلك فالإحسان أو اليقين هو أشرف أجزاء الإسلام ، ثم يليه الإيمان ، وهو الجزء الثاني المهم في دائرة الإسلام ، ثم يأتي الإسلام ، وهو الذي يشمل الجميع . إذن فكل هذه المصطلحات الثلاث : الإسلام ، الإيمان ، الإحسان ، عناوين لحقيقة واحدة وهي المفهوم الشامل لهذا الدين ولهذا قالﷺ : **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)** . فجعل «الدين» هو الإسلام، والإيمان، والإحسان. فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو

(1) رواه البخاري ، التبريزي ، **المشكاة** ، ص : 699 .
(2) سورة فصلت (53)
(3) الزمخشري ، **الكشاف** ، ص: 395 .

درجات ثلاث: «مسلم» ثم «مؤمن» ثم «محسن» . فعَن أسامة بن زيد ، عَن النبيِّ ﷺ في قول الله ﷻ « **ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ** }[1] قَالَ: كُلُّهُمْ فِي الجَنّة »[2] وجاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية : (.. وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، **فالأول** : هو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ، **والثاني:** هو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، **والثالث :** هو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[3] ، وقال الحسن[4]: الظالم الذي ترجُح سيئاته على حسناته، والمقتصد الذي استوت حسناته و سيئاته، والسابق: من رجحت حسناته على سيئاته[5] .

الإيمان يزيد وينقص :

الإيمان يزيد وينقص ، فيزيد بالطاعات ويقوى حتى يُدخل صاحبه دائرة الإحسان ويصير يقيناً، قال تعالى: **{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا}**[1] وفي

(1) سورة فاطر (32)
(2) رواه البيهقي في كتاب"البعث والنشور" ، **المشكاة** ، ص: 735
(3) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ص582.
(4) أبو سعيد الحسن البصري، (ت:110ه/728م) تابعي ومتكلم ومحدث ، إمام أهل البصرة.
(5) مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ص: 130
(1) سورة الأنفال (2) .

تفسير هذه الآية يقول صاحب المنار: (..أي زادتهم يقينا في الاذعان وقوة الاطمئنان ، وسعة في العرفان ، ونشاطا في الأعمال)[2] وفي قوله تعالى: { وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ }[3].

قال ابن كثير: (..أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيماناً ، وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء. بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزادتهم شكاً إلى شكهم وريباً إلى ريبهم)[4].

إذن فقد تُخرج المعصية صاحبها من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ، وربما تدخله إلى دائرة النفاق ، وقد يخرج من دائرة الإسلام أصلا ، إذا تعلق الأمر بالنفاق الاعتقادي ، أو الجهر بالكفر ، كما جاء في الحديث : (**قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» وعن عمر ﷺ: أنه كان**

(2) محمد رشيد رضا ، **تفسير المنار** ، ص : 590 .
(3) سورة التوبة (125)
(4) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ص: 476 .

يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزدد إيماناً. وعنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمّة لرجح به) [1].

ولهذا يكون إيمان الصدّيقين والرّاسخين في العلم أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تغريهم الشبهة ولا يزلزل إيمانهم معارض ، قال علي ﷺ: (إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه ، فذلك الختم وتلا قوله تعالى: {**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ**} [2].) [3]

الإيمان يَثْبُت بالوحي ويُثَّبَت بالعقل :

يَثْبُت ويُثَّبَت الإيمان بأمرين أساسين هما : العقل والوحي ، وعلاقة أحدهما بالآخر كعلاقة الأساس بالبناء ، قال تعالى : {**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**} [4]. فلكي نبني إيمانا حقيقيا لا يتزعزع ولا يتشقق ، فلا بد من تقوية الأساس عن طريق العلم الصحيح بالتفكر والتدبر في الأثار الدالة على الخالق في مخلوقاته ، ذلك للوصول إلى الحقيقة ، لا لمعرفة الحقيقة ، لأن معرفة الحقيقة من اختصاص الوحي ، والحقيقة التي نقصدها هي الحقيقة الغيبية ، فإذا أردنا أن نبني مسكنا ، فأول عمل نقوم به هو وضع التصميم المناسب ، ثم بعد ذلك نحضر اللوازم الضرورية لعملية البناء ،

(1) الزمخشري ، المرجع السابق ، ج : 1 ، ص : 231.
(2) سورة المطففين (14) .
(3) الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ص : 121 .
(4) سورة محمد (19) .

فالمهندس يضع التصميم ، والبنّاء يبني ، وهكذا في الأخير نحصل على الشكل النهائي للمسكن وفق ما جاء في التصميم ، فمن أجل الحصول على الإيمان الحقيقي الذي نتذوق حلاوته ، ويكون له التأثير الفعّال في الإنسان ، فلا بد أن تكون الانطلاقة عقلية مبنية على أساس العقل ، ولنا في إبراهيم عليه السلام المثال الواضح ، حيث بدأ إيمانه بالتفكر باحثا بعقله " أين الإله؟ " الحق لأسلك الطريق إليه ، وقد صور لنا القرآن هذه الانطلاقة بقوله تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ }[1]، فهذا دليل واضح أن مهمة العقل هي تتبع الآثار الدالة على الخالق ، فقد تيقن إبراهيم عليه السلام أنه ليس مهم أن نجسد الإله في كوكب ، أو قمر ، أو في شمس ، فقد علم أن معرفة الخالق ، أكبر من أن تدركه العقول ، إذن فهو في حاجة إلى الوحي ، لكي يتعرف أكثر على الخالق وعندما يطمئن القلب ، تنتهي مهمة العقل ويأتي دور الوحي ليكمل بقية الحقيقة الغائبة فيعطي حقائق بقدر ما يستطيع العقل تصورها .قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ

(1) سورة الأنعام (76-79) .

أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}[2]، فإبراهيم عليه السلام مؤمن انتقل من علم اليقين إلى عين اليقين .

مصدر الإيمان :

1 - **العقـــل :** توجد علاقة بين العقل والإيمان ، فكلما فكر الإنسان في نفسه أو من حوله ازداد إيمانه ، وقد يكون العقل سببا في هداية الكافر ، وهو من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان . إذ يعتبر الأداة التي يفهم بها النص القرآني أو نصوص السنة الشريفة ، وذلك لأن العقل خلق الله تعالى والوحي هو كلام الله تعالى ، ولا يمكن أن يتعارض خلق الله مع كلام الله تعالى ، إذن فهو مصدر للهداية إلى الإيمان العلمي الصحيح والراسخ الذي لا يتزعزع قال تعالى : {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[1]

- **العقل لغة :** الحِجْرُ والنُّهَي[1] ، فالرجل **عَاقِلٌ** ، وامرأة **عَاقِلَةٌ** أي بالغةٌ ، **العَقْلُ**: العِلْمُ، و**عقل** الشيءَ: فَهِمَه، فهو **عَقولٌ**[2] . وقد ورد " **العقل** " بمسميات كثيرة في القرآن ، كل اسم منها يدل على معنى مقصود في الآية ، و**العقل** لم يرد مصرحا به بفعل " **عقل**" ولم يهتم به القرآن باعتباره مَلكة أو جوهراً في الإنسان تصدر عنه العمليات العقلية ، ولكنه ورد بمادة "**العقل**" في أكثر من 49 موضعا ، وورد بمعاني نذكر منها : اللب ، القلب ، الفؤاد ..بمعنى **اللب** : في قوله تعالى : {**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ**

(2) سورة البقرة (260)
(1) سورة العنكبوت (35) .
(1) الرازي ، مختار الصحاح ، المرجع السابق ، ص: 446 .
(2) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، ج : 4 ، ص: 18

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[3].أي **العقول** وهي جمع لُب ، وهو ما يقابل القشر ، فكأن القرآن يشير هنا إلى أن الإنسان ،قسمان: قشر و لب ، فالجسم هو القشر والعقل هو اللب[1] .بمعنى **القلب** : في قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[2] أي عقول وقلب الشيء أهم ما فيه ، والقلب محل الحب والعداوة .. وقلب النخلة وسطها ، وبذلك تدرك أهمية تسمية العقل بالقلب[3] . ويأتي بمعنى الفؤاد: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[4] لقد عبر القرآن عن العقل بالفؤاد باعتبار أن الفؤاد مسئول عن ادراكه ، كما أن البصر مسئول عن ابصاره ، وكذلك السمع .

العقل اصطلاحا : هو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب[5]. وقد أورد الجرجاني عدة تعريفات منها : (جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان) . و (نور في القلب يعرف الحق والباطل) .

ويقول : والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة[6] . ومهما يكن من الأمر ، فإن ماهية العقل

(3) سورة آل عمران (7).
(1) القرضاوي ، **العقل والعلم** ، المرجع السابق ، ص : 23 .
(2) سورة الحج (46) .
(3) محمد الصايم ، **قيمة العقل في القرآن** ، ص:99 .
(4) سورة الإسراء (36) .
(5) الفيومي ، المرجع السابق ، ص : 219

وكنهه بحث ليس وراءه طائل ، ولم تثمر فيه المباحث منذ الفلسفة اليونانية إلى اليوم ما يعود بالفائدة على واقع المعرفة الإنسانية[7] . والعقل ليس له كيان ذاتي يمكن أن تقع عليه حواسنا ، إنما يظهر أثره من خلال العناصر المكوّنة لهذا الحدث ، ولكي نرى أثره لابد أن تتم عملية **العقل** (التفكير) وبالتالي لا بد من توافر هذه العناصر وهي :

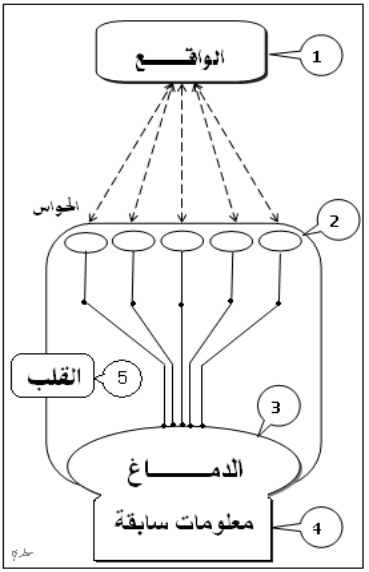

عناصر العقل

1 - **الواقع** ،الذي يكون موضوعا للتفكير.

2 - **انتقال الواقع إلى الإنسان** عن طريق الحواس عبر قنوات الإحساس.والحواس خمس كما هو معلوم، لكل واحدة منها عضو ، ما خلا حاسة اللمس التي تنتشر في الجلد والعضلات ، وبقية الحواس هي : حاسة السمع ، وحاسة البصر، وحاسة الذوق وحاسة الشم .

3 - **الدماغ** يستقبل هذا الواقع المحسوس. وتشريحا يتكون من فصين بشكل بيضوي ومن لونين ، اللون السطحي رمادي ، وفي الداخل تجتمع الألياف العصبية الصادرة من هذه الخلايا وهي بلون أبيض لأنها مغلفة بمادة دهنية تشبه تغليف الأسلاك الكهربائية ، ولقد وجد أن

(6) الشريف الجرجاني ، **كتاب التعريفات** ، ص : 108 .
(7) عبد المجيد النجار ، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** ، ص : 72 .

الخلايا العصبية التي تجتمع في القشر لها علاقة بالتفكير والنشاطات الذهنية الراقية .

4 - **وجود معلومات سابقة مخزونة في الدماغ** لتفسير هذا الواقع ، فلو أردنا أن نحل مسألة رياضية مثلا فلا بد من معطيات أولية ، وإلا فلا نستطيع أن نحلها ، بالرغم من سلامة الحواس . ومن ثم يتمكن الإنسان من إصدار حكم ما حول هذا الواقع . وما لم يتحقق وجود هذه العناصر الأربعة فلا تتم عملية التفكير[1] .

5 - **القلب** : هناك من يرى أن القلب هو أيضا عنصرا أساسيا في عملية التفكير، خلافا لما ذكره الأطباء بأن وظيفة العقل هي من اختصاص الدماغ وحده ، فيقول الدكتور أسعد السحمراني والدكتور أحمد كنعان في كتابيهما " عقل الإنسان في الفلسفة والطب والقرآن " ما نصه : (..بل نعتقد اعتقادا جازما أن ثمة جوارح أخرى تشارك الدماغ بهذه المهمة الجليلة ، وفي مقدمتها القلب ذلك العضو العضلي الذي يتوضع في الصدر ، ويوزع الدم على سائر الأعضاء في البدن . ومع أننا لا نملك ، حتى ومنا الحاضر ، دليلا من العلم التجريبي على هذا الاعتقاد ، فإننا نملك أدلة قطعية من الكتاب والسنة اللذين يذكران بجلاء لا لبس فيه أن للقلب دخلا أساسيا في عملية العقل ، ومن ذلك قوله تعالى : { **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى**

(1) نايف معروف ، **الإنسان والعقل** ، ص : 178 .

ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾}[2] ، وعن أبي سعيد الخذري أن النبي ﷺ قال : «**القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه**»[1] ..وفي هذا دليل ناصع على أن للقلب وظيفة لا تُنكر في عملية (العقل)..! وهذه مسألة دقيقة تستحق من الأطباء والباحثين المسلمين المزيد من البحث والدراسة للوصول إلى حقيقة ما أخبر عنه القرآن الكريم والسنة المطهرة ، إذ على هذه المسألة تتوقف أحكام فقهية عديدة ، منها على سبيل المثال قضية (موت الدماغ) التي يحكم الأطباء فيها بموت الشخص على الرغم من أن قلبه حيّ ، وينبض من تلقاء نفسه !؟.)[2]

فالعقل بكل عناصره التي تتم بها عملية التفكير ، عاجز عن الوصول المباشر إلى الحقيقة الكاملة لأنه مقيد من عدة جهات ، فهو محدود

(2) سورة الحج (46) .
(1) رواه أحمد ، وقال ابن كثير: (هذا إسناد جيد.) ، تفسير ابن كثير، ج : 5 ، ص : 104.
(2) أسعد السحمراني ، **عقل الإنسان في الفلسفة والطب والقرآن** ، ص: (345-346) .

التفكير لأن عناصره التي يفكر بها محدودة ،كما أنه قد يخطيء في تقديره للأمور، فما يستحسنه اليوم قد يستقبحه غدا ، قال تعالى : {وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦}[3] إذن أليس العقل يحتاج لهداية ترشده ،بل وتحكمه وتحدد له معالم الطريق؟ الجواب :نعم ،إنه في حاجة إلى الوحي .!

2 - **الوحـــي :**

الوحي لغة : جاء في القاموس المحيط : **الوَحْيُ** : الاشارةُ والكِتابَةُ والرِسالَةُ والالْهامُ والكَلامُ الخَفِيُّ ، **ووَحَى وتَوَحَّى** : أسْرَعَ[1].

ويقول محمد رشيد رضا : (فالقول الجامع في معنى الوحي اللغوي : أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل ، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة ، كالوحي إلى أم موسى ، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان قال تعالى : {وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ }[2])[3] .

الوحي اصطلاحا : عرفه محمد عبدو في رسالة التوحيد بأنه : (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام ،

(3) سورة البقرة (216)
(1) الفيروزآبادي ، المرجع السابق ، ج:4 ، ص: 401.
(2) سورة الأنعام (121) .
(3) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص : 44.

بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، هو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور)[4].

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }[5]) وقد أطلق على الوحي أسماء أخرى متعددة تختلف في وجهة التسمية ، ولكنها تلتقي كلها عند معنى التعاليم الدينية التي مصدرها الله تعالى ، ومبلغها إلى الناس النبي المرسل . ومن بين هذه الأسماء : **السمع** ، باعتبار أن هذه التعاليم مسموعة من قبل الأنبياء ، **النقل** ، باعتبار أنها منقولة عنهم ، **الشريعة** ، باعتبار أنها مشرعة من قبل الله ، **والنص** ، باعتبار أنها منضبطة في نصوص[1] .

دور الوحي : لقد جاء الوحي لتحقيق أهداف كثيرة نذكر منها :

1 -الإجابة على الأسئلة الكبرى التي حيرت العقل ،وهي : من أنا ؟ من الذي أوجدني ؟ لماذا وجدت ؟ ....

2 -التعريف بحقائق هامة عن الخالق وصفاته وأسمائه الحسنى ..

3 -إعطاء فكرة عن عالم الغيب ،وما فيه من مخلوقات .

4 -بيان مصير الإنسان بعد الموت .

5 -وضع أصول وتشريعات يهتدي بها الإنسان في حياته الدنيوية

6 -إعطاء حقائق ثابتة عن الأمم السابقة .

(4) محمد عبدو ، رسالة التوحيد ، ص: 88
(5) سورة الشورى (51) .
(1) عبد المجيد النجار ، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** ، ص : 69.

7 -الإشارة إلى الحقائق العلمية المستقبلية التي أثبتها العلماء عبر العصور .

8 -إعطاء صورة حية عن الكمال الإنساني المتثمل في الأنبياء والرسل عليهم السلام

إن دعوة الاكتفاء بالعقل البشري عن الوحي الإلهي ، وأن العقل في إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده ، دعوة باطلة لا وزن لها ولا واقع ، وذلك لأننا رأينا الكثير من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحي لم تغن عنها هداية العقول شيئا ،فضلت وهلكت قال تعالى : { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ }[1] . وذلك لأن العقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة إبصار ،والعين قطعا لا تبصر ، مهما كانت سليمة ما لم يكن الضوء والنور ، فلا تبصر في الظلام ، وهكذا العقل لا يمكن أن يهتدي إلى الحق ما لم يكن نور الوحي . ولو سلمنا بأنه في إمكان العقل أن يصل إلى بعض الحقائق بدون الاعتماد على الوحي ، فمن أين استمد العقل المبادئ الأولى للمعرفة ؟ ، أليس كل ذلك يرجع إلى مصدر الوحي ، ثم ان المعارف التي يأتي بها العقل ، إنما هي علوم تخدم الإنسان من الناحية المادية البحتة ، دون أن تقدم شيئا للجانب الروحي في الإنسان . وقد اعترف علماؤها بالعجز الكامل ، كما سنرى من مواقف للدكتور ألكسيس كاريل ، فالعلوم المادية قد بلغت الذروة في الكمال ، ومع هذا بلغت الذروة في الشقاء ، إذن فلا مناص

(1) سورة االأحقاف (26) .

من الاعتراف بالحقيقة ، والتسليم بها ، وهي أن الوحي ضروري للإنسان لكي يهتدي بنوره ، وأن كمال الإنسان وسعادته متوقفان عليه توقف المعلول على علته ،والمسبب على سببه [2] . فالأصل أن كل من : العلم والعقل والوحي والإيمان هي عنوانين من مصدر واحد وهو الله ﷻ لتحقيق حقيقة واحدة هي غاية الغايات وهي توحيد الله في هذه الأرض .قال تعالى: { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** }[3]

الإيمان والقرآن :

القرآن الكريم هو وحي السماء الذي يتجلى فيه الله ﷻ على الوجود ؛ فتتجاوب معه جنبات الكون كله بكلمات الله والله تعالى يعنى بهذه الخليقة الضئيلة المسماة بالإنسان . فيوحي إليها لإصلاح أمرها ، وإنارة طريقها بالإيمان . . وهي أهون عليه من البعوضة على الإنسان ، حين تقاس إلى ملكه الواسع العريض[1] . إنها حقيقة . ولكنها أعلى وأرفع من أن يتصورها الإنسان إلا تطلعاً إلى الأفق الوضيء ولهذا الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ {**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾**}[2] فالقرآن والإيمان هما أساس وجود الكون والإنسان

(2) أبو بكر الجزائري ، **عقيدة المؤمن** ، ص: (24-26) .
(3) سورة الأنبياء (25) .
(1) سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، بالتصرف ،ج :5 ، ص : 3171 .
(2) سورة الشورى (52).

وبدونهما لا معنى للوجود ، وجاء في تفسير هذه الآية قول الزمخشري في تفسيره : (.. فإن قلت: قد علم أن رسول ﷺ ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه ؛ فما معنى قوله: {وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ} والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟ قلت: الإيمان اسم يتناول أشياء : بعضها الطريق إليه العقل ، وبعضها الطريق إليه السمع ، فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل ؛ وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي)[1] .

لقد كان للقرأن الأثر العظيم في امداد الإنسان بطاقة إيمانية هائلة ، كان لها التأثير البالغ في نفس الإنسان ، وكأن الإنسان خُلق خَلقا جديدا ، بعد نزول القرآن ، إذن فقد ركز القرآن على الإيمان باعتباره العلاج الوحيد لما عانت منه البشرية في الماضي والحاضر من انحرافات وضلالات ، ويقول نديم الجسر: (الإيمان هو سند في الشدائد ، وبلسم للمصائب ، وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب ، وعلاج لشقاء الحياة .. وهو الذي يقوي الإنسان ، ويعزيه ويسليه ويمنيه ويُرضيه ، وهو الذي يجعله إنسانا يسعى إلى مثله الأعلى ، لتسجد له الملائكة ..ومن دون هذا الإيمان يكون الإنسان المسكين أتعس الخلائق ، وأسوء حضا في الحياة ، وأدنى رتبة في سلم المخلوقات ، من أذل البهائم وأضعف الحشرات .. وسبيله إلى الإيمان هو

(1) الزمخشري ، الكشاف ، ج : 3 ، ص : 410.

ذلك التفكير ، الذي ينسج أكثر خيوط سعوده ونحوسه في الحياة الدنيا وفي الآخرة .) [2].

ورد لفظ الإيمان ومشتقاته في **811** موضعاً من القرآن الكريم وفي هذا دلالة على أهمية هذا الأصل العظيم ، لقوله تعالى {**وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝**}[3].

وقد جاء هذا اللفظ في السياق القرآني في صور ومعانٍ متعددة ، يمكن حصرها في خمس حالات هي :

الحالة الأولى : ورد فيها الإيمان في واحد وثمانين وسبع مئة موضعاً : أنه قول وعمل ، وهو الإيمان الشرعي .

الحالة الثانية : ذكر فيها الإيمان بمعنى الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر، وهذا حال أهل الكتاب، وخاصة اليهود ، جاء ذلك في أحد عشر موضعاً ،كما في قوله تعالى: {**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥**}[1]

(2) نديم الجسر ، **قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن** ، ص : (440-441) .
(3) سورة المائدة (5).
(1) سورة البقرة (85) .

الحالة الثالثة : ورد فيها الإيمان بمعنى ادعاء الإيمان باللسان مع عدم ثبوته في القلب وهذا حال المنافقين جاء ذلك في **عشر** مواضع ، كما في قوله تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ }[2].

الحالة الرابعة : ذكر فيها الإيمان بمعنى التشريك في الإيمان بالله (جل ذكره) ، باتخاذ لأنداد معه ، وهذا حال المشركين ، جاء ذلك في **ست** مواضع ، كما في قوله تعالى : {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ }[3] .

الحالة الخامسة : ورد فيها الإيمان بمعنى التصديق الخبري ، وذلك في **ثلاث** مواضع كما في قوله تعالى : {وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ }[1].

(يؤمن للمؤمنين) ، أي : يصدقهم .

وهكذا .. فما عدا الحالة الأولى ، فإن الإيمان في الحالات الثانية والثالثة والرابعة ذكر في القرآن على وجه الذم ؛ لأنه ليس الإيمان الشرعي المطلوب ، بل هو مجرد ادعاء ، أو إتباع الهوى وتحريف الكلم عن مواضعه ، أو اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله (جل ذكره) . أما الحالة الخامسة : فلا علاقة لها بمفهوم الإيمان الشرعي الذي هو نقيض الكفر والشرك والنفاق ، حيث

(2) سورة البقرة (8) .
(3) سورة يوسف (106).
(1) سورة التوبة (61).

ورد فيها لفظ الإيمان بمعنى التصديق الخبري[2] .

من استقراء نصوص القرآن والسنة ، وأقوال العلماء في مفهوم الإيمان ، بدى أن الإيمان هو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، وأنه التزام وتنفيذ ، وإقرار وامتثال ، وطاعة باللسان والقلب والجوارح ، والعلاقة بين تلك الفروع الثلاث علاقة لا انفكاك عنها ، فأما تصديق القلب : فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وكل ما جاء به الرسولﷺ . وهذا التصديق يتبعه عمل القلب ، وهو : حب الله ورسوله ﷺ وتعظيم الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، والإخلاص له والتوكل عليه .. ، ويتبع الاعتقاد : قول اللسان ، ويتبع عمل القلب : عمل الجوارح ، من : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .. ونحو ذلك) ومن تلك الأركان الثلاث تتركب حقيقة الإيمان[1] . ويمكن أن يشمل الإيمان كل المأمورات الشرعية ، كما يقول العز بن عبد السلام[2] : (.. يجوز إطلاق الإيمان على فعل كل المأمورات ، وترك كل مَنْهِيّ ، سواء كان من أعمال القلوب ، أو الجوراح ، أو الألسنة ، أو الأبدان ، لكونها من فوائد الإيمان)[3].

فالقلب موضع الإيمان الأصلي وهو أهم أجزاء الإيمان . الذي لا يوجد بدونه مهما أقر اللسان وعملت الجوارح من الإيمان ، وهذا يدل على عظم

(2) محمد أمحزون ،حقيقة الإيمان، العدد : 103 ، ص : 8

(1) الزنداني ، **الإيمان** ، ص : (11-13) .

(2) سلطان العلماء (577هـ-660هـ) ولد بدمشق ودفن بالقاهرة ، فقيه شافعي .

(3) العز بن عبد السلام ، **معنى الإيمان والإسلام** ، ص: 14.

علم القلب وعمله وأهميتهما القصوى ، إذ هما مصدر توجيه اللسان والجوارح ومنبع عملها وأساس خيرها وشرها ، لقوله تعالى :{لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥}[4] وقد ورد ذكره في اثنتين وثلاثين ومئة موضعاً من القرآن الكريم . وقد وصف القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله تعالى : {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢}[1] . {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨}[2] .

فالإيمان الصادق بالله تعالى يمد الإنسان بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته ، وهو يشعر أن الله معه دائما ، وهذا من شأنه أن يغرس في نفس المؤمن الشعور بالأمن والطمانينة ، ويعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله ، قال تعالى: { مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١}[3] ، والمؤمن الصادق الإيمان يعلم أيضا أن رزقه بيد الله ، وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين الناس وقدرها ، ولذلك فهو لا يخاف الفقر ، ولا يمتلكه الخوف أو

(4) سورة البقرة (225).
(1) سورة الأنعام (82)
(2) سورة الرعد (28) .
(3) سورة التغابن (11).

القلق ، قال تعالى :{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾}[4] .

فالمؤمن الصادق في إيمانه لا يخاف من الأشياء التي يخاف منها معظم الناس ، كالموت ، والفقر ، والمرض ، ومصائب الدهر ، فهو ذو قدرة كبيرة على تحمل المصائب ، لأنه يرى فيها ابتلاء من الله تعالى يجب أن يصبر عليه ، ومن ثم فهو مطمئن القلب ، آمن النفس ، مرتاح البال .وإن فقدان الإيمان يجعل الحياة خالية من المعاني السامية ، والقيم الإنسانية ، ويفقد الإنسان الشعور برسالته الكبيرة في الحياة كخليفة لله تعالى في الأرض[2] .

لقد وقف القرآن الكريم موقفا حاسما في مسألة الإيمان ، فأول شيء حرص عليه في بداية نزوله ، هو تغيير الإنسان بكل أجزائه ، بواسطة الإيمان ، وكانت الآيات الأولى نزولا ، تهدف إلى ترسيخ الإيمان في النفوس ، وقد نهج القرآن أسلوبا رائعا في بلاغته واستدلالاته العقلية المقنعة ، كان لها الأثر البالغ في الاستجابة ، وفي تقبل الناس لهذه العقيدة الجديدة ، التي أنجبت إنسانا جديدا ، هذا الذي انطلق يبني حضارة راقية ، هي من أروع الحضارات في العالم ، وكان وراء هذه الانطلاقة ، قوة فاعلة إنها قوة الإيمان .

(4) سورة الأحقاف (13)
(2) محمد عثمان نجاتي ، **القرآن وعلم النفس** ، دار الشروق ، بيروت 1987 ، ص: (256-249)

الفصل الثاني

الكون والإنسان
بين
العلم والإيمان

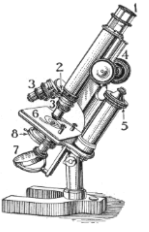

نشأة الكون و منهج العلم

مفهوم الكـــون : يعرفه الفيلسوف الفرنسي " كونت سبو نفيل[1] *A.Comte – Sponville* **بقوله :** (مجموعة كل ما يوجد ماديا) ، ويعرفه الفيزيائي" **بول دايفيس** *Paul Davies*[2] **بقوله :** (هو كل شيء فيزيائي موجود) [3] .

ونلاحظ تقارب بين التعريفين ، فكل منهما يحصر الكون في الأشياء المادية المدركة والخاضعة للتجربة والملاحظة بمعنى أن الأشياء غير المدركة حتى ولو كانت داخل الكون لا تدخل في معنى الكون ، وهذا المفهوم يُنقص من المعنى الحقيقي للكون الذي يشمل الأشياء المدركة وغير المدركة . أما تعريفه بالمفهوم الإسلامي ، كما أورده الدكتورزغلول النجار فهو : (يقصد بلفظ الكون مجموع الموجودات الكائنة من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزمان ، وما تتشكل عليه من كافة المادات والأحياء، ولما كان ذلك يشمل حيزًا كبيرًا من المعارف الإنسانية، خرج الناس بلفظة الكون إلى مدلول أكثر تحديدًا يقتصر على النظام الشامل للأجرام السماوية (المدرك منها حسيًّا وغير المدرك)، بأشكالها وأحجامها، وكتلها، وأبعادها،

(1) أندريه a Comte Sponville فيلسوف فرنسي مُلحد و مادي. ولدَ في باريس عام 1952) ، المصدر : **الموسوعة الحرة** :http://en.wikipedia.org

(2) بول Davies فيزياوي نظريُ ، أستاذ الفلسفةِ الطبيعيةِ في المركزِ الإسترالي Astrobiology في جامعةِ Macquarie. يبحث في أصلِ الكونِ و أصلِ الحياةِ، في عام 1995 فاز بجائزةِ تيمبيلتن - الأكبر في العالم في بحثه حول العِلْمِ والدينِ.

(3) جمال ميموني- نضال قسوم ، **قصة الكون** ، ص: 12- 13 .

وحركاتها، وفى الترابط بينها، وتركيبها الكيميائي، وصفاتها الفيزيائية، والهيئات المختلفة التي تنتظمها وكيفيات نشأتها، وتاريخها، والمصير الذي ينتظرها، وعلى ذلك فإن الدراسات الكونية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: علم الكون (***Cosmology***)، وعلم أصل الكون ***Cosmogenesis***، وهما من المعارف الكلية التي ينطوي تحتها أفرع عديدة من الدراسات المتعلقة بالكون (***Cosmic Sciences***)[1].

والملاحظ أيضا على هذا التعريف للكون التطويل ، بذكر فروع كثيرة تشتت الذهن وتذهب بالتصور الدقيق لمفهوم الكون ، حيث ذكرت جزئيات كانت تغني عنها عبارة " النظام الشامل" الذي من خلاله تدرك بقية الألفاظ الجزئية بدلالة المفهوم ويفضل لو كان التعريف مختصرا على هذا النحو : (**هو النظام الشامل للأجرام السماوية المدركة وغير المدركة**) . وهو ما كان يسمى **بالعالم** ، ويمكن أن يعرف : الكون هو ما سوى الله تعالى . لأن الكون وما فيه من سماوات ومجرات ونجوم وكواكب وشهب ونيازك و ملائكة وإنسان وجان وحيوان ونبات.. ، كل أولئك مخلوقات خلقها الخالق الله تعالى بأمر " كن فيكون " فالكون هو مابين الكاف والنون ، يوم أن كان الله تعالى ولا شيء معه فخلق القلم وأمر بكتابة كل ما سيخلق في المستقبل ، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال حدثني أبي قال سمعت رسول ﷺ

(1) زغول النجار ، الكون ..سبع أراض وسبع سموات ، www.IslamOnline.net

يقول : (**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد**)[1]. هذا والله أعلم وأحكم .

نشأة الكون و النظريات المادية :

لقد كان هذا الكون الواسع والهائل الذي لا تحده حدود موضع تساءل الإنسان منذ زمن طويل ، فهو يريد أن يعرف كيف ظهر إلى الوجود ، وإلى أين سينتهي ، وما هي القوانين التي تعمل ضمن نظامه الدقيق ، وما سر وجوده ، وهل هو حادث أم أزلي قديم ، وهل يمكن أن يكون هناك أزليان ؟ . فكانت هذه الأسئلة محل نقاش بين الفلاسفة والعلماء ، وذلك طوال عصور عديدة ، حيث وضعت أفكار ونظريات عدّة في هذا الصدد ، ولقد كان مفهوم الكون غامضا ومهملا لدى الفلكيين ولعل السبب في ذلك القبول العام بفكرة أن الكون أزلي في القدم وأنه موجود منذ زمن لا نهائي ثابت شكلا ساكن موضعا ، لكن بتقدم العلم ظهرت أفكار جديدة عن الكون صيغت على شكل نظريات علمية تفسر نشأة الكون .

النظرية المادية : (*Materialism Theory*)

ترى أن الكون عبارة عن مواد موجودة منذ الأزل وستبقى إلى الأبد ، وأن الكون يتجدد باستمرار إذ تفنى مجراته ونجومه ويحل محلها

(1) رواه الترمذي ، وقال حسن غريب ، " مشكاة المصابيح " ، التبريزي ، تحقيق الألباني ، ص :34 ، رقم : 94 ، وقال عنه الألباني : حديث صحيح له طرق عدة .

مجرات ونجوم أخرى إلى مالا نهاية ، وهذه الفكرة كانت تشكل الأساس للفلسفة المادية التي كانت تدافع عن أزلية الكون وفي الوقت نفسه تنكر وجود خالق للكون ، وهي فلسفة ترى أن المادة هي الوجود المطلق وأن العقل مقتدر على أن يعرف معرفة يقينية بعض الحقائق عن الكون وذلك عن طريق الطرق الرياضية التي لا تخطئ [1] .

وهذه الفلسفة تمتد في التاريخ إلى الفلسفة الإغريقية ، حيث تأثر بها فلاسفة أوروبا ، وهي الفلسفة التي كانت ترجع مصير الكون إلى الطرق الرياضية والقوانين الفيزيائية . ومع بداية القرن التاسع عشر صارت هذه الفكرة مقبولة بشكل واسع حتى بداية القرن العشرين على يد **كارل ماركس**[2] وسميت بالمادية الجدلية ***Dialectical Materialism*** ، الذي كان يرى في أنموذج الكون اللانهائي والأزلي أهم أساس في الفلسفة الإلحادية ، فمثلا نرى الفيلسوف المادي **جورج بوليتزر**[3] الذي اقتنع بفكرة أزلية الكون ودافع عنها في كتبه المنشورة في أوائل القرن العشرين وكان النصير الغيور للأفكار الماركسية والمادية وعارض فكرة الخلق بقوله : (لو كان الكون مخلوقا لكان من الضروري أن يكون مخلوقا من قبل الله في لحظة واحدة) ، ونجد أن

(1) نايف معروف ، **الإنسان والعقل** ، المرجع السابق ، ص : (87 -88).

(2) Karl Marx ولد بروسيا ومات بلندن 1883 شيوعي ملحد وفيلسوف إجتماعي ، وإقتصادي. مَعرُوف بِإسمِ " البيان الشيوعي "، من مؤسسي النظام الإشتراكي .

(3) فيلسوف فرنسي وماركسي theoretician هنغاري الأصل ، مات سنة 1942) م

أصحاب هذه النظرية قد انتصروا لفكرة سرمدية الكون حتى ولو لم تكن لهم قاعدة علمية ولو كانت ضعيفة لتتأكد فكرتهم، وقد قام أصحاب النظرية المادية بعدة تجارب لإثبات مزاعمهم ومن بينها فرضية سميت بـ : (**نظرية انعدام الترتيب**) وقد تضمنت حسابات جبرية وتجارب فيزيائية وكيميائية لإثبات انعدام النظام في الكون ، ولكن جميع التجارب والبحوث العلمية التي قاموا بها آلت إلى الفشل ، بل كانت كل تجربة يقومون بها توصلهم إلى حقيقة ، والتي مفادها أن الكون يحتوي على نظام بديع[1] .

2 - **نظرية الحالة الثابتة** : وتسمى نظرية الخلق المتجدد ***Continuous Creation Theory*** من المتحمسين لهذه النظرية هرمان بوندي[2] ***H. Bondi*** و فرد هويل[3] ***Fred Hoyle*** ، وقد ظهرت هذه النظرية في أواخر الخمسينيات من هذا القرن ، و أصحاب هذه النظرية يطورون نظرية اينشتاين ، حيث ترى هذه النظرية أن الكون نشأ عن مادة أولى لها بدءا زمنيا ، وأن الكون ليس هو هو كما كان منذ نشأته وإنما يتجدد باستمرار إذ تفنى مجرات ونجوم ويحل محلها مجرات ونجوم أخرى ، وهكذا إلى ما لا نهاية ،

(1) هارون يحي ، خلق الكون (the_creation_of_the_universe ، شريط علمي

(2) عالمَ رياضيات إنجليزيَ نمساويَ من أصل يهودي ، ولد سنة 1919 وتوفي في 2005) ، طور النظريةِ الثابتةِ الرسميةِ للكونِ مَع فريد Hoyle .

(3) فلكي بريطاني ولد 1915 في Bingley،ومات عام 2001 في إنجلترا) له نظرية عكس نظرية الإنفجار العظيم .

وهي تعترض على تفسير اينشتاين والنظرية التطورية للتمدد بأنه نتيجة انفجار الذرة الأولى الشديدة التركيز في حيز محدود والبالغة الكثافة ، ويفسر هويل ظاهرة التمدد بافتراضه أن الذرة الأولى لم تبدأ في صورة مركزة في حيز محدود ، وإنما كانت هذه المادة الأولى منتشرة منذ البدء ، وتكثفت بعض أجزائها لتؤلف مجرات ونجوما ، ثم تفنى بعض أجزائها لينشأ عنها أجزاء جديدة . وينشأ هذا التجدد من مجال تولّده المادة الموجودة من قبل ، يسمونه مجال الخلق ، كما أن لها مجال جاذبية ، وتُخلق ذرات الهيدروجين بطريقة متصلة لا تلبث أن تتركز فتؤلف المجرات والنجوم ، وهذه تفقد ما بها من إشعاع في ملايين السنين ثم يتجمع مرة أخرى ليؤلف وحدات أخرى أكبر مما كانت ، وهذه تتجمع بدورها بتأثير الجذب لتؤلف السدم* .

وعن السدم تتألف المجرات بنفس الطريقة ، وهكذا يعيد الكون نفسه في كون وتمدد وانكماش إلى زمن لا متناهي.

فعلى الرغم من أن نظرية الخلق المتجدد تنادي بالخلق غير أنها لا تنادي بخلق الله للكون لا لأسباب علمية تمنع خلق المادة الأولى وإنما لاتخاذ أصحابها موقف

* السدم : هو عبارة عن سحابة من الغبار تتكون نتيجة ظروف معينة في غالبيتها من انفجار أو مخلفات نجوم قد انفجرت نتيجة لاختلال في عملياتها منها تقدم عمر النجم وانتهاء عمره.

الفلسفة المادية[1] وهذا الموقف نجده واضحا في اعتراف دينيز سكايما ***Dennis Sciama*** ، الذي كان من أكبر المدافعين عن نظرية المصادفة ، وعبر عن موقفه بكل وضوح بعد أن تبينت الأدلة القاطعة على بطلانها بالبراهين العلمية وتحطمت الأفكار المادية أمام الحجج العلمية التي تثبت خلق الكون كما سنرى في نظرية الانفجار الكبير

- في العام 1960بشكل خاص أثبتت التجارب أن التوازن الفيزيائي الدقيق الموجود في الكون هو الضمان الوحيد لتواصل حياة الإنسان، وأن أي خلل في الموازين الثابتة التي تحكم الكون يجعل الحياة مستحيلة ، وتوصل علماء الكون والفيزياء النظرية إلى حقيقة كون أن الثوابت والمعايير الكونية سببا لاستمرار الحياة ، وقد حيرت هذه الحقيقة العلماء حتى أطلقوا عليها " المعيار الدقيق ***FineTuning*** " ، وقد عبر عن هذه الحقيقة الكونية المدهشة البروفيسور **جون أوكيف** ***John Okeefe*** ، الباحث الفضائي في وكالة " ناسا ***NASA*** "الأمريكية بقوله : " **عندما نأخذ المعايير الفلكية القياسية بعين الاعتبار نجد أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من البشر تعيش تحت رعاية ورحمة قوة خفية** ...) ، ويقول الباحث الرياضي البروفيسور روجر بنروز ***Prof. Roger Perose*** : (أود أن أقول صراحة أن للكون هدفا من الوجود ولا مكان أبدا للخطأ في هذا التكوين "[2]

(1) حمود فهمي زيدان، **من نظريات العلم المعاصر**، ص:(124- 125
(2) هارون يحي ، سلسلة المعجزات ، تركيا ، ص: 12 /13

نقد هذه النظريات :

- إن اكتشاف الإنسان لظاهرة الإشعاع كان أول ضربة قاضية لنظرية أزلية الكون ، فما دامت الشمس وجميع النجوم الأخرى مشتعلة وتبعث الإشعاعات، إذن فلا بد من وجود بداية لها ؛ لأنها لو كانت أزلية لنفد وقودها منذ مليارات السنوات .

لقد اكتشف "فاستو مالفن سليفر" العام ثلاثة عشر وتسعمئة وألف للميلاد أن بعض الأجسام التي كان يعتقد سابقًا أنها غبار كوني - تبتعد عنا بسرعة ثمان مئة والف كيلومتر في الثانية ، وكان هذا الاكتشاف مفاجأة كبيرة للعلماء، ولم تكن تلك الأجسام إلا مجرات بعيدة عنا.. ثم أعلن "أدوين هوبل" العام تسع وعشرون وتسعمئة وألف للميلاد قانونه المعروف : **(إن المجرات تبتعد عنا بسرعة تتناسب طرديًّا مع بعدها عنا)** ، كما تبين فيما بعد أن المجرات لا تبتعد فقط عنا، بل هي تتباعد فيما بينها كذلك. وكان هذا يعني أن الكون يتوسع على الدوام، وما دام الكون في توسع دائم، إذن لو شغَّلنا الفيلم عكسيًّا - أي إلى الوراء ، فمن الضروري أن الكون كله كان متركزًا في السابق في نقطة واحدة أطلق عليها العلماء اسم "الذرة البدائية" . وقال علماء آخرون إن حجم هذه النقطة كان يساوي الصفر وكتلته لا نهائية. وهذا يعني أن الكون ظهر من العدم ؛ لأن هذا هو معنى نقطة حجمها يساوي صفر.

- ولكن أي قوة تقوم بقذف مائة مليار مجرة بسرعة مبعدة الواحدة عن الأخرى وموسعة الكون نتيجة هذا التباعد السريع؟ إن لم تكن صادرة من قبل خالق مبدع .
- تكون قوة الجاذبية أو قوة التنافر الكهربائي بين الأقطاب المتشابهة هي هذه القوة، فقوة الجاذبية قوة تحاول جذب الأجرام السماوية نحو المركز وليس إبعادها نحو الخارج. كما أن قوة التنافر الكهربائية أضعف بكثير من القيام بمثل هذه العملية. ونظرًا لوجود تعادل كهربائي في الكون فمثل هذه القوة لا وجود لها تقريبًا بين الأجرام السماوية ، إذن فلا بد أن انفجارًا هائلاً حدث عند ميلاد الكون هو الذي أدى إلى توسع الكون. وقد أطلق العلماء على هذا الانفجار اسم الانفجار الكبير[1] .

فكل النتائج التي تم التوصل إليها حتى يومنا هذا تشير إلى استحالة حدوث المصادفة في أي مكان أو زمان في الكون .

النظرية النسبية ونظرية الانفجار العظيم :

صاغ اينشتاين نظريته ليعطي تصورا جديدا للكون، وأهم عناصر النظرية أربعة :

أ - الكون مقفل منحني : يرى بأن الأرض كروية ، وأن الضوء يسير بشكل منحني ، وما يصدق على الأرض يصدق على الكون ، وأن

(1) هارون يحي ، **سلسلة المعجزات** ، ص: 12 /13

الخطوط المستقيمة هي دوائر ضخمة ، وبذلك تدور الأجرام السماوية في خطوط منحنية على سطح منحن ، ولا يمتد الفضاء إلى غير نهاية وإنما ينثني على نفسه و أنه يمكن قياس محيطه حيث تمكن فيما بعد **هابل** *Hubble* من حساب كثافة المادة في الكون ، وطبقها على معادلات اينشتاين فقدر نصف قطر الكون بـ **خمس وثلاثين** بليون سنة ضوئية **(21×10^{22} ميلاً).**[1]

ب - المتصل الرباعي الأبعاد : أعلن اينشتاين أن الكون كون مكاني زماني ، ذو أربعة أبعاد ويسمى هذا الوجود الرباعي الأبعاد ، المتصل ***Continuum*** ، حيث يعتبر أن الزمان والمكان كيانا واحدا ، وفي الفضاء ثلاث أبعاد : الطول ، العرض ، الارتفاع ، والبعد الرابع هو الزمن ، غير أن الزمن ليس بعدا رابعا يضاف إلى الأبعاد المكانية الثلاثة ، وإنما يمكن للزمن أن يكون أي بعد ، فالنجوم والمجرات بعيدة عنا في المكان ، وهي أيضا بعيدة عنا في الزمان ، ويرى بأن هذا المتصل المكاني –الزماني يحوي حوادث ، والحادث هو : " أي شيء يسبق شيئا آخر أو يتبعه أو يتداخل معه "[2] وأن هذه الحوادث مؤلفة من حوادث ، وأن الحادثة ليست موضوع إدراك حسي وإنما هي شيء يوصف وصفا رياضيا فقط ، أو أنه استدلال من مقدمات رياضية ، فالحادثة هي أي جسم مادي مؤلف من حوادث ، فشعاع الضوء مجموعة حوادث ، والإلكترون مجموعة حوادث وهذه الحوادث مجموعة حوادث تؤلف نسيجا أو سلسلة يرتبط بعضها

(1) محمود زيدان ، **من ظريات العلم المعاصر**.. ،السابق ، ص : 62،63 ، 64
(2) محمود زيدان ، المرجع السابق ، ص:60

بـبعض وتتـداخل حسـب علاقـات رياضـية خاصـة . فالجسـم سلسـلة مـن حـوادث مترابطـة ، والعـالم لا يتـألف مـن مـواد وإنمـا مـن حـوادث تترابـط بقوانين ، ولا توجد أشياء لها خاصة الثبات والاستمرار والاتصال فذلك خـداع وإنمـا توجـد حـوادث مترابطـة متداخلـة أو متعاقبـة ، فـالمنظر الـذي نشاهده في السينما شيء واحد لـه ديمومة معينة وهـو حـوادث متتابعة تبـدوا كشيء واحد ثابت[1].

ج - **الكون المتمدد** : يعبر عنه اينشتاين بقوله : " الكون محدود لكنه بـدون حـدود " ***finite but unbounded*** والمقصـود بعبـارة " بدون حدود " أن الكون يغير من حجمه وهو يتمـدد ويـتقلص باسـتمرار ، وقـد شبهه بالبالون الذي عليه نقط أو بقع ، والنقـط في البـالون تمثـل المادة في الكون ، وحين ننفخ البالون المنقط تتمدد الـنقط أو البقـع ، مـع تمـدد البـالون ، والفـارق بـين الكـون والبـالون أن الأجـرام السـماوية في الكون لا تتمدد وإنما الذي يتمدد هو المسافات التي بينها ،وهذا ما أثبتـه علمـاء الفلـك فيمـا بعـد بمشـاهدة الطيـف الصـادر عـن النجـوم (انظـر الشكل) . وهكذا تصور اينشـتاين أن الكـون يتمـدد ويـتقلص باسـتمرار ليحافظ على اتزانه ويحفظه من الانفجـار ، وجـاء فرضـه بانحنـاء الكـون أساسا لتحقيق هذا التوازن[2].

(1) محمود زيدان ، السابق ، ص:61
(2) زيدان ، السابق ،ص: 69 ،70 .

د - نظريـة الجاذبيـة : لقـد دمـج اينشـتاين بـين الطاقـة والمـادة وجعل منهما قانونا واحدا هو قانون تكافؤ المادة والطاقة ، فبعـد أن كنـا نتصـور الكـون مؤلفـا عنـد نيـوتن مـن جزيئـات تتحـرك في مكـان وزمـن أصبحنا نتصـور الكـون عنـد اينشـتاين مؤلفـا مـن حـوادث ، فقـد دمـج المكـان والزمـان ليؤلفـا متصـلا كرويـا رباعي الأبعـاد ، وأعطـى تفسـيرا جديـدا لقـانون الجاذبيـة ، مـن المعـروف أن قـانون القـوة هـو أن (كميـة الحركة تتناسب طرديا مع القوة المحركة ، وتسـاوي حاصـل ضـرب كتلـة الجسم في تغير السرعة التي تحدثها تلك القوة) ، ومن ثم توجـد علاقـة بـين كتلـة جسـم مـا وتغـير سـرعته ، فكلمـا زادت كتلـة الجسـم زادت الجاذبية عليه ، ونيـوتن لم يفسـر العلاقـة بين الكتلـة وسـرعة الحركـة ، فجاء اينشتاين ليفسرها ويقول إن الجاذبية ليست " قـوة " ومعنـى هـذا أن الجاذبيـة لا تتضـمن أيـة قـوة وإنمـا هـي طريقـة سـلوك الأجسـام في مجـال جـاذبي ، مثـل المجـال المغناطيسـي ، فهـو يـرى أن النجـوم والكواكـب تؤلـف مجـالات جاذبيـة حولهـا في الفضـاء ، ومـا يحـدد تركيـب المجـال الجاذبي كتلة الجسم الجاذب وسرعته . وإذن فتركيب الكـون بالإجمـال تحدده مجموعة ما يحتويه من مادة ، وكل كثافة في المادة يصحبه تشويه في المتصل المكاني -الزماني . كمثل كرة ثقيلة من الرصاص وضعتها علـى وسـادة ، فإنهـا تحـدث منحنيـا علـى الوسـادة ، فكلمـا تركـزت المـادة في منطقة من المتصل زاد انحناؤه ، وبذلك أصبحت الجاذبيـة عنـد اينشـتاين جزءا من هندسة المكان ، المكان منحني كـروي ، لكـن الكرويـة ليسـت

كاملة وإنما بها تشويهات ونتوءات بفضل كثافة المادة فيه والمادة تتحرك في المكان بقصور ذاتي دائري على سطح الكرة[1] . (انظر الشكل)

نحن الآن أمام نتيجة علمية وفلسفية معا توصل إليها اينشتاين في نظريته النسبية ، وهي أن للكون بدءًا زمنيا ، وأن للكون نهاية زمنية يفنى عندها كل شيء فيه ، وهذه النتيجة مثيرة للفلاسفة الذين كانوا يتساءلون عما إذا كان العالم قديما لا أول له ولا آخر ، أم أنه مخلوق نشأ من العدم ، وله نهاية ومآله إلى الفناء[2] .

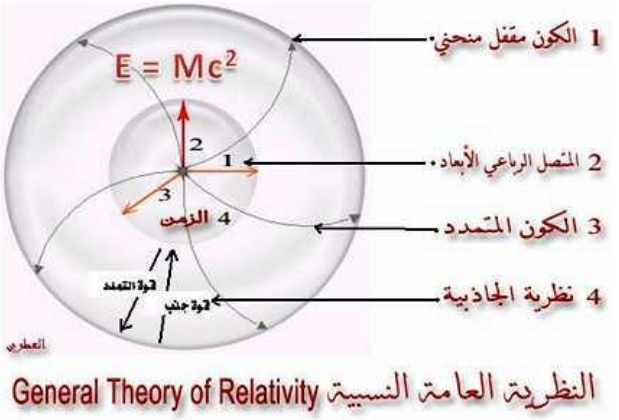

رسم تخطيطي يوضح نظرية اينشتاين في إثبات خلق الكون

(1) محمود زيدان ، المرجع السابق ، ص: (65-67)
(2) محمود زيدان ، **من نظريات العلم المعاصر** ، ص: 117

فهكذا رد اينشتاين بنظريته هذه على الفلاسفة الماديين وأثبت لهم خلق الكون من العدم ، فهو يعتقد بوجود خالق لهذا الكون وهو الله ، لكنه لم يكن مشغولا بإعطاء براهين على وجود الله ، ورغم ذلك قدم دليلين أحدهما " الدليل الجمالي " والثاني " دليل التدبير "[1] .

وخلاصة الدليل الجمالي : إننا حين نرى الكون نحس بروعته وعظمته ، كما نحس بضعف الإنسان أمامه ، وبجهله بأسراره ، مما يحملنا على الاعتقاد بقوة عليا وفي ذلك يقول اينشتاين : " تتألف ديانتي من الإعجاب المتواضع بذلك الوجود اللامتناهي الذي يكشف عن ذاته في تلك التفصيلات القليلة التي تستطيع عقولنا الواهنة إدراكها ، هذا الاعتقاد العاطفي بوجود قوة عاقلة عليا هو جوهر فكرتي عن الله " .

وخلاصة دليل التدبير : أنه ينكر الصدفة في الكون ويعتقد أن كل ما به خاضع لقوانين صارمة متماسكة مترابطة ، على نحو يجعلنا نعتقد أن بالكون نظاما ، أقامه عقل يفوق تصورنا لأن كل شيء في الكون خاضع لقوتين أساسيتين هما الجاذبية والمغنطيسية الكهربائية ، ويمكن صياغتها في مجموعة واحدة من المعادلات المتسقة[2] .

وإن كان اينشتاين وغيره من الفلاسفة وعلماء الفيزياء والفلك قد أثبتوا خلق الكون ، فالواقع أن الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – قد سبقهم جميعا في الإجابة على جميع المشاكل المثارة حول خلق

(1) محمود زيدان ، ص: 120
(2) محمود زيدان ، ص: 121

العالم والفرق الزماني بين الأزل وبين بدء خلق الكون، فقال بأن الكون حادث وأنه لم يكن قبله زمان... أي أن الزمان والمكان بدآ بعد خلق الكون؛ لأن الزمن مرتبط بالحركة، ولو تصورنا أن كل شيء في الكون قد سكن وتوقف إذن لتوقف الزمن، أي لم يَعُد هناك زمان. وهكذا فمن الخطأ توهم وجود زمان قبل خلق الكون. وعندما أشارت النظرية النسبية إلى أن الزمن بُعْد رابع كان من البديهي عدم وجود الزمن في عالم لم تخلق بعد أبعاده الأخرى[1].

نظرية الانفجار الكبير : *BIG BANG THEORY*

نعرف اليوم أن الكون ولد قبل خمسة عشر مليار سنة ضوئية من انفجار لا يمكن تصوره .

وتذهب (نظرية الانفجار العظيم أن الكون بدأ من لحظة (رياضية) متفردة ، حيث تنهار كل قوانين الفيزياء ، فينعدم الزمان ويختفي المكان ، وتقف القوانين عن العمل ولا يبقى أي أثر للمادة أو الطاقة . كل الكون كان مضغوطاً في حيز أقل من بروتون واحد ، ثم انفجر في أقل من سكستليون من الثانية على شكل طاقة مهولة ثم برد فشكّل كل المجرات ؛ فبدأ المكان في التشكل ، والزمان في الحركة ، والقوانين في العمل ، والمادة في الظهور ، والطاقة في التألق).

(1) أورخان محمد علي ، **حدوث الكون** .. **مجلة حراء** ، س:1 ، ع:1، سبتمبر 2005 ،ص:57

ولكي نعرف الحقيقة العلمية من البداية ، فإن ذلك يرجع إلى ما قام به العالم الفيزيائي **ألكسندر فريدمان** العام 1922م بوضع حسابات رياضية بين فيها أن تركيب الكون ليس ساكنا ، وكان **جورج لوميتر** الفلكي البلجيكي أول من أدرك أهمية الأعمال التي كان فريدان يقوم بها ، فأعلن أن للكون بداية ، وأنه في تمدد متواصل ، ولكن هذه التأملات النظرية لهذين العالمين لم تحض باهتمام يذكر ، حتى جاء العالم هوبل الذي توصل إلى حقائق علمية مثيرة ، كانت من أعظم الاكتشافات في تاريخ علم الفلك فقد اكتشف بواسطة التلسكوب العملاق ، أن أطياف الحزم الضوئية المسافرة نحو نقطة الرصد تميل نحو الطرف البنفسجي من الطيف ، بينما أطياف حزم الضوء المسافرة بعيدا عن نقطة الرصد تميل نحو الأحمر .

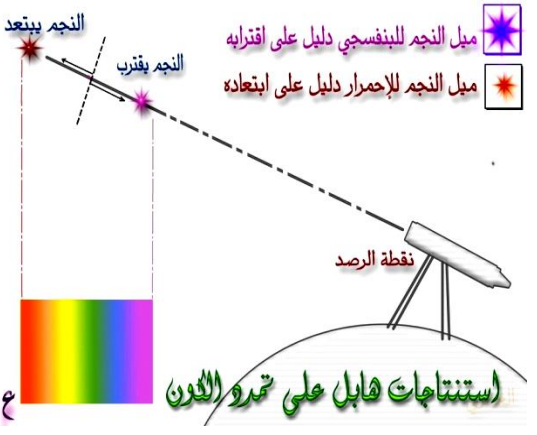

تماماً مثل صوت صفارة القطار أثناء حركته بعيداً عن الرصد فإن ذلك الصوت يكون خشناً غليظاً أما إذا كان القطار مقترباً فإن الصوت المسموع يكون حاداً ورفيعاً ، وهكذا استنتج هابل أن الكون في تمدد بانتظام وتؤدة ، وهذا ما تنبأ به قبل فترة من الزمن العالم **ألبرت اينشتاين** العام 1915م ، كما رأينا في نظريته النسبية . ولكن ماذا يعني أن الكون في توسع وتمدد دائم ؟ انه يعني أن الكون كانت

له نقطة بداية ، لأننا لو شغلنا الفيلم عكسيًّا - أي إلى الوراء - فمن الضروري أن الكون كله كان متركزًا في السابق في نقطة واحدة أطلق عليها العلماء اسم "الذرة البدائية". وقال علماء آخرون إن حجم هذه النقطة كان يساوي الصفر وكتلته لا نهائية. وهذا تعبير آخر من أن الكون ظهر من العدم ؛ لأن هذا هو معنى نقطة حجمها يساوي صفر[1].

إذن فلا بد أن انفجارًا هائلاً حدث عند ميلاد الكون هو الذي أدى إلى توسع الكون. وقد أطلق العلماء على هذا الانفجار اسم (**الانفجار الكبير**) ***BIG BANG*** ، و الصيغة الحالية لها باختصار، هي: **(أن انفجارًا هائلاً وقع في هذه الذرة البدائية التي كانت تحتوي على مجموع المادة والطاقة. وفي اللحظات الأولى من الانفجار الهائل ارتفعت درجة الحرارة إلى عدة تريليونات ؛ حيث خلقت فيها أجزاء الذرات، ومن هذه الأجزاء خلقت الذرات، ومن هذه الذرات تألف الغبار الكوني الذي نشأت منه المجرات فيما بعد)**[2]

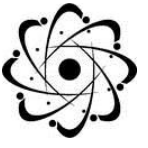

(1) هارون يحي ، خلق الكون من العدم والانفجار الكوني الكبير، موقع هارون يحي

(2) أورخان محمد علي ، مولد الكون ، ص:1

ويذكر أن تاريخ الانفجار في الأغلب كان قبل خمسة عشر مليار سنة تقريبًا، غير أن هناك دراسة جديدة تعتقد بأن الكون قد وجد منذ سبعون مليونا وثلاثة عشرة مليار سنة وأن الكون خاضع لطاقة مجهولة

ومن الأدلة على نظرية الانفجار الكبير:

- **وجود الإشعاع الكوني**، فقد قال العلماء بأنه لو كان هناك مثل هذا الانفجار لكان من الضروري أن يخلف وراءه إشعاعًا. وفعلاً تم العثور على هذا الإشعاع عندما أرسلت مؤسسة (ناسا) الأمريكية لأبحاث الفضاء قمرًا صناعيًّا لغرض التثبت من هذا الإشعاع العام تسع وثمانون وتسعمئة وألف م وزودته بأحدث الأجهزة الحساسة، واحتاج هذا القمر الصناعي لثماني دقائق فقط للعثور على هذا الإشعاع وقياسه.

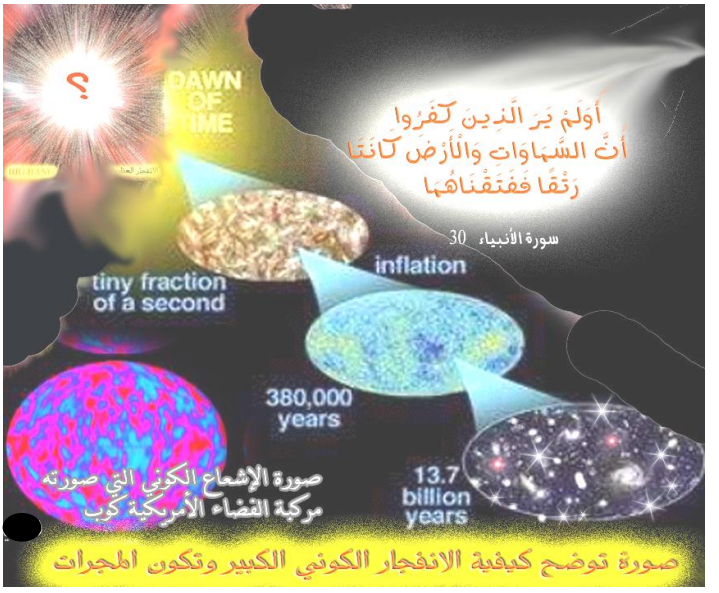

- إن مقادير ونسب وجود غازَي الهيدروجين والهليوم في الكون تتطابقان مع حسابات هذه النظرية، ولو كان الكون أزليًّا لاحترق جميع الهيدروجين وتحول إلى غاز الهليوم.

وبفضل جميع هذه الأدلة كسبت نظرية الانفجار الكبير القبول شبه الكامل من قبل الأوساط العلمية . وفي مقالة صدرت في العام 1994م في مجلة (الأمريكية العلمية) ذكر أن نموذج الانفجار الكبير هو الوحيد القادر على تعليل تمدد الكون بانتظام، كما أنه يفسر النتائج المشاهدة[1]

(1) أورخان محمد علي ، مولد الكون ، مقال ، استنبول ، 2000/11/16 ، ص : 2

ولا تكمن أهمية نظرية "الانفجار الكبير" في الجانب العلمي والفلكي فقط ، فهذه النظرية سحبت عذرًا قويًّا كان يستند إليه الفلاسفة والمفكرون والعلماء الملحدون ؛ لأنها أنهت أسطورة "أزلية المادة وأزلية الكون وأثبت خلق الكون من العدم من قبل الله تعالى " وقد امتعض العديد منهم من هذه النظرية وأعلنوا اعترافاتهم ، فمثلاً يقول الفيلسوف الملحد (أنطوني فلوف) : (**يقولون : إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية. وأنا سأدلي باعتراف : إن أنموذج الانفجار الكبير شيء محرج جدًّا بالنسبة للملحدين ؛ لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية... فكرة أن للكون بداية**)[1]

(1) أورخان محمد على ، ص : 2

نشأة الكون ومنهج الإيمان

القرآن و التفكر في الكون :

كلما اكتشف العلماء حقائق علمية جديدة ، كان للقرآن السبق في ذلك ، فنحن أمام معجزة متجددة تتماشى مع الزمان والمكان ، فالقرآن معجز لكل البشر كل حسب اختصاصه ، الحقائق العلمية التي يقررها العلم الحديث ، هي ذاتها في جميع أنحاء العالم ، لذلك فقد اختار الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ معجزة القرآن الذي يتميز بتعدد أنواع الإعجاز فيه ، وما الإعجاز العلمي إلا نوع من الأنواع اللامتناهية لإعجازات هذا القرآن .

والقرآن قد أمرنا أن نستخرج الحقائق الكونية ، و دعانا إلى التفكر في الكون و الإنسان فقال تعالى: { قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ }[1]،

وقوله تعالى (وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[2].

فحين نتأمل القرآن ونستقرأ آياته ، نجده يوجه الإنسان إلى التعرف على دلائل قدرة الخالق ، ويجعل من الكون والظواهر الطبيعية المجال الرحب لهذا التدبر ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[3].

(1) سورة العنكبوت (20 .
(2) سورة الذاريات (20-21) .
(3) سورة يونس (101) .

وقد أوضح الخالق ﷻ أن التدبر في الآيات الكونية يهدي إلى معرفة الحق والحقيقة قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1] وهذه دعوة من الله ﷻ لكل ذي عقل أن يتفكر في خلق الكون ، وخلق الإنسان ، وما عملنا هذا الذي نقوم به إلا استجابة لنداء الحق سبحانه لنعيش رحلة من التفكر في آيات الله الكونية و القرآنية الموصولة إلى الإيمان الصادق ، الذي يقوم على التفكير والتدبر فقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم المفكرون .

وهناك فرق بين من يقوم إيمانه على العلم ، ومن يقوم إيمانه على التسليم ، قال تعالى: {﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2] إذن فلا نستغرب أن يقوم الإيمان على المشاهدة العلمية وبيان عظمة الله في خلقه . فالكون الذي نراه بأعيننا ونقرأه بفكرنا ، إن هو إلا كتاب منظور يكمل كتاب الله المقروء ويثبت صدقه ، فقد أكد القرآن على استخدام منهج العقل والعلم ، في مقابل منهج الوحي والإيمان، فقال

(1) سورة آل عمران (190-191) .
(2) سورة المجادلة (11) .

تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾}[3] ، فكل ما هو موجود في هذا الكون يحكي لنا قدرة الله العظيمة في الخلق ، خصوصا بعد التطورات العلمية الحديثة والحقائق المذهلة التي توصل إليها علماء الغرب* ، وفي الحقيقة أن هذه التطورات العلمية تعتبر حجة على الإنسان وخصوصا الكفار ، الذين أصروا على كفرهم ، كما تعتبر فتحا جديدا للإسلام كما يقول زغلول النجار :" إن فهم الإشارات الكونية في كتاب الله على ضوء ما تجمع للبشرية اليوم من معارف ، وتقدمها للعالم كواحد من الأدلة العديدة على أن القرآن الكريم ، هو كلام الله الذي أنزله بعلمه ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي حفظ بحفظ الله بنفس اللغة التي أوحى بها ، بدقائق حروفه وكلماته وآياته ، وسوره يعتبر

(3) سورة البقرة (111) .

* هناك من يقول " أنتم دائما تقولون لنا : هذا الأمر موجود عندنا في القرآن منذ خمسة عشر سنة ، وأنتم ماذا فعلتم ؟ هل اكتشفتم هذا قبلهم ؟" ، و يمكن أن نرد على هذا الكلام فيما يلي:

أ- نحن لسنا في حاجة للبرهنة على أمر فصل فيه القرآن الكريم لاعتقادنا الجازم بأن القرآن الكريم هو الفصل الذي لا يحتمل الخطأ أبداً ، وهذا بما يتوافق وإيماننا العميق بكل ما جاء به النبي محمد ﷺ من إخبار سواء في القرآن أو السنة الصحيحة ، ثم أن القرآن الكريم نفسه حينما يتحدث عن الظواهر الكونية لا يهتم بتفاصيلها ويكتفي بإبراد البعد الإيماني والتعبدي ، وهذا الذي يهمنا حتى لا تصرف الجهود والطاقات فيما يبعدنا عن المهمة الأساسية التي خلق من أجلها الإنسان .

ب- وإن سلمنا بأن على المسلمين أن يبذلوا جهدا علميا كما كانوا سابقا ، فإننا نصطدم بالواقع المنظور ، والمسموع حيث نجد سيطرة أعداء الإسلام على وسائل الإعلام والإقتصاد العالمي ، ونتج عن ذلك سيطرة على التفكير و والتطوير، والغرب يحفظ الدرس جيدا ويعلم ماذا تعني كلمة " الحضارة الإسلامية " .

ج- إن التطورات العلمية التي تكتشف في الغرب وفي أمريكا ، إنما هي حجة عليهم ، ففي ذلك حكمة إلهية بالغة حيث يصنعون الحجة بأيديهم وبعقولهم ، فمن آمن منهم فقد فاز ، ومن كفر فقد خاب وخسر والشهادة ضده ، ونحن نسمع ونشاهد الكثير من يُسلم بعد معرفته للحقيقة ماثلة أمامه ، ولعل هذه الحقيقة لو كانت بيد المسلمين ما أسلم هؤلاء جحودا منهم وتكبرا ، ولنا في قصص اليهود عبر – والله أعلم وأحكم -

فتحا جديدا للإسلام ، وانقاذا للبشرية من الهاوية التي تتردى فيها اليوم بسبب تقدمها العلمي والتقني المذهل وتضاؤل روح الإيمان بالله "

إن هذه التطورات العلمية الحديثة ، وموافقتها لما جاء به القرآن ، تدعوا الناس إلى الإطلاع على كتاب الله الذي ما اطلع عليه عاقل إلا ويشهد له بأنه كلام الله الذي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله أبدا ، وفي ذلك تحييد لحجم الكراهية الشديدة التي غرستها وسائل الإعلام الدولية للإسلام والمسلمين في قلوب الملايين[1] .

الكـون و القرآن :

كلمة " **الكون**" لم ترد في القرآن بهذا اللفظ ، ولكن وردت بالمعنى ، فقد عبر الله تعالى عن هذا المفهوم بلفظ " السماء الدنيا " أو " السماوات " أو " الفلك " ، وقد استنتج العلماء لفظ " الكون" من آيات التكوين التي أشار إليها قوله تعالى : { **إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾** }[2] ، وقال العلماء أن الكون مرادف للوجود ، فقد استعمل فلاسفة الإسلام والمتكلمون لفظ " الوجود" ولفظ " العالم " إشارة لمعنى الكون .

وقد عدد الدكتور عبد الله شحاتة الآيات الكونية[3] في القرآن فوصلت إلى خمس وخمسين موضعا وقد تكررت إلى خمسين وسبعمائة

(1) زغلول النجار ، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالاتها العلمية ، مقال على موقع : www.maknoon.com

(2) سورة يس (82) .

(3) عبد الله شحاتة ، **تفسير الآيات الكونية** ، دار الاعتصام ، القاهرة 1977 ، ص: 32-47

آية ، فقد ذكرت الأرض واحد وخمسون وأربع مائة مرة ، والسماوات عشر وثلاثمائة مرة ، والشمس ثلاث وثلاثون مرة والنجوم والنجم أحد عشرة مرة ، بالإضافة إلى الظواهر الأخرى ، ويقول في تعليقه عليها :

" إذا أمعنا النظر في الآيات الكونية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، اتضح لنا أن كل شيء في هذا الكون قد خلق بقدر معلوم ، ودقة متناهية وحكمة مدبرة "[1] ، فالقرآن قد ذكر هذه الظواهر الكونية ليس لذاتها ، وإنما هي مرتبطة بقدرة مدبرة ومسيرة للكون فهي دعوة عملية للإيمان بالله من منطلق أن كل ما نشاهده في هذا الكون خاضع للنظام الدقيق ، وللعناية الفائقة به ، وآيات القرآن الكونية تمتاز بمنتهى الدقة في التعبير والشمول في المعنى والدلالة ، وبالسبق الإخباري بحقائق لم يتيسر للإنسان الإلمام بها ، إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين ، بحيث يدرك فيه كل جيل ما يتناسب ومستوياتهم الفكرية ، وما وصلوا إليه من علوم عن الكون وما فيه ، وهذا بحد ذاته يشكل صورة من صور الإعجاز ، وتبقى هذه الآيات بيانا من الله على صدق نبوة محمد ﷺ وردا صريحا على الملحدين والمنكرين ، وتثبيتا للمؤمنين ، ونصرا للحق ، لأن القرآن يصر على تسمية ذلك بالحق ، قال تعالى : {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ}[2] .

والتمسك بالحق يعني التمسك بالقرآن الذي يتجلى بإعجازه في عصر العلم ، فحين نمعن النظر في الآيات الكونية نجد ذلك الاتزان الدقيق ،

(1) عبد الله شحاتة ، المرجع السابق ، ص : 49 .
(2) سورة الحجر (85) .

بحيث لو اختل قيد شعرة لأنهار كل شيء ، وهذا الاتزان في الكون منذ ملايين السنين يدل على العناية الإلهية التي نحيا في ظلها ، وتلك الروعة والجمال والإبداع في هذا الكون ، والتي تدل على قدرة الله العظيمة في الخلق .

لقد أكد القرآن على خلق الكون من قبل الله سبحانه ، وأنه هو واهب الحياة ، وواضع النظام الدقيق في هذا الكون ، ولعل أول آية نستعرضها من القرآن هي قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[1] وهذه الآية تدل دلالة واضحة وصريحة على أن خلق الله البديع للسماوات والأرض لم يكن عبثا ، ولم يخلق لمجرد الخلق ، وإنما من وراء ذلك حكمة إلهية ، سواء أدركناها أو لم ندركها فالنظر والاستقراء يدل عليها .

والقرآن يذكر لنا أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، وذلك في أكثر من آية ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[2] ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾[3] ، لقد نصت هذه الآيات على أن الله أتم خلقه ، أي أنهى تقدير وإيجاد هذا الكون (السماوات والأرض وما بينهما) في زمن قدره ستة أيام التي اتفق جمهور

(1) سورة الأنبياء (16) .
(2) سورة ق (38) .
(3) سورة الحديد (4) .

المفسرين على أنها ستة أزمنة متساوية لا يعلم حقيقة مقدارها إلا الله تعالى .

وقد بين علماء الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تفصيلا ذلك ، فيقول الدكتور زغلول النجار تحت عنوان " الانفجار العظيم " : " إن المقصود بالأيام الواردة في الآيات : المراحل أو الحقب الزمنية لخلق الكون وليست الأيام التي نعدها نحن البشر . بدليل عدم الإشارة إلى ذلك بعبارة (مما تعدون) في أي من الآيات ، وقد أجمع المفسرون على أن الأيام الستة للخلق قسمت إلى ثلاثة أقسام متساوية كل قسم يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن " .

ويقسم ذلك كما يلي :

أولا : يومان لخلق الأرض من السماء الدخانية الأولى ، فالله تعالى يقول : { **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ** }[1] ، ويقول أيضا : {**أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا** * }[2] وهذا دليل على أن السماوات والأرض كانتا في بيضة كونية واحدة " **رتقا** " ثم انفجرت وانفصلت " **ففتقناهما** " .

ثانيا : يومان لتسوية السماوات السبع ، طبقا لقوله : {**فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا** }[3] وهو يشير إلى الحالة الدخانية للسماء {**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ**}[4] بعد الانفجار العظيم بيومين ، حيث بدأ بعد ذلك تشكيل السماوات (فقضاهن) أي صنعهن وأبدع خلقهن سبع سماوات في فترة محددة بيومين آخرين .

ثالثا : يومان لتدبير الأرض جيولوجيا وتسخيرها لخدمة الإنسان ، يقول سبحانه {**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا** }[5] وهو ما

---

(1) سورة فصلت (09) .
* **الرتق** : هو المزج والاختلاط ، **الفتق** : هو عكس الرتق وهو الانفصال ، **المصدر** : الفيروزآبادي ، القاموس ، ج3،ص:243 – 283 .
(2) سورة الأنبياء (30) .
(3) سورة فصلت (12)
(4) سورة فصلت (11)
(5) سورة فصلت (10)

يشير إلى جبال نيزكية سقطت واستقرت في البداية على قشرة الأرض فور تصلبها بدليل قوله تعالى: (مِن فَوْقِهَا) و (وَبَارَكَ فِيهَا)أي أكثر من خيراتها بما جعل فيها من المياه و الزروع والضروع أي (أخرج منها ماءها ومرعاها) و(**وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا**) أي أرزاق أهلها ومعاشهم بمعنى أنه خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها استعداد لاستقبال الإنسان .

وحينما رجعت لكتب التفسير المعروفة وجدت أن أكثرها يذكر أن هذه الأيام هي أيام الأسبوع بداية من يوم الأحد إلى الجمعة مستدلين بالحديث الذي رواه مسلم في فعن أبي هريرة ﷺ قال : (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : **خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبعث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل**)[1] .
ولكن بعض المهتمين بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة يرون أن الأيام الستة المقصودة في الآية ليست هي أيام الأسبوع ويعطون تفسيرا آخر مخالفا لما جاء في كتب التفسير المشهورة ، فقد نظمت جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ندوة بالقاهرة حول الزمن بين العلم والقرآن و تحدث فيها الدكتور منصور حسب النبي[*] عن تفسير معنى الأيام الستة المذكورة في

(1) رواه مسلم في الصحيح رقم : 2789 ، المشكاة ، التبريزي ، ج : 3 ، ص : 1598 .
(*) رئيس جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة وأستاذ الفيزياء بجامعة عين شمس ، له كتاب " الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية " وكذلك كتاب (الزمان بين العلم والقرآن) دار الآفاق العلمية 1995 القاهرة.

الآيات السابقة ، وأكد أن القرآن الكريم يفتح للعلماء دائما آفاقا علمية جديدة للتفكير والتأمل، والعلم الصحيح لا بد أن يؤدي إلى الإيمان، ولا يمكن أن يحدث تعارض بين الحقائق العلمية والقرآن إلا إذا أخطأ العالم في نظريته أو أخفق المفسر في تأويله للآية القرآنية ، وأضاف أن القرآن تعرض لقضايا علمية كثيرة منها موضوع خلق الكون، الزمان، المكان والقرآن يشير إلى أن الله خلق الكون في ستة أيام والأيام عند الله هي فترات زمنية وليست أياما بالمعنى الأرضي لأن الزمن نسبي وليس مطلقا، وهو ما يتفق ومعطيات العلم الحديث والنظرية النسبية . ولما بحثت في صحة هذا الحديث وجدته في المشكاة ،وقد علق عليه الشيخ الألباني بعد أن أكد على صحته قائلا : (..ولا مطعن في إسناده البتة ، وليس هو بمخالف للقرآن بوجه من الوجوه ، خلافا لما توهمه بعضهم ، فإن الحديث يفصل كيفية الخلق على الأرض وحدها ، وأن ذلك كان في سبعة أيام ، ونص القرآن على أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام ، والأرض في يومين لا يعارض ذلك ، لاحتمال أن هذه الأيام الستة غير الأيام السبعة المذكورة في الحديث ، وأنه – أعني الحديث – تحدث عن مرحلة من مراحل تطور الخلق على وجه الأرض حتى صارت صالحة للسكنى – ويؤيده أن القرآن يذكر أن بعض الأيام عند الله تعالى كألف سنة ، وبعضها مقداره خمسون ألف سنة ، فما

المانع أن تكون الأيام الستة من هذا القبيل ، والأيام السبعة من أيامنا هذه ، كما هو صريح الحديث ، وحينئذ فلا تعارض بينه وبين القرآن)[1] .

وبهذا ، فلا تعارض بين الآية والحديث ، فالآية تتكلم عن خلق الكون بكامله وهو خلق عظيم استغرق ستة أيام بالزمن الإلهي ، لا بالزمن الذي نحسب به على وجه الأرض ، لأن هذا الأخير لم يوجد بعد ، ولأننا ما زلنا في بداية الخلق ، أما الأرض فقد تكونت بعد مرحلة الدخان الكوني ، و الزمن يمكن أن يصنف إلى :

- **زمن العرش** : وهو الزمن الذي يواكب وجود العرش والماء.
- **زمن خلق السماوات والأرض :** وهو الزمن الذي خلق فيه الكون المحسوس، والمعبر عنه في القرآن الكريم بستة أيام .
- **زمن العروج :** وهو الزمن الدال على السرعة العظمى التي تعرج الملائكة فيها إلى الله ﷻ، كما يتضح من الآيتين التاليتين: {**يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** }[1] وقوله : {**تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝**}[2]

(1) الخطيب التبريزي ، **مشكاة المصابيح** ، تحقيق الألباني ، ص:1598 .
(1) سورة السجدة (05)
(2) سورة المعارج (04)

- **زمن الآخرة :** وهو المدة التي تستغرقها مواقف الآخرة، مثل الحشر والميزان والمرور على الصراط والحساب.. وغير ذلك، أو المدة التي يقضيها الإنسان في الجنة أو النار، والتي نطلق عليها (**مدة الخلود**) .

يقول تعالى في آيات كثيرة من القرآن عن زمن الخلود : {**وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾**}[1] .

- **الزمن النسبي** : وهو الزمن الذي نحسب به نحن على وجه الأرض وذلك بسبب تعاقب الليل والنهار الناتج عن دوران الأرض حول نفسها في مدة يوم ، ودورانها حول الشمس في مدة سنة.

أما الحديث فيتكلم عن خلق الأرض وتدبيرها جيولوجياً وتهيئة البيئة المناسبة لوجود الإنسان على وجهها والتي استغرقت ستة أيام واليوم السابع لنزول آدم عليه السلام على وجه الأرض ، وهذا الحديث يؤيده قوله تعالى : {**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾**}[2]

إذن فتدبير الأرض وتطويرها وتهيئتها للإنسان استغرق ستة أيام ، ففي البداية هيأ الله تعالى التربة للنبات ، ثم هيأ النبات للحيوان ، ثم هيأ الحيوان للإنسان ، ثم جعل فيها رواسي من فوقها على شكل جبال كالأوتاد

(1) سورة الجن (23)
(2) سورة فصلت (9-10) .

لتحافظ على تماسك طبقاتها أثناء الحركة ، وإخراج الماء والمرعى، وبارك في الزروع والضروع ، وتقدير الأقوات للسائلين، وحتى وصول الإنسان كخليفة الله في الأرض. وتم كل ذلك في ستة أيام كما هو واضح في الآية - يومان لخلق الأرض وانفصالها من السماء الدخانية .

- أربعة أيام لتهيأة الأرض للإنسان ، بتخصيب التربة وإنبات النبات ، وخلق الحيوان كما ورد في الآية السابقة والحديث الشريف ، وبهذا لا نجد أية تعارض .

وهكذا تم ذلك في ستة أيام حيث تم توفير كل أسباب قيام الإنسان بالخلافة والعبادة على وجه الأرض ، كما ذكر في الحديث السابق بدليل أنه بين أنه في اليوم السابع نزل آدم عليه السلام على وجه الأرض ليقوم بهذه الخلافة ، وكان ذلك كله بتقدير وزمن على وجه الأرض كما جاء في الحديث بذكر أيام الأسبوع - **والله أعلم** -

وعن تطور الكون نجد قوله تعالى: {**وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيۡدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**}[1] ، والتي تشير بوضوح إلى توسع الكون ، والذي اكتشف السنة تسع وعشرون وتسعمائة وألف من طرف " هابل " ***E.Hubble*** " وأيدته نظرية النسبية العامة لاينشتاين وأكدته كل الأرصاد في العصر الحديث في هذا القرن[2] ، كما رأينا سابقا .

(1) سورة الذاريات (47) .
(2) جمال ميموني ، نضال قسوم ، قصة الكون ، ص: 62

وقد استنتج علماء الإعجاز العلمي في العصر الحديث ، ومن خلال هذه الأرقام القرآنية عمر الكون ، فيقول الدكتور منصور حسب النبي : "ومن وجهة نظري، فإنني أرى ـ والله أعلم بالحقيقة ـ أن العمر الجيولوجي للأرضين هو المقدر علمياً وعملياً بزمن مقداره خمسمئة وأربعة آلاف مليون سنة، يعادل **ثلث** عمر الكون قرآنياً. وهكذا فإننا نستنتج من آيات سورة فصلت أن :

عمر الكون = 4500× 3 = 13500 مليون سنة = 13.5 مليار سنة

وهذه النتيجة تتوافق مع الاكتشافات الحديثة والتي أعلنت عنها مؤخرا مؤسسة ناسا(***Nasa***) في مجلة العلوم الأمريكية ، كما رأينا سابقا [1] ، أما العدد **3** فقد استنتج من الآيات القرآنية التي تكلمت عن خلق الكون في ستة أيام مثنى مثنى ، فيومان لحدوث الفتق العظيم (***the big teardown***) (انظر الشكل) ، وانفصال السماء الدخانية عن الأرض ، ويومان لتسوية السماء الدخانية إلى سماوات سبع طباقا ، ويومان لتدبير الأرض ، وسورة فصلت تؤكد لنا أن بناء السماء وتشكيلها بسبع سماوات وقع في الثلث الثاني من عمر الكون. وبهذا فإن عمر السماوات أقل من عمر الكون، وهذا ما تشير إليه التوقعات العلمية حالياً. ونحن في انتظار التقدير العلمي النهائي لعمر الكون وعمر السماوات، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول : {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾}[2] .

(1) المصدر: موقع مجلة العلوم الأمريكية بالعربية WWW.CNNarabic.com
(2) سورة الأنعام (67) .

وكما أن للكون بداية ، فإن للكون نهاية ، فالله تعالى يحدثنا عن الانكماش الكوني المتوقع في المستقبل قال تعالى : {يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ }[1] أي : انتظروا يوماً ينطوي فيه الكون بسماواته وأرضه تماماً كما تطوى الكتب ليعود الكون بالانسحاق العظيم إلى حيث بدأ ..

لقد ظهرت حديثاً نظريات تؤكد أن الكون سيُطوى كما تُطوى الورقة ، والأشكال التي يتخيلها العلماء اليوم للكون، هي أشكال مسطحة وتشبه الورق!! وهاهم علماء وكالة "ناسا" الأمريكية للفضاء يؤكدون ذلك[2]

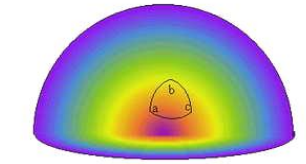

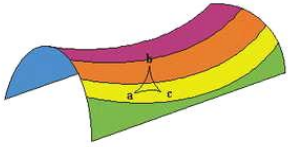

وهذا يعني: "أن النظرية الأكثر والأوسع قبولاً تتوقع بأن كثافة الكون قريبة جداً من الكثافة الحرجة، وأن شكل الكون ينبغي أن يكون منبسطاً، مثل صفيحة من الورق" .

ويكرر القرآن الكريم التأكيد على هول هذه اللحظة، التي يسميها العلماء " **الانسحاق العظيم**" (Big Crush)، وتسمى في القرآن :

(1) سورة الأنبياء (104) .

(2) *"The most widely accepted theory predicts that the density of the Universe is very close to the critical density, and that the shape of the Universe should be flat ,like a sheet of paper*

الساعة والحاقة والصاخة وغيرها من الأسماء القرآنية ، إذن فالكون تتحكم فيه قوى منها قوة الانفجار أو الفتق العظيم التي تعمل الآن على توسعه ، والقوة الجاذبة المركزية التي تجذب الكون إلى نقطة البداية ، فحين تتساوى القوى ، تكون قد ظهرت علامات الساعة أو نهاية العالم ، ومن يحدث الانكماش الهائل الذي الحياة الدنيوية وتبدأ حياة أخرى قال تعالى :

(يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [1]

والآن نتسائل هل هناك هدفا يسير الكون نحوه ، هل هو الإنسان ، وإذا كان هو الإنسان ، هل يمكن أن يقرر الإنسان بفكره أنه يمثل ذلك الهدف ، وما دام الإنسان قد ظهر ، فإلى أين يسير الكون الآن ؟ وهنا الإشكالية لأن الإجابة عن السؤال لا يمكن العثور عنها ضمن الكون ، بل يجب أن توجد وراء الكون ، أي عند خالق الكون ، إذن فقد وجد الإنسان في الكون من قبل الله تعالى ، وذلك ليختبر فيه ، ثم يحاسب في الأخير ، ولهذه النظرة الإيمانية أهمية علمية فهي تؤيد بوضوح ما ذهب إليه الفيزيائيون بأن قوانين الكون وضعت بشكل يجعل ظهور الإنسان ضرورة حتمية [2]

وعن مستقبل الكون والإنسان يقول القرآن ، إن وجود الإنسان في هذا الكون أمر محدود في الزمن ، فسوف يأتي يوم القيامة ، حيث يجمع البشر كلهم ويعرضون على الله في عالم غيبي لا فيزيائي ، ليحاسبوا .ومادام

(1) سورة إبراهيم (48)
(2) جمال ميموني ، نضال قسوم ، قصة الكون ، ص: 14-15

الإنسان هو المحور الهام في خلق الكون ، فلابد من التعرف على حقيقة الإنسان كما يراها العلم ، وتناولها القرآن الكريم كمصدر لمنهج الإيمان .

الإنسان ومنهج العلم

الإنسان في لغة العرب :

اختلف اللغويون في اشتقاق هذا الاسم، فيرى ابن الشجري* ،أن أصل الإنسان من (الأُنس) نقيض (الوحشة) لأن الناس بعضهم يأنس إلى بعض ، فقال بعضهم :

وما سُميّ الإنسانُ إلا لأُنسه ولا القلبُ إلاّ أنّه يتقلّبُ

وقيل جاءت من (النسيان) ،وبه أخذ أبو تمام في قوله :

لا تَنْسَيَنْ تلك العهودَ فإنّما سُمّيتَ إنساناً لأنّك ناسي

وروي عن ابن عباسﷺ أنه قال: إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فَنَسي وبعد أن يسرد الدكتور عادل العوا كل الأقوال يعلق في النهاية قائلا : ومن الأرجح ما ذهب إليه ابن عباس ، ولعل في هذا الالماع إشارة بعيدة إلى النظرة الدينية المتصلة بحياة الإنسان الأول في الجنة ، ومن قبل أن يزل كما تتحدث بذلك الكتب السماوية..[1] .

الإنسان في الفكر الفلسفي :

اهتم فلاسفة اليونان بالإنسان والنفس الإنسانية ، فكان سقراط يقول : (اعرف نفسك بنفسك أيها الإنسان) وهو يرى أن الإنسان مكون من بدن ونفس ، وأن هذه النفس كانت موجودة قبل وجود البدن ، ثم

* شيخ النُّحاة أبو السعادات ، هبة الله بن علي البغدادي ، (ت:542 هـ) ، من أئمة العلم باللغة والأدب ، له كتاب " الأمالي " ، الأعلام ، الزركلي ، مج : 8 ، ص : 74 .

(1) عادل العوا ، **الإنسان ذلك المعلوم** ، ص: 24

اتصلت به استكمالا ، فتبطل الأبدان بالموت ، وترجع النفوس إلى كليتها[1] .

ويرى أفلاطون أن النفوس الإنسانية التي هي متصلة بالأبدان اتصال تدبير وتصرف كانت موجودة قبل وجود الأبدان[2] ، واتصلت بالجسد ، ولما ألفته تدنست وفقدت طهارتها وتقيدت بحياة الحس ، لذلك وجب على الإنسان أن يحارب تلك الشهوات الحسية ، وأن يسعى إلى تزكية نفسه بالمعرفة والفضائل . أما أرسطو فيعتبر الإنسان حيوان ناطق* لذلك يجب أن يستعمل عقله ليكون سعيدا في حياته ، وأن يعتصم بالحكمة التي هي أعظم فضيلة وأكبر سعادة للإنسان ، وهو يأبى التسليم بوجود جوهرين مختلفين ، أحدهما مادي والثاني روحاني ، ولا يعتبر النفس والجسد جوهرين بل عنصرين متلازمين لجوهر واحد ، وليس النفس إلا صورة للجسد[3] ، وهما معا يكونان الكائن المسمى الإنسان .

وعندما فلاسفة الإسلام نجد أول فيلسوف مسلم اهتم بعلم النفس هو ابن سينا ،حيث جمعت دراسته بين النواحي الطبية والفيزيولوجية

(1) الشهرستاني ، **الملل والنحل** ، ج:2 ، ص:85

(2) الشهرستاني ، المرجع السابق ، ص: 91

* وهذه الرؤية تتعارف مع التكريم الذي حضي به بالإنسان من قبل خالقه ، لأن الله تعالى كرم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ، والآيات صريحة ومعروفة ،فنحن نسمع الكثير من يردد هذه العبارة بأن الإنسان حيوان ناطق ، لأن هذه الفكرة كانت قاعدة لأصحاب نظرية التطور والتي تعتبر أصل الإنسان حيوان وسوف نرى كيف تأثر داروين بأرسطو وأسس أفكاره الإلحادية ، ولذا فلا يصح أن نردد هذه العبارة لا أخلاقيا ولا علميا ولا دينيا .

(3) حنا الفاخوري ، خليل الجر ، **تاريخ الفلسفة العربية** ، ص: 57

والنفسية والفلسفية ، وقد أثبت وجود النفس وأنها جوهرا روحانيا مغايرا للبدن ، فلا يفنى بفنائه ، وقد ذكر البراهين على تمايز النفس عن الجسد ، وأن النفس يمكن أن توجد ولا يوجد الجسد ، بينما الجسد لا يوجد إلا بها ، ومتى فارقته استولت عليه المغيرات الخارجية والنحل[1] .

أما الصوفية فالإنسان عندهم مؤلف من جوهرين : جوهر استمده من العالم هو الجوهر الجسماني الذي يحدد علاقته بهذا العالم ويمكنه من معرفته بواسطة العقل والآلات الحسية ، وجوهر روحاني هو نتيجة اشتراك الإنسان في جوهر الحياة الكلية . وكما أن الجسم آلات يستطيع معها معرفة العالم المادي في اختبار حسي أو عقلي ، كذلك للروح قوة تمكنها من إدارك كيفيات العالم الأسمى في اختبار صوفي يتناغم وذلك العالم [2].

أصل الإنسان : هناك عدة آراء حول أصل الإنسان :

1. الإنسان جاء عن طريق عملية تطور من الشرارة الأصلية للحياة وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه فكرة التطور .
2. -الحياة انتهت إلى الإنسان بالمصادفة من المواد الكيماوية[3] .
3. -أن الله بحكمته قد أودع الحياة على الأرض ، وهو خالق الإنسان

والآن نعرض هذه الآراء ، غير أننا نمزج الرأيين الأول والثاني لما لهما من علاقة تربطهما لأن كلاكما ينكر الخالق .

(1) الفاخوري ، الجر ، **المرجع السابق** ، ص : 453-454
(2) الفاخوري ، الجر ، ص :242
(3) كريسي موريسون ، **العلم يدعو للإيمان** ، ، ص:107

1 -2 نظرية التطور* والصدفة :

تبدو نظرية التطور لبعض الناس مجرد دلالات علمية ليس لها أي تأثير مباشر في حياتهم اليومية ، والحقيقة أنها تشكل أساس فلسفة خادعة كان لها تأثير بالغ على عدد كبير من الناس ، والفلسفة المادية ، التي لا تقبل وجود شيء سوى المادة ، وتفترض أن الإنسان أصله حيوان ، يشكل الصراع القاعدة الوحيدة لوجوده ، وهذه المادية ليست سوى عقيدة قديمة تفتقر إلى أي أساس علمي. فهذه العقيدة تم اعتناقها في اليونان وتم غرسها في القرن التاسع عشر الميلادي في فروع علمية عديدة بواسطة مفكرين مثل ماركس ، و داروين ، و فرويد ،وبعبارة أخرى تم تشويه العلم ليفسح المجال للفلسفة المادية[1] .

وقد طرحت نظرية التطور في أواسط القرن التاسع عشر على يد العالم الإنجليزي **تشارلز داروين** في وقت كانت العلوم التكنولوجيا على مستوى متدن. فقد كان علماء ذلك القرن يُجرون أبحاثهم في معامل بسيطة بأجهزة بدائية جداً لا يمكن معها للعلماء أن يروا من خلالها البكتريا ، ومن المؤكد أن عدم دقة الأجهزة خلق بعض الاعتقادات الباطلة التي ترسبت في أذهانهم في غضون العصور الوسطى ولا تزال مؤثرة في ثقافتهم حتى الآن.من أبرز هذه الاعتقادات الفكرة التي تقول: إن للحياة طبيعة بسيطة في

* **التطور** هو التحول من نوع حي إلى نوع آخر حي .

(1) هارون يحي ، خديعة التطور ، ترجمة سليمان بايبارا ، دار Secil Ofset ، ص:20

أساسها وهي الفكرة التي ترجع أصولها إلى الفيلسوف اليوناني الشهير **أرسطو** الذي قال: (إنّ الحياة تبدأ صدفة بمجرد وجود بعض المواد التي لا حياة فيها، وتكون هذه المواد متلازمة جنبا إلى جنب في بيئة مبتلة رطبة ومن هنا تبدأ الحياة).وكذلك أعتمد **داروين** في بناء نظريته على هذه الفكرة وهي أن: (الحياة لها طبيعة بسيطة في أساسها)[1].

يرى داروين أن كل ما في الكون تشكل نتيجة اتحاد ذرات الهيدروجين التي انتشرت في الفضاء بعد الانفجار الكبير ، ثم اتحدت جزيئات هذا العنصر (بروتون و نترون والكترون) بتأثير الطاقة الناجمة عن الانفجار ، وكونت العديد من المواد والمركبات ، والتي اتحدت بدورها وأعطت جزيئا عضويا معقدا *Complex Molecule* ، والذي تمخض عن ظهور مركبات ذات نشاط إنزيمي حيوي ، وهكذا تشكلت مصادفة الأحماض الأمينية والنووية ، وقد قامت هذه الإنزيمات بتحريض عوامل الطبيعة لتشكل كائنات حية دقيقة بدائية كالجراثيم والفيروسات والطحالب والفطريات، ثم عن طريق المصادفة أيضا التقت هذه الكائنات البدائية واتحدت وأعطت حيوانا متعدد الخلايا أطلقوا عليه اسم الميتازون *Metazan* الذي تطور على مدى ملايين السنين فأعطى الرخويات المائية والديدان ، ومن ثم الأسماك الغضروفية فالفقارية والتي أعطت ثلاثة أنواع جديدة من المخلوقات :

- الزواحف البرمائية: *Amphibians*

(1) هارون يحي ، **السلوك الواعي للخلية** ، ترجمة:مصطفى الستيتي ، استنبول ، ص: 08

- الحيوانات البرية : *Reptiles*
- الحيوان الثدي البري : *Monotreme* ، وهذا الأخير تطور وأعطى الحيوانات الثدية التي تدب على سطح الأرض الآن ، بما فيها الإنسان والقردة والأنعام ، وأعتقد العلماء الملحدون أن قرد الجيبون هو الجد الأول للإنسان الحديث[1] .

ولقد اعتنق علماء علم الأحياء فكرة داروين وناصروها وبنوا أفكارهم على هذا المنطق، وبذلك أنكروا وجود الخالق للكون والإنسان .

و اعتمدوا على التخمين والظن وبعض المستحثات . لقد اختزلت هذه النظرية الإنسان إلى حيوان وجد بالصدفة ، وليست له أية مسؤولية ، وبذلك هدمت الركائز الخلقية كالحب ، والرحمة ، والتضحية بالنفس، والتواضع ، والأمانة ، والعدل ، وأصبح هذا الشعار يلوح " الحياة صراع " الأمر الذي صور الناس وهم يتصارعون على المصالح ، وقد رد العالم كريسى موريسون فى كتابه : (*man does not sand alone*) الذى ترجمه إلى العربية الأستاذ محمود صالح الفلكى بعنوان"العلم يدعو إلى الإيمان": (إن القائلين بنظرية التطور(النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة(الجينات) .. لقد رأينا أن (الجينات) متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات فى خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية. وهى تحفظ التصميم، وسجل السلف، والخواص

(1) محمد النشواتي ، **الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان** ، ص: (7-8-9)

التى لكل شئ حى. وهى تتحكم تفصيلاً فى الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات، تماما كما تقرر الشكل والقشر والشعر والأجنحة لكل حيوان بما فيه الإنسان)[1] .

كما ناقش الدكتور هارون يحي هذه النظرية ، وأورد الحجج والبراهين الدامغة التي تبطلها من أساسها ، وذلك في جميع كتبه ، مبينا خطورة هذه النظرية التي اعتبر أنها تشكل الأساس والقاعدة لجميع الفلسفات المناهضة للدين والإيمان بالله الخالق ، كما أنها هي الباعث وراء الحاد الكثير من الناس منذ 140 عاما ، لذا اعتبر أن إبطال هذه النظرية أهم واجب يدعون إليه إيماننا بالله تعالى .وقد أورد عدة أدلة منها[2] :

1 -اكتشاف قوانين الوراثة .

2 -سجل المتحجرات أثبت أنه لا توجد في آية بقعة من الأرض أي شكل من الأشكال الانتقالية التي تظهر التطور، بل على العكس قد أثبتت كل المتحجرات أن الحياة ظهرت على الأرض بتكوين كامل .

3 -اكتشاف الإنسان العاقل حتى قبل ثمان مائة ألف سنة ، حيث اكتشف **لويس بيكي** في أوائل السبعينيات في منطقة **أولدوني جورج** على بقايا كوخ عمره 1.7 مليون سنة ، وكان يشبه الأكواخ التي يستخدمها الأفارقة اليوم .

(1) كريسي موريسون ، السابق ، ص : (145 – 147).
(2) هارون يحي ، خديعة التطور ، ص: (93 –95-97) .

4 -نعلم اليوم أن الخلية تحتوي على محطات لتوليد الطاقة ومصانع تصنع الأنزيمات والهرومنات وتسجل جميع المعلومات التي يتم تصنيعها بصورة عجيبة ودقيقة .

5 -استطاع الأمريكي **دونالد جوهانسون** انتشال هيكل (لوسي ***LUCY***) المدفون في طبقات الأرض في مثلث عفار في الحبشة ، وبتطبيق تقنية(الارغون - البوتاسيوم) المشع ، أمكنه أن يحدد عمر أنثى تمشي منتصبة بطول عشرين ومائة سنتمر ، وبحجم دماغ لا يزيد عن الخمسين وأربعمئة سنتمتر مكعب ، يعود إلى زمن سحيق يرجع إلى مائتي ألف وثلاثة ملايين سنة ، واستطاع زميله (**تيم وايت *TIM WHITE***) وبواسطة تمويل سيدة أمريكية ثرية محبة للعلم ، أن يعلن عن كشف أقدم هيكل عظمي عرف حتى الآن ، يعود إلى ستمائة ألف وأربعة ملايين سنة ، ضارباً الرقم القياسي في عمر الإنسان السحيق ، أعطاه اسم (اردبيثيكوس راميدوس) (***ARDIPETHICUS RAMIDUS***) في اقتراب حثيث لجذور وجود الإنسان الأولي التي تقدر ما بين (خمسة إلى سبعة ملايين سنة) في أهم كشف انثروبولوجي حتى الآن في قصة الإنسان .

وبهذا نفهم أن نظرية التطور أو الدّاروينية هي فرضية ظهرت لتناهض فكرة خلق الأحياء ونشر الإلحاد ، لأنها لا تعتمد على أي أساس علمي مقنع والشيء الذي أثبته العلم هو أن كل كائن انحدر من أصله منذ أن

خلقه الله تعالى اللهم زيادة الحجم أو نقصانه .ويقول **جون وليام كلوتس***: " إن هذا العالم الذي نعيش فيه ، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض الصدفة ، إنه ملئ بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر ، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى "[1] .

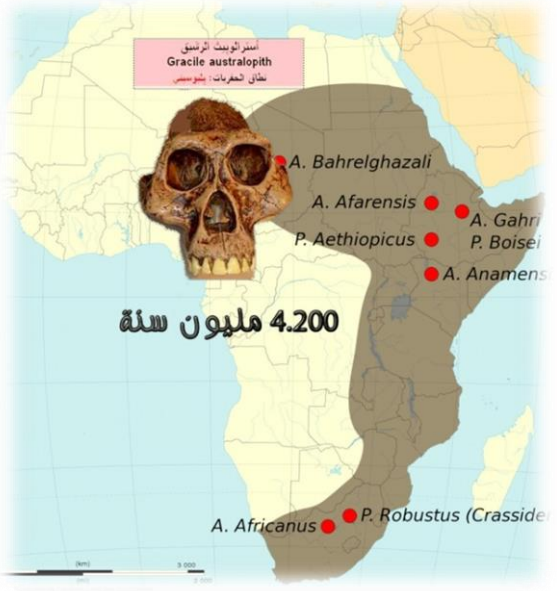

* عالم الوراثة وأستاذ علم الأحياء

(1) كريسي موريسون ، **العلم يدعو للإيمان** ، ص:54

أما **نظرية المصادفة** فتقول بأن كل الكائنات الحية بما فيها الإنسان قد ظهرت إلى الوجود عن طريق المصادفة العشوائية ، وصيغته الحرفية : " أن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المتزاحمة " ، ويبدو أن المصادفة غير خاضعة لأية طريقة من طرق الحساب ، فمثلا لدينا كيس يحوي مائة قطعة ، بها تسع وتسعون سوداء وواحدة بيضاء فالفرض :

أن احتمال السحب الأول تكون قطعة بيضاء هو : من واحد إلى مائة أن احتمال السحب الثاني تكون أيضا بيضاء هو : من واحد إلى عشرة آلاف أن احتمال السحب الثالث تكون أيضا بيضاء هو : من واحد إلى مليون.....وهكذا يزداد كلما زاد الاحتمال ، بحيث نصل إلى حد يصعب حسابه ويعجز العقل إدراكه ، حيث نصل إلى عدد يملأ من الأصفار صفحات بحيث لا يقرأ بشكل علمي ويصل إلى مالا نهاية وفقا للقانون الرياضي المذكور أعلاه .

$$\frac{\text{عدد}}{\infty} = \infty$$

هذا في الجماد ، وإن كان في المادة الحية مثل الخلية ، يصبح ذلك أمرا مستحيلا لأن الترابط الموجود في الخلية ظاهرة معجزة ومحيرة إلى حد يجعل تطبيق قانون المصادفة غير ساري المفعول . وبذلك نجد لا تفسير لظاهرة الوجود إلا دلالة واحدة وهي أن هناك تصميما وقصدا في كل شيء.

إن دعاة التطور لا يستطيعون حتى تفسير كيفية تكون بروتين واحد فلا قوانين الاحتمالات ولا القوانين الفيزيائية والكيميائية يمكن أن تتيح أي مجال للاعتقاد بأن الحياة قد تكونت بالصدفة ، إذن كل تلك المزاعم إنما هي

مجرد عقيدة يعتنقونها ، وفلسفة مادية ينصرونها ، ولم يحدث قط أن عثروا على حيوان واحد يمثل صورة انتقالية ، والحقيقة أن أوجه التشابه الظاهري بين الإنسان والقرد ليس دليل على التطور ، فهناك تشابه بين حشرة الكركدن وحيوان الكركدن ، فهل نقول أن الكركدن أصله حشرة أو العكس ، إن هذا مثار للسخرية وكثير من الحيوانات والحشرات والطيور تتاشبه[1] .

إذن الحقيقة واضحة وجلية ، أن الحياة وجدت نتيجة تصميم بديع وخلق عجيب وهو دليل قاطع وبرهان ساطع دال على وجود الله الخالق .

وكهذا نجد أن غالبية الأشخاص الذين احتلوا مركزا رياديا في العلم الحديث ، قد آمنوا بوجود الله الخالق ، وأعظم عباقرة العصر أينشتاين نجده يقول: " لا أستطيع أن أتصور عالما حقيقيا دون إيمان عميق ، ويمكن التعبير عن هذا الوضع من خلال الصورة الآتية : (العلم بلا دين علم أعرج) " ، وقد قال أحد مؤسسي الفيزياء الحديثة ، الفيزيائي الألماني ماكس بلانك : " إنه ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية المكتوبة على باب معبد العلم : (**تَحَلَّ بالإيمان ، فالإيمان من الصفات الأساسية المميزة للعالم**) " [2] .

(1) هارون يحي ، **خديعة التطور** ، ص : 180

(2) هارون يحي ، المرجع السابق ، ص:29

3 - **نظرية الخلق :** وهي التي ترى أن الإنسان وجد من قبل خالق مبدع في خلقه ولا يمكن أبدا أن يكون الإنسان قد وجد صدفة أو نتيجة تطور وارتقاء من حيوان أو شيء آخر ، كما تقول فرضية التطور ، وقد وقف علماء البيولوجيا على هذه الحقيقة ووضعوا البراهين بالتجربة والملاحظة وباستعمال أجهزة متطورة كالمجهر الإلكتروني والتحاليل الكيماوية والأشعة وعلم التشريح ، كالذي قام به الطبيب والبروفيسور **ألكسيس كاريل** من تجارب على الإنسان واستنتج حقائق تتفق مع الإيمان بوجود الخالق و يقول : ".. فالإنسان كل لا يتجزأ وهو في غاية التعقيد ..."[1]

فكل هذه الحقائق تنطق بصنعة الخالق وإبداعه جل وعلا .

(1) ألكسيس كاريل ، **الإنسان ذلك المجهول** ، ص: 16

الإنسان و منهج الإيمان

الإنسان و القرآن.

يعتبر الإنسان هدف الوجود وحلقة الوصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، لأنه مكون من بعدين أثنين وهما البعد الترابي والبعد الروحي ، فالبعد الترابي أصله من عالم الشهادة والبعد الروحي أصله من عالم الغيب ، ويظهر هذا التكوين الأول للإنسان في قوله تعالى : { **ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**}[1] ، توحي الآية بأن الإنسان وجد في هذا العالم وهو محدود الزمان والمكان ، وقد خلق في أحسن صورة ، وصورة هي نفسها التي خلق بها آدم عليه السلام قال تعالى : { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩**}[2] ، فالقرآن يذكر لنا بأن الإنسان خلق خلقا مستقلا في أحسن صورة وأن طبيعته التكوينية وهي التراب أو الطين ، أوحمأ مسنون ، أو صلصال كالفخار وهذه مراحل تشكل التراب بين الحرارة والبرودة وإختلاطه بالماء ، وقد أثبت العلم أن

(1) سورة غافر (64).
(2) سورة آل عمران (59)

جسم الإنسان يتكون من عناصر التراب وهي الحديد والفوسفور والكالسيوم والتنروجين والأوكسين والهيدروجين والكربون [1] .

و لا شك أن لهذا البعد أثره في تحديد الشكل النهائي الذي سيكون عليه الإنسان ، والبعد الآخر المكمل لصورة الإنسان هو البعد الروحي ، الذي يدل على أنه انبثق من روح الله ، ولهذا البعد أهمية بالغة ، فهو سبب التكريم الإلهي للإنسان ، ولقد تم خلق الإنسان بمنتهى الدقة والعناية ، فكما قلنا في خلق الكون بأنه بعد الإنفجار الكبير وضعت كل مكونات الكون في أماكنها بصورة دقيقة جدا ، وبشكل عجيب ، فكذلك خلق الإنسان تم في أحسن تقويم ، وكل أعضاء الإنسان وضعت في أماكنها ، شاهدة على وجود الخالق المبدع ، أرأيت لو وضعت عين في الأعلى وأخرى في الأسفل ، أو كان الأنف طويلا جدا أو .. وهكذا جميع الأعضاء من غير تناظر أو ترتيب ، إذن لكانت صورة الإنسان قبيحة لا تليق به ، فحين ننظر إلى الإنسان نجد ذلك التناسق العجيب والترتيب المنظم يوحي كله بإبداع الخالق وقدرته العظيمة في الخلق والإيجاد .

و قصة هذا الإنسان عجيبة ، إنه سيد هذه الأرض ، الذي أنعم عليه بالعقل والتفكير وخلقه في أحسن تقويم وسخر له كل شيء من حوله ، وعلمه خصائص الأشياء وكلفه بعمارة الأرض ، ومن تشريف الله تعالى لهذا المخلوق أنه كلفه بالعبادة ، والقيام بحقوق الله المنعم ، وأعانه على ذلك حتى إن الإنسان هذا المخلوق الصغير في هذا الكون الكبير يحظى من

(3) بكير بن سعيد ، القرآن ومذهب داروين ، ص: 102 .

رعاية الله تعالى بالقسط الوافر، حيث أرسل له الرسل ، وأنزل الكتب السماوية فيها تفاصيل العبادة وتفاصيل التكاليف الشرعية .

فهذا الإنسان قد منحه الله قدرة على العلم والمعرفة والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع فخلق له الأدوات التي يتمكن بها من تحصيل العلم واكتسابه وتمحيص الحق من الباطل فإن اهتم ببحث الحق وحرص على اتباعه فاز وانتفع وإن تجاهل أمر الحق وخالفه خسر خسراناً مبيناً قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨ ﴾[2].

وكل ذلك من فضل الله عليه ليدرك بعقله وقلبه لمسات اليد الصانعة المدبرة الحكيمة . و تستمر آيات الله تعالى في القرآن والآفاق تبيَّن الحقُّ لهؤلاء المشككين بكتاب الله تبارك شأنه، فإما أن يقتنعوا بالحق الذي جاء به النبي الخاتم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وإما أن يستمروا في جحودهم وإنكاركم وسوف يرون النتيجة بأعينهم وهم يقادون إلى النار وقد طوقتهم السلاسل والأغلال .

(1) سورة الإنسان (1-3) .
(2) سورة النحل (78) .

وقد تحدث القرآن عن ذلك المصير فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

خلق الإنسان في القرآن :

في نهاية القرن السابع عشر عندما اكتشف الميكروسكوب المكبر ، تصوروا بعد أن شاهدوا الحيوانات المنوية أن الإنسان بذرة مثل الشجرة الصغيرة مختزل في الحبة المنوية فرسم له العلماء صورة وتخيلوا أن الإنسان يوجد كاملا في النطفة المنوية غير أنه ينمو .. ومنذ ستين عاما تأكدوا من أنه لا يوجد إنسان دفعة واحدة إنما يمر بأطوار ومراحل طورا بعد طور وشكلا بعد شكل ، ومنذ ذلك الوقت وصل العلم إلى إحدى الحقائق القرآنية ، يقول الشيخ **الزنداني** التقينا مرة مع بروفيسور أمريكى من أكبر علماء أمريكا في علم الأجنة اسمه بروفيسور **مارشال جونسون** فقلنا له ذكر في

(1) سورة الروم (55-60) .

القرآن أن الإنسان خلق أطوارا فلما سمع هذا ، كان قاعدا فوقف وقال أطوارا ؟! قلنا له : نعم ، وكان ذلك في القرن السابع الميلادى ! جاء هذا الكتاب ليقول الإنسان خلق أطوارا !! فقال هذا غير ممكن .. غير ممكن .. قلنا له لماذا ؟ هذا الكتاب يقول: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[2]

فقعد على الكرسي وهو يقول بعد تأمل ليس هناك إلا ثلاث احتمالات :

- **الأول** أن يكون عند محمد ميكروسكوبات ضخمة .. تمكن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها ما لم يعلمه الناس فذكر هذا الكلام
- **الثاني** أن تكون وقعت صدفة ..
- **الثالث** أنه رسول من عند الله .

قلنا نأخذ الأول أما القول بأنه كان عنده ميكرسكوب وآلات أنت تعرف أن الميكرسكوب أكتشف في بداية القرن الثامن عشر .! قال هذا صحيح صعب وغير معقول ، نقول صدفة..ما رأيك لو قلنا لم يذكر القرآن هذه الحقيقة في آية بل ذكرها في آيات ، بل أخذ يفصل كل طور، قال : الطور الأول يحدث فيه كذا ، وفي الثاني كذا وكذا والطور الثالث .. أيكون

(1) سورة الزمر (6)
(2) سورة نوح (14)

هذا صدفة ؟! قال الصدفة كلام غلط !! هذا علم مقصود ، لا تفسير له إلا وحي من فوق !! (3).

وهكذا اعترف أكبر علماء الأجنة بهذه الحقيقة القرآنية والتي أيدتها الحقيقة العلمية فالعلم دائما في خدمة الدين ، وخصوصا الدين الإسلامي الذي سلم من كل تحريف .

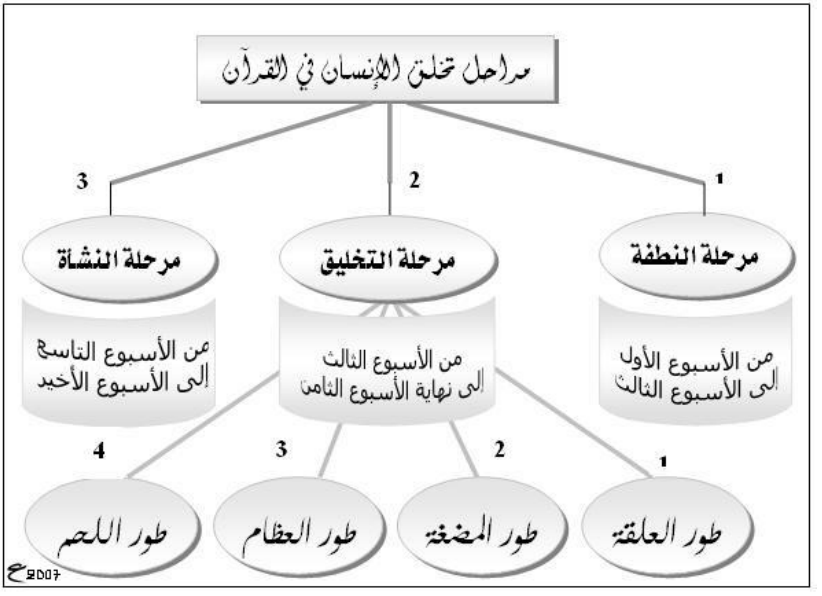

تحدث القرآن الكريم عن الخلق البيولوجي للإنسان ، و أكد أن الإنسان لم يمر على مراحل التطور ، ولم يتدرج من فصيلة إلى أخرى ، وليست له أية قرابة نسب مع القردة كما تفترض فرضية التطور، قال تعالى: {**أَوَلَا**

(3) عبد المجيد الزنداني ، معجزة خلق الإنسان (cd-rom) و رسالته " طريق الإيمان"

﴿ يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] . وعندما يتحدث القرآن عن نشأة الجنين يأتي بآيات لا يُحْسِنُ تفسيرها إلا علماءُ الأجنة ؛ ولم يكن ذلك متيسّرًا للأقدمين قبل تطور "علوم البيولوجيا" ؛ وخاصة قبل اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) ، ويستحيل أن يأتي رجل في القرن السابع الميلادي بهذه الآيات إلا بوحي فوق مستوى البشر ؛ إذْ لم تعرف البشريّة – لا في بلاد العرب ، ولا الشرق الأوسط ، ولا أوروبا حينئذ – شيئًا من هذه المعارف ، ومن حسن حظ العلماء المعاصرين الذين جمعوا بين فهم القرآن والدراية بالعلوم الحديثة أن يلمسوا بوضوح مدى التطابق بين النص القرآنى والمعارف الحديثة .

وموضوع الحمل والولادة – بالذات – يُبْرز لنا مدى التباين بين دقة المفاهيم العلميّة بالقرآن ، وبين الأساطير والخرافات السائدة وقت نزوله ، بل وبعده بكثير، مما يبعث على الانبهار بالقرآن لاتفاقه مع العلوم الحديثة ، و في شأن خلق الإنسان تذكر لنا هذه الآيات القرآنية خلق الإنسان الأول وهو (آدم) عليه السلام أبو البشر الذي كان خلقه من سلالة من طين ونفخ فيه الله تعالى من روحه ، ثم تكلم عن خلق ذريته التي جرى عليهم الخلق البيولوجي ، يقرر القرآن تنقل الجنين في رحم أمه في ثلاث مراحل أساسية متمايزة يفصل بين كل مرحلة منها والمرحلة الأخرى فترة زمنية يدل عليها حرف عطف خاص (ثم) وهو يدل على التراخي الزمني بين الأطوار .

(1) سورة مريم (67) .

1 - **المرحلة الأولى [مرحلة النطفة]** : وتكون في الرحم **والنطفة** في اللغة هي القطرة أو القليل من الماء[1]. قال تعالى : {**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ۝٢ }[2] ومعنى **(نطفة أمشاج)** : أي قطرة مختلطة من مائين ، وقال العلماء أن كلمة " أمشاج " دقيقة من الناحية العلمية ، حيث تصف النطفة التي هي عبارة عن كائن واحد يتكون من أخلاط متعددة تحمل صفات الأسلاف والأحفاد.وتواصل هذه المرحلة نموها ، وتنقسم إلى خلايا أصغر فأصغر وهكذا حتى تنتهي هذه المرحلة كما يصفها العلماء [3].

2 - **المرحلة الثانية : [مرحلة التخليق]** : التي تتتابع فيها أشكال خلق الجنين : علقة ، فمضغة . فعظام. فكساء العظام باللحم . ويأتي الفاصل الزمني بـ (ثم) فيدل ذلك على أن هذه الأطوار المتلاحقة تجتمع في مرحلة أساسية واحدة يمكن أن نطلق عليها مرحلة التخليق . وهي :

- طور العلقة : تفقد النطفة شكلها لتتهيأ لأخذ شكل العلقة ، حيث يتعلق الجنين بالمشيمة ، ويبين اللفظ القرآني "علقة" هذا المعنى بوضوح طبقاً لمظهر وملامح لجنين في هذه المرحلة ، ، وتكون الدماء محبوسة في الأوعية

(1) أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص: 314

(1) سورة الإنسان (2) .

(2) **كيت مور** Moore keit ، **الزنداني** ، المرجع السابق ، الباب الثاني ، ص: (4-5) البروفسور كيت مور، أستاذ علم الأجنة بالجامعة الأمريكية وصاحب أشهر كتاب في علم الأجنة في العالم الذي يدرس في أغلب الجامعات العالمية ، وقد آمن بالله ورسوله ، وصار من أقوى أنصار الدين الإسلامي وأدخل آيات القرآن والأحاديث في كتابه المشهور " the developing human " .

الدموية حتى وإن كان الدم سائلاً، ولا يبدأ الدم في الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دماً رطباً . والدلالات الواردة في الآيات المذكورة فيما يتعلق بالفترة التي تتحول فيما النطقة إلى علقة، تأتي من حرف العطف (ثم) الذي يدل على انقضاء فترة زمنية حتى يتحقق التحول إلى الطور الجديد. وهكذا فإن التعبير القرآني "علقة" يعتبر وصفاً متكاملاً عن الطور الأول[1].

- **طور المضغة :** ذكر عدد من المفسرين أن المضغة هي قدر ما يمكن مضغه ، وأوضح علم الأجنة الحديث مدى الدقة في اختيار تسمية "مضغة" بهذا المعنى ، حيث يتحول الجنين إلى مرحلة المضغة ، و يتخذ بعض خصائص المضغة، ويصف القرآن الكريم هذا التحول السريع للجنين من طور العلقة إلى طور المضغة باستخدام حرف العطف (ف) الذي يفيد التتابع السريع للأحداث ، وتتخلق جميع أجهزة الإنسان في مرحلة المضغة ، ويحدد القرآن أن العظام تبدأ بعد مرحلة المضغة ثم تكسي العظام بالعضلات. وهذا ما يقرره العلم [2]

و تعتبر هذه الأوصاف القرآنية دلالات واضحة على أن هذه الحقائق العلمية جاءت للرسول محمد ﷺ من الله ﷻ ، إنها قدرة الخالق الحكيم العليم الذي أحاط بكل شئ علماً وقدر لكل عضو وظيفة ومهمة ،

(1) كيت مور keit Moore ، عبد المجيد الزنداني ، المرجع السابق ، الباب الثالث ، ص:3
(2) كيت مور ، عبد المجيد الزنداني ، المرجع السابق ، الباب الثالث ، ص:7

قال تعالى : (قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ)[3] .

-طور العظام (الهيكل العظمي) : حيث يأخذ الجنين شكل العظام بانتشار الهيكل العظمي ، ويشير حرف العطف (ف) في الآية الكريمة إلى أن طور العظام ينمو بعد طور المضغة بفترة قصيرة. ويتخذ الجنين في بدء طور العظام المظهر الإنساني الذي يميزه عن غيره من الأجنة ، قال تعالى (**ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ**)[1] .

- طور اللحم (العضلات) : حيث ذكر القرآن أن كساء العظام باللحم (العضلات) يعقب تكون العظام في جنين الإنسان مباشرة ، فقال تعالى : (**فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا**)[2] فتتعدل الصورة الآدمية للجنين ، وتتناسق الأعضاء بصورة أدق[3] .

المرحلة الثالثة : [مرحلة النشأة] :

وتبدأ مرحلة النشأة في الأسبوع التاسع ، وقد ذكر القرآن هذا الطور في الآية الكريمة : (**ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ**)[4] ، وقد ورد حرف العطف (ثم) مع (أنشأنا) في الآية ليفيد أن مرحلة النشأة

(3) سورة عبس (17-22) .
(1) سورة الإنفطار (1-2).
(2) سورة المؤمنون (14) .
(3) كيت مور ، عبد المجيد الزنداني ، المرجع السابق ، الباب الرابع ، ص:4-6
(4) سورة المؤمنون (14) .

تأتي بعد مرحلة الكساء باللحم على التراخي في الزمن بصورة تدريجية ، وفي هذه المرحلة تتطور الأعضاء والأجهزة وتنفخ الروح كما تشير إلى ذلك النصوص القرآنية والنبوية ، وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة . وتنتهي الحضانة الرحمية بولادة الجنين، وقد ورد ذلك في الآية الكريمة : (ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾)[1]

وهكذا نلاحظ دقة المصلحات القرآنية في وصف مراحل وأطوار تخلق الإنسان مما يدل دلالة واضحة أن القرآن الكريم مرسل من الحكيم العليم وقد أعترف بذلك أساتذة العلوم من الغربيين : " لا يمكن لهذه الآيات العظيمة أن تكون اختلافا بشريا ، ولا نسج خيال حالم ، ولا بد أن يكون قائلها هو بارئ الكون وخالق الإنسان ، العليم بما خلق والخبير بما أبدع "[2] قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ)[3] .

لقد جعل الله تعالى من آياته الإنسانية والقرآنية قبسا من نوره ، وأدلة مادية حية تشير إلى علمه الواسع ، وقدرته التي لا تحدها حدود ، وبدقة التعبير القرآني في وصف تخلق الإنسان الدواء الشافي والجواب الكافي لكل من كفر بآياته أو شك في قدرته أو كذب بخلقه ، فيرده إلى الطريق

(1) سورة عبس (20) .
(2) محمد نبيل نشواتي ، **الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان** ، السابق ، ص: 30
(3) سورة فصلت (53) .

الصحيح وإلى دين الله الحنيف ، وهكذا يبقى القرآن العظيم المعجزة الخالدة المتجددة والمتمشية مع كل زمان ومكان ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ**

الفصل الثالث

صياغة الإنسان بالعلم والإيمان

ألكسيس كاريل وكتابه الإنسان ذلك المجهول

Dr. Alexis Carrell

التعريف بـ" ألكسيس كاريل" :

ولد ألكسيس كاريل في 28 يونيو 1873 م في *les Sainte-Foy* ضاحية *Lyons*، بفرنسا. في عائلة كاثوليكية رومانية. كان يحَضرَ مَدارِس يسوعية ، دخل المدرسة في ليون *lyons* ، وفي 1889 حصل على البكالوريوس من جامعة ليون ، وفي 1900 حصل على درجة الدكتور في نفس الجامعة ، تعلم علم التشريح والجراحة الفعالة في الجامعة ، وكانت بحوث كاريل مهتمة بالجراحة التجريبية وزرع الأنسجة والأعضاء الكاملة ، انتقل إلى شيكاغو ، وعمل في قسم علم وظائف الأعضاء في نفس الجامعة ، واتصل بمعهد روكلفرد *Rockefeller* للبحث الطبي .وعمل كعضو منتسب ثم عضوا كاملا ، وفي العام اثنا عشر وتسعمئة وألف أخذ جائزة نوبل في علم وظائف الأعضاء [1] .

عمل كاريل كرائد في هيئة الجيش الفرنسي الطبية ، حيث ساعد في ابتكار طريقة لمعالجة جرحى الحرب سميت بـ(*Carrel Dakin*) ، و بيّن بأن الأوعية الدموية يمكن أن تبقى لفترات طويلة في المخزن المبرد قبل استعمالها .

(1) موقع جوائز نوبل على الرابط :
http://nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/1912/index.html

وابتكر ماكنة لتموين النظام التنفسي المعقم إلى الأعضاء الزائلة من الجسم ، وقد ناقش عمله هذا في كتابه : " ثقافة الأعضاء" ، وفي كتابه " الإنسان ذلك المجهول" شرف بالدكتوراه الفخرية من جامعات بلفاست و*Princeton* ، كاليفورنيا ونيويورك وبروان وجامعات كولومبيا ، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وعلى أثر عودته إلى وطنه الأصلي عهدت إليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب ، وحصل على تقدير الحكومات الفرنسية والبريطانية والأمريكية .

وبعد اعتزاله في العام 1939م استمر في أبحاثه المتعلقة " **بالقلب الميكانيكي**" الذي قيل : إن في إمكانه وصل "**الحياة**" لأعضاء الجسم التي تفصل عن القلب الحقيقي فترة غير محدودة . ثم أصبح مدير مؤسسة *carrel* لدراسة المشاكل البشرية ، وبقي في هذا التعيين حتى مات في باريس في 5 نوفمبر 1944 م .[1]

ويقول عن نفسه : (لست فيلسوفا ولكنني رجل علم فقد قضيت الشطر الأكبر من حياتي في المعمل أدرس الكائنات الحية ، والشطر الباقي في العالم الفسيح أراقب بني الإنسان ، وأحاول أن أفهمهم ، ومع ذلك فإنني لا أدعي أنني أعالج أمورا خارج نطاق حقل الملاحظة العلمية).[2]

من أهم كتبه : - ثقافة الأعضاء - الرحلة إلى لوردز .

- الإنسان ذلك المجهول .

(1) الموسوعة البريطانية : *Encyclopædia Britannica DVD 24 June 2006*

(2) ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، المرجع السابق ، ص : 7

وكتاب " **الإنسان ذلك المجهول** " أشهر كتب الدكتور كاريل ، وقد استقبل بحماسة عظيمة عندما نشر لأول مرة ، ولذلك أعيد طبعه في أمريكا خمسين مرة بعد النشر الأول ، وترجم إلى ثمان عشرة لغة عدة مرات .. لأنه يشتمل على كثير من تجارب مؤلفه عن الإنسان والحياة من وجهة النظر العلمية البحتة[1] .

التعريف بكتاب " الإنسان ذلك المجهول "

كتاب " الإنسان ذلك المجهول" ، تقع ترجمته العربية في ثمان وعشرين وثلاث مائة صفحة ، قياس متوسط ، تجليد كارتون والكتاب من الورق الأبيض . يحتوي الكتاب على مقدمة وثمانية فصول مرتبة كما يلي :

الفصل الأول : الحاجة إلى معرفة الإنسان معرفة أفضل .

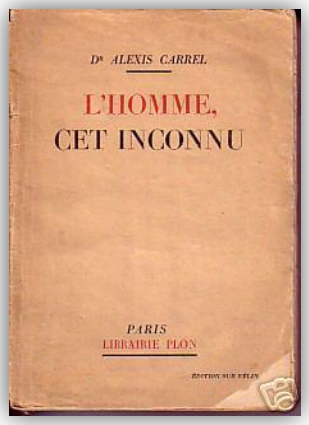

الفصل الثاني : علم الإنسان .

الفصل الثالث : الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجي .

الفصل الرابع : النشاط العقلي .

الفصل الخامس : الزمن الداخلي .

الفصل السادس : الوظائف التنسيقية .

الفصل السابع : الفرد .

الفصل الثامن : إعادة صياغة الإنسان .

(1) الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ، ص: 5

جاء في مقدمة الناشر : (" الإنسان ذلك المجهول" لعلّهُ أصدق عنوان وأدق تعبير عن نتائج الجهود المتواصلة التي بذلها الباحثون من مفكرين وفلاسفة وعلماء وأدباء ومناطقة وناقدين ، والتي أثمرت في تنويع وتعميق فهم الإنسان وانتهت في كل مرة إلى أن الإنسان لا يزال مجهولا ، وكلّما تعمق البحث كلما ازداد الجهل به أكثر وهذا الكتاب يقدم قراءة معرفية للإنسان من وجهة نظر علمية وليست فلسفية)[1] ، والدكتور ألكسيس كاريل ليس فيلسوفا ، بل رجل علم وحسب ، ويقول ألكسيس كاريل عن كتابه "**الإنسان ذلك المجهول**" : (إنني أحاول أن أصف في هذا الكتاب ما هو معروف بعد أن أفصِّله بوضوح عن كل مديح ، كما أعترف بوجود المجهول غير المعروف ، ولقد اعتبرت الإنسان ملخص الملاحظات والتجارب في جميع الأوقات والبلدان ، بيد أنني لم أصف إلا ما رأيته بناظري أو عرفته مباشرة من أولئك الذين كنت على صلة بهم ، وكان من حسن حظي أن سمح لي مركزي بأن أدرس ـ دون بذل أي مجهود أو الطمع في أي ثناء ـ ظواهر الحياة في تعقيدها المخيف .. فلاحظت كل وجه من وجوه النشاط البشري بصفة عملية ، كما أنني عليم بكل ما يكتنف الفقير والغني ، الصحيح والمستقيم ، والمتعلم والجاهل، ضعيف العقل والمجنون، الذكي والمجرم ..الخ

كذلك فإنني أعرف الفلاحين والعمال ، الكتبة وأصحاب المتاجر ، الماليين وأصحاب المصانع ، الساسة ورجال الحكم ، الجنود وأساتذة

(1) ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، المرجع السابق ، ص : 3 .

الجامعات ، المدرسين ورجال الدين، البورجوازيين والارستقراطيين .. ولقد ألقت بي الظروف في طريق الفلاسفة والفنانين والشعراء والعلماء ، والعباقرة والقديسين ..كما درست في الوقت نفسه التركيب الميكانيكي الغائر في أعماق الأنسجة وتلافيف المخ ، الذي هو الحقيقة الأساس العميق للظواهر العضوية والعقلية [2].

إنني مدين لفنون الحياة العصرية لأنها مكنتني من مشاهدة هذا المنظر العظيم ، كما أتاحت لي فرصة توجيه انتباهي إلى عدة موضوعات في وقت واحد .. إنني أعيش في العالم الجديد ، والقديم أيضا.. وأمتاز بأنني أقضي معظم وقتي في معهد روكلفر للبحث الطبي كواحد من العلماء الذين جمعهم سيمون فلكسنر معا في هذا المعهد .. فهناك أفكر في ظواهر الحياة حينما يحللها الخبراء ..)[1].

ويقول في موضع آخر عن كتابه : (إننا نملك الآن أكداسا من المعلومات عن الكائنات الحية حتى إنها لفرط ضخامتها تحول بيننا وبين استخدامها على الوجه الصحيح .. وكيفما تكون هذه المعلومات ذات فائدة عملية يجب أن تكون إنشائية دقيقة .. وعلى ذلك فإنني لم أهدف من وراء هذا الكتاب إلى أن يكون رسالة عن الإنسان ، لأن مثل هذه الرسالة تستغرق عشرات من المجلدات الضخمة ، وإنما أهدف إلى تنظيم المعلومات التي لدينا عن أنفسنا تنظيما مفهوما .. ولقد حاولت أن أصف عددا كبيرا

(1) كاريل ، مقدمة المؤلف ، السابق ، ص : 7 .
(2) ألكسيس كاريل ، مقدمة المؤلف ، المرجع السابق ، ص : 8.

من الحقائق الأساسية بطريقة مبسطة للغاية ولكني حرصت على ألاَّ تكون بدائية ، كما حرصت أيضا على ألا أنهمك في التعميم العلمي أو أن أقدم للجمهور صورة ضعيفة أو صبيانية للحقيقة .. وعلى ذلك فإنني أستطيع أن أقول : إنني كتبت للرجل المتعلم والرجل العادي على السواء)[1] .

وعن كتاب الإنسان ذلك المجهول ، يقول سيد قطب R: (كتب دكتور ألكسيس كاريل كتاباً تقع ترجمته العربية في ست وسبعين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، بعنوان: (الإنسان ذلك المجهول) ضمنه شهادة ضد الحضارة المادية القائمة، لقتلها أهم خصائص الإنسان؛ وأطلق فيه صيحة مدوية بالأخطار التي تهدد الجنس البشري من جراء الاعتداء على القوانين الطبيعية، التي لا تدع المعتدين عليها بلا عقوبة؛ وأعلن جهل (العلم) بحقيقة الإنسان. بل بأبسط حقائق تكوينه الجسدي ذاته!)[2]

ويقول عنه وحيد الدين خان في كتابه " الدين في مواجهة العلم " : (إن كتاب الدكتور ألكسيس كاريل المطبوع لأول مرة العام خمس وثلاثون وتسعمئة وألف يعتبر جهدا علميا لإنشاء هذا الدين الحديث ، بيد أنه لا يمكن اعتبار هذا الكتاب ممثلا لكل المجموعة المؤمنة بهذا المذهب ، ولكنه بالرغم من ذلك جهد علمي لم يفقد قيمته بعد)[3]

(1) ألكس يس كاريل ، السابق ، ص : 10 .
(2) سيد قطب ، **المستقبل لهذا الدين** ، ، ص: 59
(3) وحيد الدين خان ، **الدين في مواجهة العلم** ، ترجمة ظفر الدين خان ، ص : 95

الإنسان ذلك المعلوم بالعلم والإيمان

علم الإنسان وعلم الإيمان .

قد يرى البعض أن الإنسان يشترك مع الحيوان في بعض غرائزه ، ولكن الإنسان بالروح إنسان لا بالجسد ، والجسد تعبير للروح عن نفسها ، وتجلي لها. والإنسان لذلك كل معقد ، مما دعا ألكسيس كاريل أن يطلق عليه "الإنسان ذلك المجهول". فإذا كان وجوده لا يفنى بتوقف وظائفه عن العمل ، إلا أن هذا الجسد يَكْسب شرف الوجود طالما كانت هناك حياة تدب فيه ، ولذا فإن توقف الجسد عن العمل ، يعني أن هذا الجسد لم يعد ينتمي إلى "الإنسان" ، وعاد إلى الأرض ، وأما الإنسان فإنه يبقى في وجود آخر ، لا يعلمه إلا علاَّم الغيوب. وفي كل الأحوال فنحن عندما نتحدث عن الإنسان فإننا لا نراه إلا في هذا التجلي الأرضي ، وفي هذه الصورة البشرية ، وندرك أن هذا التواجد يحمل قدسية بما أودع الله فيه من قدرات ، وبما كرَّمه به الله عز وجل .

ولقد سعى كثير من العلماء والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة ، المادية منها والروحية . وذلك لوضع تفسير طبيعة السلوك الإنساني فكان علم الإنسان موضوعًا للدراسة من قبل العلوم النفسية والاجتماعية والأنثربولوجية. غير أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا .الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين : صعوبة

ضبط السلوك البشري، ثم استحالة وضع تفسير واحد وموحد للظاهرة الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفيزيولوجية وعقلية... و لذلك تطرح عدة أسئلة لتفسير ظاهرة الإنسان : هل هناك تفسير علمي وديني مقنعان لتصرفات الإنسان ووجوده التاريخي؟ وهل هناك علاقة بين علم الإنسان وعلم الإيمان من أجل الوصول إلى معرفة حقيقة الإنسان؟ .

لقد حاولت بحوث علمية على اختلاف فروعها اكتشاف هذا اللغز البشري الذي أصبح موضوعًا للدراسة. كما نُظر إلى الإنسان باعتباره شتاتًا من العناصر التي تتحكم في بنيته العضوية والنفسية.

ولذلك وجدنا طرائق قددًا في المجال العلمي ، فكل علم ينظر إلى حقيقة الإنسان من منظاره فالبيولوجيا نظرت إلى الإنسان كعناصر عضوية تتحكم في قواه العقلية والعاطفية .والسيكولوجيا نظرت إليه بمثابة خزان من ردود الأفعال نحو مثيرات خارجية أو غرائزية، كما أن علم الاجتماع فسر الإنسان انطلاقًا من بنى اجتماعية تحتية هي التي توجه سلوكه ، وهكذا بقية العلوم ..

وقد اتفقت جل هذه العلوم حول مسألة واحدة هي غموض هذا الكائن وغرابة سلوكاته سواء الغريزية أو المكتسبة. ولذلك اعترفت هذه العلوم بصعوبة امتلاك الخصائص التي تكوّن الفرد وصعوبة التحكم فيها أو توجيهها بشكل مبسط .

وهذا اللغز المحير ، هو الذي جعل الدكتور ألكسيس كاريل يصدر ما يسميه " الإنسان ذلك المجهول" ، والذي يقرر أن حقيقة علمنا عن الإنسان لا شيء ! وأننا نعيش في " جهل مطبق " بهذا الكائن ، الذي هو نحن ! .

فهو يقرر بأن علم الإنسان قد أهمل ، ولم يعنى به كما عني بعلم الجماد ، فيقول في الفصل الأول من كتابه : (هناك تفاوت عجيب بين علوم الجماد وعلوم الحياة ، فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة تقوم على آراء يمكن التعبير عنها بسداد وفصاحة باللغة الحسابية .. وقد أنشأت هذه العلوم عالما متناسقا كتناسق آثار اليونان القديمة .. إنها تنسج حول العالم نسيجا رائعا من الإحصاءات والنظريات ... بيد أن موقف علوم الحياة يختلف عن ذلك كل الاختلاف . حتى ليبدو كأن أولئك الذين يدرسون الحياة ضلوا طريقهم في غاب متشابك الأشجار .. فهم يرزحون تحت عبء أكداس من الحقائق التي يستطيعون أن يصفوها ولكنهم يعجزون عن تعرفها أو تحديدها في معادلات جبرية .. فعلم الإنسان لم يصب مثل تقدم علم الجماد .. إنه لا يزال في المرحلة الوصفية .. فالإنسان كل لا يتجزأ وفي غاية التعقيد ، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له ، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه ، أو في أجزائه في وقت واحد ، كما لا تجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي .. ولكي نحلل أنفسنا ، فإننا مضطرون إلى الاستعانة بفنون مختلفة ، وإلى استخدام علوم عديدة .. إن التشريح والكيمياء والفسيولوجيا وعلم النفس والبيداغوجيا (فن التعليم) والتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي لا تلم بجوانب موضوعها كلها. والإنسان– كما هو

معروف للأخصائيين ، أبعد من أن يكون الإنسان الجامد .. فالإنسان الحقيقي لا يزيد عن أن يكون رسما بيانيا يتكون من رسوم بيانية أخرى أنشأتها فنون كل علم .. فالإنسان عبارة عن المواد الكيماوية التي تؤلف الأنسجة وأخلاط أجسامنا .. إنه تلك الجمهرة المدهشة من الخلايا والعصارات المغذية التي درس الفسيولوجيون (علماء وظائف الأعضاء) قوانينها العضوية ..إنه ذلك المركب من الأنسجة والشعور الذي يحاول علماء الصحة والمعلمون أن يقودوه إلى الدرجات العليا أثناء نموه مع الزمن .. إنه ذلك الكائن الحي العالمي الذي يجب أن يستهلك بلا انقطاع السلع التي تنتجها المصانع حتى يمكن أن تظل الآلات ، التي جعل لها عبدا ، دائرة بلا توقف .. ولكنه قد يكون أيضا شاعرا أو بطلا أو قديسا .. إنه ليس فقط ذلك المخلوق شديد التعقيد الذي تحلله فنوننا العلمية ، ولكنه أيضا تلك الميول والتكهنات وكل ما تنشده الإنسانية من طموح .. وكل آرائنا عنه مشربة بالفلسفة العقلية .. وهذه الآراء جميعا تنهض على فيض من المعلومات غير الدقيقة بحيث يراودنا إغراء عظيم لنختار من بينها ما يرضينا ويسرنا فقط .. ومن ثم فإن فكرتنا عن الإنسان تختلف تبعا لإحساساتنا ومعتقداتنا ، فالشخص المادي والشخص الروحي يقبلان نفس التعريف الذي يطلق على بلُّورة من الكلوريد ، ولكنهما لا يتفقان أحدهما مع الآخر في تعريف الكائن الحي ..

وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة

والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا ..إننا لا نفهم الإنسان ككل ...

وواقع الأمر أن جهلنا مطبق ، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة ..)[1].

ولكن لماذا كان جهلنا مطبقاً بحقيقة الإنسان؟ لماذا كانت الحقيقة تسير في موكب من الأشباح، بحيث لا نستطيع رؤيتها بوضوح؟ ولماذا كان الذين يدرسون الحياة كمن ضلوا طريقهم في غاب متشابك الأشجار، هل كان ذلك لقصور وسائلنا العلمية في فترة من الفترات؟ أم لظروف وقتية من ظروف حياتنا الإنسانية؟ ومن ثم يكون هناك أمل كبير وفرص كثيرة لتكملة تلك الوسائل، وتغيير هذه الظروف، ثم الوصول إلى معرفة الحقيقة الإنسانية كاملة واضحة محددة؟

أم أن هناك أسباباً ثابتة في طبيعة الحقيقة الإنسانية من جهة، وفى طبيعة تفكيرنا وعقولنا من جهة أخرى، هي التي تنشئ تعذر الوصول إلى هذه الحقيقة بمثل الوضوح والدقة المعهودين في عالم المادة ؟ .

(1) ألكسيس كاريل ، المرجع السابق ، ص : (16-20) .

يقرر العالم الكبير وجود هذه الأسباب وتلك، ويقرر أنه لا أمل في إزالة هذا النوع الأخير من أسباب تعذر هذه الحقيقة، يقرر هذا في أسلوب العالم، الذي واجه هذه الحقيقة، وعرف طاقة العلم وحدوده في مجالها..)[1] ويواصل الدكتور كاريل حديثه عن علم الإنسان : (وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية، فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة.)[2]

صفوة القول: أن التقدم البطيء في معرفة بني الإنسان إذا قورن بالتقدم الرائع فى علوم الطبيعة والفلك والكيمياء والميكانيكا يعزى إلى:

1 - حاجة أجدادنا إلى وقت فراغ .

2 - وإلى تعقد الموضوع .

3 - وإلى تركيب عقولنا .

وهذه العقبات أساسية. وليس هناك أمل في تذليلها. وسيظل التغلب عليها شاقاً يستلزم جهوداً مضنية.. إن معرفة نفوسنا لن تصل أبداً إلى تلك المرتبة من البساطة المعبرة، والتجرد، الجمال، التي بلغها علم المادة. إذ ليس من المحتمل أن تختفي العناصر التي أخرت تقدم علم الإنسان.. فعلينا أن ندرك بوضوح أن علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعاً)[3] .

(إن العلاج الوحيد الممكن لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا. فمثل هذه المعرفة ستمكننا من أن نفهم ما هي العمليات الميكانيكية

(1) سيد قطب ، **الإسلام ومشكلات الحضارة** ، ص: (17-18) .
(2) ألكسيس كاريل ، المرجع السابق ، ص : 42 .
(3) ألكسيس كاريل ، المرجع السابق ، ص : 24

التي تؤثر بها الحياة العصرية على وجداننا وجسمنا.. وهكذا سوف نتعلم كيف نكيف أنفسنا بالنسبة للظروف المحيطة بنا، وكيف نغيرها. إذ لم يعد هناك مفر من أحداث ثورة فيها. ولئن استطاع هذا العلم -علم الإنسان - أن يلقي الضوء على طبيعتنا الحقة، وإمكانياتنا، والطريقة التي تمكننا من تحقيق هذه الإمكانيات، فانه سيمدنا بالإيضاح الصحيح لما يطرأ علينا من ضعف فسيولوجي. كذا لأمراضنا الأدبية والعقلية.. إننا لا نملك وسيلة أخرى لمعرفة القواعد التي لا تلين لوجوه نشاطنا العضوي والروحي ؛ وتمييز ما هو محظور مما هو مباح ؛ وإدراك أننا لسنا أحراراً لنعدل في بيئتنا وفي أنفسنا تبعاً لأهوائنا.. وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية ، فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة)[1] .

فالدكتور ألكسيس كاريل أطلق صيحته محذرا العالم من المخاطر المحدقة ببني الإنسان عموما ، وخاصة الإنسان الغربي، وهذا إن بقي في عناده وإهماله لنفسه ، منشغلا بالاكتشافات والاختراعات ، أو ما سماه بعالم الجماد ، فهو يرى أن الحل هو المزيد من العلم ، ولكن علم الإنسان

والسؤال المطروح هو هل الدكتور كاريل بتركيزه على الجانب المادي أو الجانب العلمي فقط ، يعني هذا إهماله للجانب الروحي أو الجانب الإيماني ؟ نسمع للسيد قطب ماذا يقول :(.. واعتباره الحل الوحيد الممكن للمشكلة -مشكلة بقاء هذه البشرية متحفظة بإنسانيتها، او انحدارها منها وتراجعها إلى البربرية الوحشية - اعتباره إن الحل الوحيد الممكن هو (مزيد

(1) المرجع السابق ، ص : 42

من علوم الإنسان).. هو ظاهرة تلفت النظر بشدة إلى فعل هذه الحضارة في تفكير أهلها وتصوراتهم، بحيث تضعهم في قفص حديدي من (حدود العلم والواقع)* لا يملكون الخروج من إساره! كما إن هذه الظاهرة تجزم بأن الحل لن يجيء من هناك! لأنه يحتاج إلى راقب يرقب الوضع من خارج القفص لا من داخله! إن تأخر علوم البشر عن علوم الجماد ليس ظاهرة تلقائية -كما يميل دكتور كاريل في كتابه إلى تقريره - وإنما نتيجة طبيعة -تكاد تكون حتمية - لتقدير قيمة الإنسان ودوره، في التصور الزائف الذي قامت عليه هذه الحضارة، حين افترقت في نشأتها عن التصور الاعتقادي الصحيح. الذي يحمل تكريم الإنسان، واعتباره خليفة الله في هذه الأرض..)[1].

ويضيف سيد قطب مبينا الحل الأمثل : (إن الصعوبة ناشئة في أننا نقف موقفاً غامضاً من إيماننا ؛ ومن العلاقة التي بين هذا الإيمان ونشاطنا! .. ولم نعد نؤمن بأن الإيمان يتمشى مع الظروف الحديثة.. ومتى تحطمت الصلة بين الإيمان والعمل، فلن نستطيع بعد ذلك أن ننمي قوة روحية نستطيع نشرها في جميع أنحاء العالم ... ويجب ألا نخشى وضع الإيمان في مرتبة الصدارة بالنسبة لحرية الإنسانية والتحرر، وأن نتمسك بالرأي الديني القائل: إن الله قد خلق الإنسان لكي يكون أكثر من منتج مادي ؛ وان غايته النهائية شيء آخر غير الأمن الجثماني. يجب أن نؤمن بأنه يجب تحرير الناس

* ولكن الدكتور كاريل على الرغم من تركيزه على الجانب المادي ، أو ما يسميه علم الإنسان ، فقد أشار في أكثر من موضع من كتابه على الجانب الروحي ، كما سنرى لاحقا ..

(1) سيد قطب ، **المستقبل لهذا الدين** ، ط: 16 ،

في كل مكان من التضييق الروحي والعقلي والاقتصادي المتزايد، بحجة أن ذلك سينمي الرفاهية الاقتصادية للمجتمع الذي ينتمون إليه !)[1].

إن الدكتور كاريل يطلب منهجاً للحياة غير (دين الصناعة و التكنولوجيا). يريد منهجاً يعتبر الإنسان مقياساً لكل شيء ولا يجعله غريباً في العالم الذي ابتدعه .. ولا ينهض على الجهل المطبق بخصائصه ومقوماته.

منهجاً لا يهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال إهمالاً تاماً عند تنظيم الحياة الصناعية ولا ينهض على مبدأ الحد الأقصى من الإنتاج بأقل قدر من التكاليف .. حتى يستطيع فرد أو مجموعة من الأفراد أن يحصلوا على أكبر مبلغ مستطاع من المال ..

ولكن الدكتور كاريل يطلب هذا المنهج الذي هذه سماته عند (علم الإنسان) الذي يطالب بإنشائه على الرغم من تقريره أن في العقل البشري بطبيعته عجزاً عن العلم بالإنسان!)[2].

إن هذا المنهج الذي يطلبه الدكتور كاريل لا يتوفر إلا في " هذا الدين" ولا يملكه إلا الإسلام . والدكتور كاريل لا يتجه إلى هذا " المخلص" ربما لعدة أسباب :

- إما لكونه لا علم له ولا معرفة بحقيقة الإسلام .
- نتيجة ظهوره في البيئة النصرانية السائدة في وقته بينما كانت البلاد الإسلامية تحت الاستدمار الأوروبي، مما وضع غشاوة عن هذا الدين

(1) سيد قطب ، **المرجع السبق** ، ص : (71-72) .
(2) المرجع السابق ، ص : (77-78) .

- ربما يرجع السبب إلى سيطرة الكنيسة على النظم السياسية في ذلك الوقت ، مما جعل كثير من العلماء يكتمون إيمانهم ويتظاهرون بالولاء لهم ، وفي الوقت نفسه ينتقدونهم نقدا علميا بعيدا عن الدين وهذا ما جعل الدكتور كاريل يؤكد في مقدمته كتابه على أنه رجل علم فقط .
- لكونه رجل أبيض .. يتجه بتمجيده كله للجنس الأبيض ! ويؤلف كتابه لإنقاذ الجنس الأبيض من الانحلال والبوار .

وأمام كل هذه الاحتمالات ، يميل سيد قطب إلى الاحتمال الأخير ويعلق قائلا : (.. ولقد انتظرت من دكتور كاريل - وهو يذكر "ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري" أن يثب وثبة كاملة، فيخرج من قفصه الحديدي "العلمي"! ولكنه لم يستطع هذه الوثبة الكبرى وبقي داخل القفص، يهتف بصيحة الخطر الذي يراه يتهدد البشرية المسكينة الصائرة إلى البوار!)[1] .

إن علمنا القليل المحدود عن الكائن البشري أو جهلنا المطبق بهذا الكائن البشري كما وصفه هذا العالم العالمي الكبير، لا يسمح إطلاقاً بأن نكون نحن البشر الذي نتولى وضع (التصميم) الأساسي ابتداءً لحياة هذا الكائن .. ولو كان هذا مدى علمنا أو مدى جهلنا بجهاز مادي صغير، ما أمن صاحبه أن يتركه لنا لإصلاحه بله تركيبه! ولكننا بهذا الجهل نتصدى لإقامة نظام للإنسان ..أعز وأثمن ما في هذه الأرض جميعاً! ولا نبالي ما يصيبه من جراء (هذا النظام!).

(1) المرجع السابق ، ص : (80-82) .

لقد أدركنا الغرور، ونحن نرى العقل البشري يبدع في عالم المادة، ويأتي بما يشبه الخوارق! فوهمنا أن العقل الذي يبدع الطائرة والصاروخ؛ ويحطم الذرة وينشئ القنبلة الأيدروجينية؛ ويعرف القوانين الطبيعية ويستخدمها في هذا الإبداع .. وهمنا أن هذا العقل جدير بأن نكل إليه كذلك وضع (نظام) الحياة البشرية .. وقواعد التصور والاعتقاد، وأسس الأخلاق والسلوك .. ناسين أنه حين يعمل في (عالم المادة) فإنه يعمل في عالم يمكن أن يعرفه، لأنه مجهز بإدراك قوانينه .. أما حين يعمل في (عالم الإنسان) فهو يعمل في متاهة واسعة بالقياس إليه! هو غير مجهز ابتداء بإدراك حقيقتها الهائلة الغامضة. ومن عجب أن الذي يقرر هذه الحقيقة هو العالم العالمي الكبير الذي يطلب هذه الحقيقة عند (علم الإنسان)!!)[1]

ويمكن تفسير هذا اللغز والغموض في الظاهرة البشرية بكون الإنسان معجزة إلهية في طبيعة الصنع الخارجي، وفي الآليات الداخلية العصابية والعقلية والنفسية. ولذلك نجد في القرآن الكريم تذكيرًا غير ما مرة بأصل الإنسان وبمراحل الحمل والولادة ثم الموت والبعث . وهذا التحكم الرباني في الإنسان يظهر في قوله تعالى: { **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾** }[2] و قوله عز وجل: { **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾** }[3]

(1) المرجع السابق ، ص : 83.
(2) سورة ق ، (16) .
(3) سورة البلد (8-9-10) .

فلو تأملنا الآيات القرآنية والآحاديث الشريفة لألفيناهما ينطقان بحقيقة واضحة حيال الإنسان ، فالإنسان محور الوجود ، وهو مكرم أيما تكريم ، ولعلمنا أن رسالة الإسلام مبنية على ثلاثة دعائم هي :

- أن لا إله إلا الله الخالق ، قال تعالى : {فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ}[1]
- وأن الإنسان مخلوق من قبل الله ﷻ قال تعالى : {۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾}[2] .
- وأن الكون مسخر للإنسان للقيام بالخلافة ، قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا}[3] والإنسان كما هو معلوم مكون من شقين أساسيين هما الجسد والروح ، وأن سعادة الإنسان مرتبطة بهما معا من أجل التوازن والاستقرار في هذه الحياة ، وأن أي اهمال لشق على حساب الآخر يحدث خلل في التوازن ، ينذر بالخطر ، كالانذار الذي أطلقه دكتور كاريل نتيجة إهمال الحضارة الغربية الجانب الروحي بسبب المبالغة في الاهتمام بالجانب المادي . فكلما تقدم الإنسان ماديا على حساب الروح تخلف روحيا وتقهقر نفسيا .

(1) سورة محمد (19)
(2) سورة الإسراء (70) .
(3) سورة البقرة (29) .

فإذا كانت النظرية العلمية قد اعتبرت الإنسان لغزًا رغم معرفتها بالتشريح العضوي وبالخلايا والجينات، فإنها إنما تقر بعدم القدرة على التحكم في مجموعة عناصر منها: ما تحدثه به إحساساته وخواطره الباطنية والنفسية ، إخلاصه ، نواياه الحسنة أو القبيحة. إن هذه الأسرار من مهمة علم الإيمان ، فالإسلام قد حدد بعمق مفهوم الطبيعة الإنسانية وشرح آلياتها وفسر عناصرها ومكوناتها. كما أنه نظر إلى الإنسان داخل الفئة الاجتماعية، ثم ضبط الجماعة في الأمة. يقول الرسولﷺ: « **اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** »[1] ثم إدراك الغاية من الوجود البشري { **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝** }[2].

والإسلام بطبيعة تصوره لحقيقة الكون ودور الإنسان فيه، وبطبيعة منهجه الواقعي التجريبي - لن يعمد إلى المصانع فيحطمها! ولن يعمد إلى تلك التيسيرات التي تقدمها الصناعة للحياة البشرية فيلغيها! ولكن الإسلام سيعمد - ابتداء - إلى تغيير النظرة إلى هذه المدنية وقيمتها .. سيمنحها قيمتها الحقيقية بلا مبالغة وبلا بخس كذلك! بحيث يصبح الروح الإنساني المؤمن هو المسيطر عليها. لا أن تكون هي المسيطرة عليه، وعلى تصوراته ومشاعره وأوضاعه وأنظمته ..

(1) رواه أحمد والترمذي ، والدارمي ، مشكاة المصابيح ، ج : 3 ، ص : 1409.
(2) سورة الضحى (4- 5)

إن الإسلام سيقر في خلد الإنسان قيمته العلوية ومقوماته الكريمة .. سيستنقذ الروح الإنساني من المهانة التي فرضها عليه (داروين) و (كارل ماركس) وأشباههم! وعندئذ سيشعر أنه هو السيد، الذي ينبغي أن يسيطر على الآلة، وعلى الإبداع المادي، والحضارة ..[1].

وإذا نظرنا إلى القرآن نجده يعطي حقيقة ثابتة عن الإنسان ، قال تعالى : {ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ }[2] ، فالإنسان في القرآن مخلوق كسائر المخلوقات الموجودة في هذا الكون ، غير أنه يختلف عنها كونه هو المخلوق الوحيد الذي اختار لنفسه منهج الاختيار ، الذي من خلاله يصرف كل شؤون حياته ، فالملائكة وظيفتهم محددة ، والشمس أيضا وظيفتها محددة ، وسائر الكواكب ، وكذلك الحيوان ، والنبات ، والجماد .. ولم يكن لهم دور في الاختيار، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢}[3].

(1) سيد قطب ، **المستقبل لهذا الدين** ، المرجع السابق ، ص : (86-87 .)
(2) سورة السجدة (7-9)
(3) سورة الأحزاب (72) .

و مع الاختيار فالإنسان قد رسمت له خطوط عريضة لا يجب أن يتعداها ، فعلم الإنسان في القرآن محدد المعالم ، لإن التصور الإيماني ينطلق من أسس وأصول محكمة ، وفهم شامل لحقيقة الإنسان .

في أحد الأيام سألت أمي التي جاوزت الثمانين من عمرها : ما نظرتك إلى الحياة و العيش الرغيد في هذه الأيام ، حيث المسكن الواسع المجهز بالمكيفات الهوائية والثلاجات والتلفزيون والهاتف وأنواع المأكولات .. إلى غير ذلك من وسائل الراحة والدفء وجمال الإضاءة ... ؟ فقالت : « قبل سبعين سنة ، كانت حياتنا صعبة ومتعبة ، لكن كنا مرتاحين البال سعيدين ليس كما هو حالكم حياتكم سهلة.. ، لكن أين السعادة ؟! وأين الضحكة بين أفراد الأسرة ؟! وأين جمعة الأهل؟! ، وأين النية وكبر البال ؟!... وراحت تسرد لي أسباب التعاسة والكآبة البادية على الوجوه .. .».

إنها الحقيقة فالأم قد شخصت واقع الحال كما يشعر به كل بيت في هذا العصر ، فهي تريد أن تقول : رغم المعاناة وشظف العيش ، الإ أن السعادة والقناعة وراحة البال ساكنة في جوفنا وعلامات بارزة لمحيطنا الاجتماعي ، في حين أن هذا العصر وبرغم من توفر وسائل الراحة والمعلومة والتقنية فيه ، الإ أن التعاسة والوحدة والكآبة هي الأكثر انتشاراً بين شرائح مجتمعاتنا.

وهذه هي الحقيقة ، فوسائل الإعلام ، تطلعنا كل يوم ، عن مظاهر الفراغ الروحي كالانتحار والتقتيل والتعدي وزيادة نسبة المجانين ، كما تشير الدراسات إلى أن أغلب المجتمعات تعاني من حالة الاكتئاب

والاضطربات النفسية والقلق الدائم، وإنها تفتقد في أعماقها الى أدنى درجات الاهتمام والرعاية والعواطف الانسانية. من الواضح أن ثمة أزمة نعاني منها، محيطها الإيمان والاخلاق والوعي والفهم والقيم والثقافة .

ولكن ، ما هي الأسباب ؟ هل الأسباب ترجع لهذا العصر وماديته ؟ أما ترجع المشكلة إلى الإنسان نفسه ؟ أم العلم وتسارعه ؟ أم لسبب آخر لا ندري ؟! البعض يقول : أن العلم هو في خدمة الإنسان وأنه يزيد في رفاهيته كلما تقدم ، لكن هل زيادة رفاهية الإنسان تعني إسعاده ؟! ألم يعد النسيج الأسري والاجتماعي ممزقا ؟ لماذا الحروب والقتل والتدمير؟! لماذا لغة التطرف والاقصاء والاستئصال بدلاً من لغة الحوار والتسامح والتعايش؟! هل التسارع العلمي خلق فينا شيئاً من التناقض وعدم القدرة على الثبات؟! ، أم أنه التيار المادي الذي شدنا بريقه، فأحدث تلك الهوة مابين العلم والإيمان والأخلاق فتلاشت عنا راحة البال وفق وصف أمي؟ أم إنها أزمة أخلاق ووعي وفهم خاطئ للمفاهيم ؟ .

إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة ، واضحة أوضح من المشكلة نفسها ، الحل يوجد في كتاب الله وسنة رسوله ، وتبقى المبادرة ، ويبقى الإنسان في نهاية المطاف هو المسؤول والقادر على تحديد المكان والزمان لوضع حد لهذه المأساة ، هذا إن أراد فعلاً أن يشكل حياته ويحل المشكلة.!

تكوين الإنسان شاهد على العلاقة بين العلم والإيمان :

هل عندما نقد الدكتور كاريل الحضارة الغربية المادية واعتبر أن التقدم العلمي غير كاف لسعادة الإنسان ، أراد بذلك أن يفسح المجال للإيمان بعد

أن عجز العلم عن ذلك ؟ أم هو يبحث عن الحل في مكان آخر ، فالمستقرئ لكتاب "الإنسان ذلك المجهول" يجد بعض التلميحات إلى هذا المعنى ، فقد حدد من قدرات العقل الإنساني في الوصول إلى المعرفة المطلقة بالإنسان ، وأشار إلى كثير من الثوابت الإيمانية من خلال دراسته لجسم الإنسان ، والوقوف على حقائقه المذهلة ، فيتحدث عن مكونات الإنسان ، فيقول في الفصل الثالث من كتابه : (..فإذا نظر إليه من الداخل ، فإنه يبدي للمراقب وهو ذاتنا ، أفكاره وميوله ورغباته وأفراحه وأحزانه ، وإذا نظر إليه من الخارج ، فإنه يبدو على شكل الجسم ، جسمنا ، كذا أجسام جميع زملائنا من المخلوقات . وهكذا يتخذ الإنسان مظهرين مختلفين اختلافا كليا ، ولهذا السبب نظر إليه باعتباره مكونا من جزئين : الجسم والروح . ومع ذلك فإن أحدا لم ير حتى الآن روحا بلا جسد ، ولا جسداً بلا روح . وإنما السطح الخارجي من الجسد هو فقط الجزء الظاهر لنا ، فنحن نشعر بوجوه نشاطنا الوظائفي في ذلك الإحساس المبهم من الهناء ، ولكننا لا نشعر بأي عضو من أعضائنا . إذ أن الجسم يطيع قوى آلية مخفاة تماما عنا ، وهو يكشف عن تكوينه بواسطة فنون التشريح والفسيولوجيا فقط ، ومن ثم يبدو لنا تعقده الهائل تحت إطار من البساطة الظاهرية ..)[1]

فالدكتور كاريل يقر بوجود قوة خفية تسير هذا الجسم ، وإن لم يسمها فهي القوة الإلهية عن طريق القوانين والآليات البيولوجية التي تتحكم في أجهزة الجسم ، فجسم الإنسان بين الثوابت والمتغيرات ،

[1] ألكسيس كاريل ، **الإنسان ذلك المجهول** ، المرجع السابق ، ص : (72- 73)

فضربات القلب ثابتة ، ولكنها تزداد في حالات استثنائية كالخوف أو الحزن أو المشاكل النفسية ، وفي الدماغ يشعر الإنسان بالألم حينما ترتابه حالات معينة كالحر الشديد أو البرد الشديد ، وإذا بلغ الحر أو البرد حد لا يطاق يفرز الدماغ مادة تحذره ، فيغيب عن الوعي ، ولا يشعر بالألم .

هذه بعض مظاهر الجسم التي تحدث عنها الدكتور كاريل ، وهي كلها تسير تحت إمرة القوة الخفية ، ولكن تظهر بصماتها من خلال نشاط الجسم ، وهي تبين لنا بجلاء تلك العلاقة ما بين ما توصل إليه العلماء من خلال أبحاثهم وما تضمنه الدين عموما وخاصة الدين الإسلامي ، وذلك حينما يتحدث القرآن عن الإنسان فيقول الله تعالى : {**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣**}[1] .

بالإضافة إلى الآيات القرآنية الكثيرة التي بينت مراحل تخلق الإنسان من الحمل والولادة ثم الموت والبعث ، كل ذلك يزيل كثير من المجهول عن الإنسان ، ويحدد المسار الصحيح الذي يجب أن يسلكه الإنسان لمعرفة المزيد عن الإنسان ، ولكن فقط بالعلم والإيمان معا .

فمن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان حسن الخلقة والتسوية ، قال تعالى : { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٢٩**

(1) سورة الإنسان (02) .

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }[2] . فالإنسان إذن هو قبضة من طين ونفخة من روح ، وقد خلقه الله تعالى بصورة تناسب الاستخلاف في الأرض ، فهو منصب القامة ليرفع رأسه إلى الأعلى ليفكر بعقله وجعل الله له عينين ولسانا وشفتين ..ولو نقص عضو أو زاد لكان المنظر قبيحا ، وكل تلك الأعضاء يغلفها ستار محكم بديع يحجب الأسرار التي تجري بداخله ، هذا الستار هو الجلد ، وهو من أدق وأروع الآيات المحكمات الدالة على جليل صنع الخالق ، لذا سوف نتوقف عندها قليلا لنتعرف على بعض أسراره ، فحينما ننظر إلى جلد الإنسان ، نجده يتأقلم مع كل المناخات ويتبدل دوريا كما يقول الدكتور كاريل : (إن الجلد الذي يغطي السطح الخارجي للجسم غير قابل للاختراق بواسطة الماء والغازات ، كما أنه لا يسمح للجراثيم بالدخول إلى الجسم ، فضلا عن أنه قادر على تحطيم هذه الجراثيم بمساعدة المواد التي تفرزها غدده ، بيد أن تلك الكائنات القاتلة التي نطلق عليها " فيروس " قادرة على عبوره ..)[1] .

ويقول الدكتور عبد الرزاق نوفل : (.. ومن أهم وظائف الجلد ، حفظ الجسم عند درجة ثابتة من الحرارة ، إذ أن أعصاب الأوعية الدموية في الجلد تنشطها عندما يشتد حر الجو ، وتفرز غدد العرق ما يزيد على لتر من الماء فتخفض درجة حرارة الجو الملاصق للجلد . أما إذا اشتد برد الجو انقبضت

(2) سورة الحجر (29-30) .
(1) ألكسيس كاريل ، السابق ، ص : 78.

الأوعية الدموية فتحتفظ بحرارتها ويقل العرق...هذا الجهاز أعد بعناية وتقدير..)[2]

وتنمو خلايا الجلد وتموت وتستبدل نفسها باستمرار، وقد بين علم التشريح أن الجلد ليس كما كان الناس يتصورونه ، بأن جسم الإنسان حساس كله للألم بل الحقيقة هي أن انتشار الأعصاب تحت الجلد شيء لا يكاد يصدق ، وتنتهي الألياف العصبية بجسيمات خاصة يختص كل نوع منها بنقل حس معين ، فهناك جسميات تنقل الحر ، وأخرى تنقل البرد ، وثالثة للمس والضغط ، وهكذا .. تتنوع الإحساسات وتتباين.

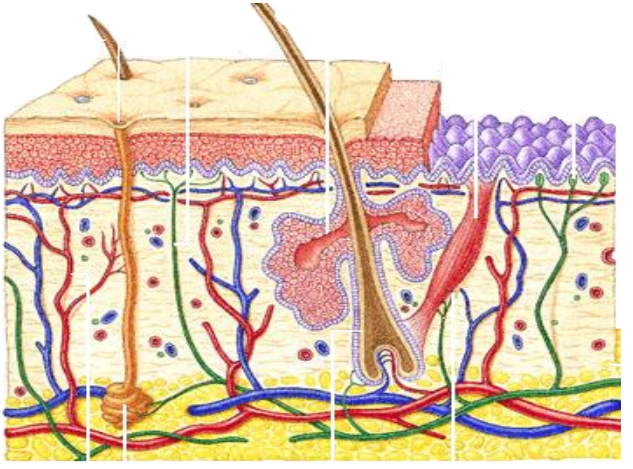

وهذا ما أثبته العلم الحديث ، حيث توصل العلماء المجتمعون في المؤتمر الذي عقد بمدينة نيويورك ، وكان الهدف منه إظهار ما تفعله خلايا البشرة وكيف تعمل ، فكانت النتائج أنه عندما يصاب المرء بحروق شديدة

(2) عبد الرزاق نوفل ، **الله والعلم الحديث** ، ص : 42

، فإن بعض وظائف الجلد البيولوجية والكيمائية تتوقف أو تتعطل ، وقد يكون توقفها أخطر من فقد الجلد نفسه)[1] .

قد تناول كثيرون بالدراسة دلالة القرآن الكريم على وجود تركيبات دقيقة في الجلد تقوم بوظيفة الإحساس وإذا تدمرت تلك التركيبات عند حريق الجلد يتعطل نقل الإحساس ولا سبيل لإعادته سوى بتجديد الجلد وتبديل التالف، يقول العلي القدير: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ }[1] .

فالقرآن يخبرنا بأنه سيبدل الجلد جلدا آخر ليذوقوا عذاب النار. وما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً مضت

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي : (..القرآن مسها على أنها حقيقة واقعة والعلم لا يخلق الحقائق وإنما يكتشف الحقيقة الموجودة ، فالإذاقة موطنا الجلد والحس موطنه الجلد وما تحت الجلد ، إذن القرآن قد تكلم عن الحقيقة العلمية حقيقة مستقرة ثابتة صحيح أنه لم يعلمنا أنه تعمل تجربة للمخ وتجربة للنخاع الشوكي وأعرف الحركة العكسية لا .. أبدا إنما

(1) يحي أحمد كوسا ، **تقارير علمية** ، ص : 209
(1) سورة النساء (56) .

تكلم على أنها حقيقة واقعة ملموسة عرفها الإنسان أو لم يعرفها ولكن الوسيلة إلى معرفتها ذلك هو النشاط الذهني للإنسان)[2] .

ومن جهة أخرى يحذرنا الدكتور ألكسيس كاريل من المخاطر التي قد يتعرض لها الجلد في حياتنا نتيجة التعديلات الطبيعية والكيميائية التي نقوم بها دون دراية بعواقبها فيقول : (... أننا بعيدون كل البعد عن الإلمام التام بالتأثير الذي يحدثه التعرض لأشعة الشمس على نمو الجسم كله . فإلى أن نتمكن من معرفة طبيعة هذا التأثير بالضبط ، فإن العري والمغالاة في (دبغ) الجلد بالأشعة الطبيعية أو بالأشعة فوق البنفسجية يجب ألا يقبل دون تدبر فإن الجلد وملحقاته يلعبون دور الحارس الأمين لأعضائنا ودمنا ... ويضيف قائلا : ..وهكذا يتكون من جسمنا عالم مغلق يحده الجلد من أحد جانبيه ، والغطاء المخاطي لسطوحنا الداخلية من الجانب الآخر . فلو أضعفت هذه الأغشية في إحدى النقط لتعرض كيان الإنسان للخطر ، فقد ينتهي مجرد الحرق السطحي بالوفاة إذ امتد فوق منطقة كبيرة من الجلد ..إن هذا الغطاء يفصل أعضائنا وأخلاطنا عن البيئة الكونية ومع ذلك فإنه يسمح باتصالات مادية وكيميائية غزيرة بين هذين العالمين ، إنه يحقق معجزة وتلك أنه مغلق ومفتوح في آن واحد)[1]

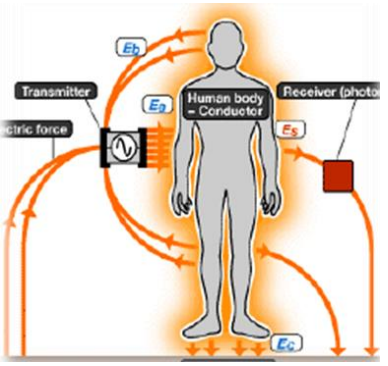

(2) محمد متولي الشعراوي ، **الإسلام حداثة وحضارة** ، ص : 151 .

وقد أثبتت دراسة حديثة في اليابان أن جلد الإنسان وجسمه ينقل المعلومات ويحفظها كما لو كان ناقل للبيانات الرقمية بل يمكن أن يعمل كشبكة معلومات شخصية متحركة عالية السرعة تربط بين هاتفك المحمول وسماعة الأذن اللاسلكية والكاميرا الرقمية ومشغل الفيديو وحاسبك الدفتري وغيرها من الأجهزة التي تحملها معك لتنتشر بيننا مقولة : ((ما نقل بياناتك مثل جسدك . ليس هذا من قبيل الخيال العلمي ولكنه تحول بالفعل إلى حقيقة مع تكنولوجية " **ريد تاكتون** ***Red Tacton*** التي طورتها شركة الاتصالات اليابانية (**إن تي تي دوكومو**) والتي تمكنت بالفعل من نقل بيانات كالموسيقى والفيديو الرقمي عبر كابلات عبر الجلد من اللحم والدم .. وتقوم تقنية " **ريد تاكتون** " بتحويل سطح الجسم البشري (الجلد) إلى مسار ينقل المعلومات بسرعات تصل إلى 10 ميجا بيت في الثانية بين أي نقطتين ، وبهذا الشكل يمكنك أن تتبادل مع آخر المعلومات من خلال مصافحة اليدين..)[1]

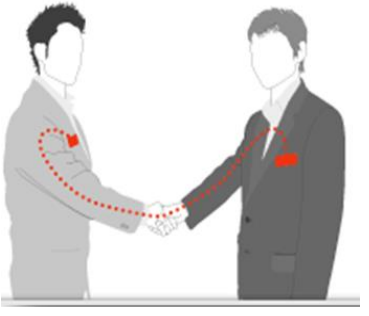

يبدو أن هذا الكلام هو تفسير لقول الله تعالى : {**حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴿٢٠﴾

(1) ألكسيس كاريل ، السابق ، ص : (80-82) .
(1) الكويت ، **مجلة العربي العلمي** ، العدد : 11 ، أفريل 2006 م ، ص : 20 .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ }[2] .

ومعنى هذا أن الجلد والسمع والبصر وما يتصل بهم من أعصاب وأجهزة أخرى تقوم بدور حفظ المعلومات وكل ما يقوم به الإنسان في حياته ، ويوم القيامة حين يجحد الإنسان أعماله التي قام بها في حياته الدنيوية تصدر هذه الأجهزة البيانات المخزنة طيل حياته ، وتظهر الحقيقة مبينة . وتكون هذه الآية خير شاهد على إصرار الإنسان على المعصية وعدم الاهتمام بهذا النداء والتحذير الإلهي . وما زالت الأسرار تكتشف لتضع الإنسان موضع العجب والحيرة التي لا يملك بعدها إلا التسليم بعظيم قدرة الله في الإنسان وفي الكون . والله أعلم وأحكم .

(2) سورة فصلت (20-22)

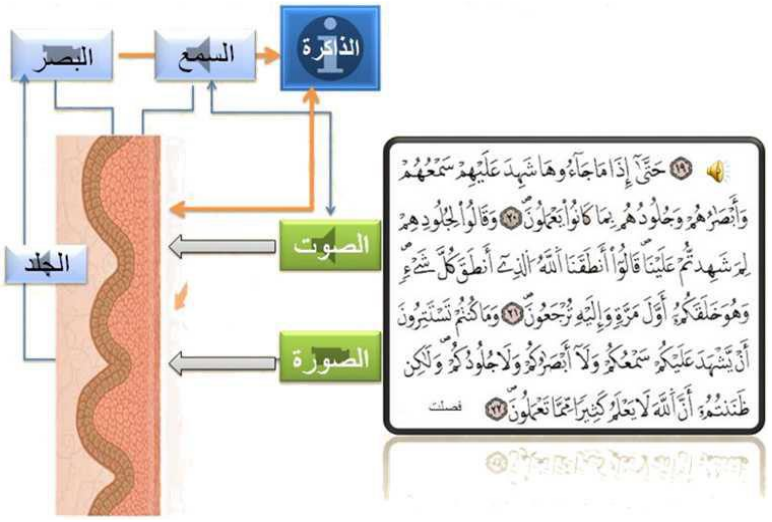

ثمة حقيقة أخرى تكلم عنها الدكتور ألكسيس فيما يخص العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله : (للغدد الجنسية وظائف غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس .. فهي تزيد أيضا من قوة النشاط الفسيولوجي والعقلي والروحي ...إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية ، وهي في الوقت نفسه تفرز في الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الأنثوية المميزة على أنسجتنا وأخلاطنا وشعورنا ..إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن حيث الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ..إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيمائية محددة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا

كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها .. والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شيء ، بالنسبة لجهازها العصبي . فالقوانين الفسيولوجية (أي الخاصة بوظائف الأعضاء) غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكواكبي ..فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة)[1] .

فالدكتور كاريل يقرر بأن الفارق بين الرجل والمرأة ليس فارقاً بسيطاً، وإنما هناك تباين بينهما ناتج عن تكوين الأنسجة نفسها وعن تشرب النظام الجسماني كله بمواد كيماوية معينة ، وفي الوقت نفسه يقرر فساد النظرة الغربية للمرأة التي جعلت منها مناوئاً للرجل وقذفت بها إلى سباق مرير وصراع قاس مع الرجال... وفي النهاية خسر الجميع، الرجل والمرأة والمجتمع .

هذه الرؤية العلمية التي ذكرها الدكتور كاريل لطبيعة الرجل والمرأة ووجهة نظره في الموضوع ، قد سبقه فيها القرآن إذ يقرر هذه الحقيقة منذ خمسة عشر قرنا ، حيث وضع الإسلام قاعدة عظيمة في هذا الباب من خلال قول

(1) ألكسيس كاريل ، المرجع السابق ، ص : 102

الله تعالى{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ }[1].

فقد بين النص القرآني أن الناس رجالا ونساءً متساوون في إنسانيتهم وإنما يحصل تفضيل بعضهم على بعض في تقواهم لخالقهم لا بسبب تميزهم في الجنس أو اللون أو القوة ، ولذلك فأنوثة آسية ومريم وعائشة .. لم تمنع من تكريمهن حين اتصفن بالتقوى ، وذكورة فرعون وهامان وأبي جهل ..لم تمنع من إهانتهم لما اتصفوا بالكفر ، قال تعالى : {وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ }[1].

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضاR في تفسير هذه الآية : (.. أي الأعمال التي تصلح بها النفوس في أخلاقها وآدابها وأحوالها الشخصية والاجتماعية سواء كان ذلك العامل ذكرا أو أنثى –خلافا لبعض البشر الذين حقروا شأن الإناث فجعلوهن في عداد العجماوات لا في عداد الناس)[1].

فالإسلام يسوي بين الرجل في الإنسانية وعلة الإيجاد والتكليف والجزاء . وأنوثة المرأة لا تجعلها في ذلك دون الرجل، بل هي مساوية له في

(1) سورة الحجرات (13) .
(2) سورة النساء (124) .
(1) محمد رشيد رضا ، **تفسير المنار** ، ج : 5 ، ص : 436 .

الأصل. غير أن هذا لا يمنع من التفريق بين الجنسين في جانب التشريع والأحكام : فالفروق الفيسيوليوجية (الجسدية) والبسيكولوجية (النفسية) بينهما، بالإضافة إلى اختلافهما التكاملي في الوظيفة الاجتماعية، هذا كله يجعل التفريق بينهما في كثير من الأحكام أمرا ضروريا.

وهنا وضعت الشريعة الإسلامية قاعدة عامة بأن كل حكم ثبت للرجل ثبت للمرأة ما لم يرد دليل يبين افتراقهما ، والتفريق بين الجنسين في كثير من الأحكام إنما هو بسبب الفروق المختلفة والعميقة بينهما والتي ذكرها الدكتور ألكسيس كاريل ، فيكون التفريق في هذه الأحكام هو العدل، والمساواة هي الظلم .

نشرت كاتبة انجليزية مقالا في جريدة " **استيرن ميل** " قالت فيه : (إنني أتمنى أن تسير بلادنا على نظام الإسلام ، ولأن يشتغل بناتنا خوادم في البيوت خير لهن وأخف بلاء من اشتغالهن في المصانع والمعامل التي تذهب بجمال أنوثتهن ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفة والطهر ..)[2] .

وإذا كانت المدنية* الغربية تتشدق بأنها أخذت بيد المرأة من ظلام القبر الذي هو بيتها ومملكتها الصغيرة إلى فضاء الحرية والنور... فإن الواقع المحسوس دليل قائم على أن القوانين الوضعية قد هددت استقرار المرأة النفسي وخلفت أجيالاً ضائعة من الفتيان والفتيات وأسراً كثيرة مهددة

(2) عاصم أحمد عجيلة ، **المسلمون وتقليد الأجانب** ، ص : 29 .

* وهذا لأن الغرب الآن يعيش في المدنية لا في الحضارة ، فالمفهوم الحقيقي للحضارة هو الذي يرتكز على دعامتين أساسيتين وهما العلم والدين باعتبار أن الإنسان هو المحور الأساسي في العملية ، والإنسان هو جسد وروح ، والحضارة إنما هي لإسعاد الإنسان بكل مكوناته .

بالانهيار نتيجة هذه الحرية المزعومة ، وهو الأمر الذي حذر منه الدكتور كاريل في المقال السابق الذي أكّد فيه بأن المسلك الغربي لا طائل منه وأن الدعوة إلى التخلي عن وظيفتها المحددة والتشبه بالرجال أمر منافي لطبيعة المرأة وله مضاره النفسية والاجتماعية وحتى البيولوجية ، وقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك من قبل ، فعن ابن عباسرضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**)[1] ، بل جاء النهي الشديد عن تشبه أحدهما بالآخر ولو على مستوى الظاهر: عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: (**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**)[2] وهذا كله للإبقاء على الشخصية المتميزة لكل منهما، فهما وجهان لعملة واحدة وهي جنس الإنسان ، كما أن الليل والنهار نوعان لجنس واحد هو الزمن، وهذا التنوع أدى إلى أن يكون لليل مهمة هي السكن، وأن يكون للنهار مهمة هي السعي والكدح .

ويحدثنا الدكتور ألكسيس كاريل عن الخلية في الفصل الثالث بقوله : (تتصرف الخلايا في داخل الجسم كحيوانات مائية صغيرة غطست في وسيط مشبع بالهواء والغذاء ... وعلى الرغم من ضآلة الخلية فإنها جسم شديد التعقيد ، إذ تسبح في منتصف جسمها النواة وهي على شكل مناط مرن الجدران يبدو مملوءا بهلام شفاف عديم الحركة ، وترى في هذا الهلام نويتان تغيران شكلهما ببطء ولكن بلا توقف ، وتوجد حول النواة حركة

(1) رواه البخاري، المشكاة ، الخطيب التبريزي ،،ج :2 ، ص : 1262
(2) رواه أبو داود ، المشكاة ، المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 1268 .

عظيمة لذرات صغيرة ، وهذه الحركات تكون أكثر نشاطا بصفة خاصة حول عنقود من أكياس تتصل بالعضو يطلق عليها علماء التشريح اسم جهاز غولجي أو رينوه ، تتصل وظيفته بتغذية الخلية ، كما توجد حبيبات صغيرة غير واضحة ، كما أن كريات أكبر لا تفتأ تشق لها طريقا متعرجا عبر الخلية حتى تصل إلى أقصى أذرعها المتحركة الموقوتة . بيد أن الأعضاء الأكثر اعتبارا هي الشعيرات الطويلة والحبيبات البروتوبلازمية الدقيقة التي تشبه الثعابين أو البكتيريا القصيرة في خلايا معينة..)[1] .

إن هذا التعقيد في بنيان الخلية الحية محير للغاية ، ومع ذلك فإن تركيبها الكيمائي ما زال أكثر تعقيدا ، والنوية تحتوي على مواد ذات طبيعة مدهشة حقا . والحقيقة أن مادة النواة تشمل الجنيس (المورثات) وهي تلك الكائنات الغامضة التي لا نعرف عنها شيئا سوى أنها الاتجاهات الوارثة للخلايا والإنسان ... بيد أنها وهبت قوى أكثر علوًا وسموًا ، ولكنها لا تظهرها جميعا . فإلى جانب وجوه النشاط التي تظهرها عادة ، فإنها تملك قوى أخرى ، تكون مخبأة عادة ، ولكنها تصبح فعالة عندما تستجيب لتغيرات معينة في الوسيط .. وهكذا تتاح لها فرصة علاج الحوادث غير المتوقعة أبان الحياة العادية أو أثناء المرض ..)[1]

هذا ما صرح به الدكتور كاريل باختصار عن الخلية ، ولكن ماذا يقول العلم الحديث عن الخلية ، لقد توصل إلى حقائق مدهشة منها أن الخلية

(1) ألكسيس كاريل ، السابق ، ص : (85- 86) .
(1) ألكسيس كاريل ، السابق ، ص : (87- 88) .

تتفاوت أعمارها بحسب طبيعتها ، فخلايا البشرة لا تعيش أكثر من ثلاث ساعات .. أما خلايا الأمعاء الدقيقة الماصة فإنها لا تعيش أكثر من ثمان وأربعين ساعة ، وهناك من الخلايا ما يعيش سبعة أيام ، كخلايا التذوق .. باستثناء خلايا الدماغ ، والقلب ، فلو أن خلايا الدماغ تجددت لنسي الإنسان معلوماته .. فهذه مشيئة الخالق المبدع . قال تعالى : {وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١}[2].

يقول الدكتور **رسل تشارلز آرتست*** : (..إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية ، قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها ، وأن الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق ، ولذلك فإنني أومن بوجود الله إيمانًا راسخًا)[3]

إن كثير من الأسرار التي أودعها الله عز وجل في جسم الإنسان وخلاياه ما هي إلا آيات من آياته العديدة التي تدعونا لنتفكر ونتدبر في عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعظيم صنعه وإبداعه في خلقه.. فسبحان من أودع هذا الجسم الصغير في ظلمات عديدة ليحمل بين ثناياه فوائد جمة ، ودائماً ما يكون الإعجاز في دقة الحجم وصغره مقارنة بضخامة الإنجاز و روعته.

(2) سورة الذاريات (21)

* إخصائي في علم الأحياء والنبات ، حاصل على الدكتوراه من جامعة منيسونا ، أستاذ في جامعة منيسونيا عضو الأكاديمية العلمية بالديانا .أستاذ بجامعة فرانكفورت ، مؤلف لكثير من البحوث البيولوجية . المرجع : الله يتجلى في عصر العلم ، ص : 81

(3) نخبة من العلماء الأمريكيين ، **الله يتجلى في عصر العلم** ، ص : 85

و لا تتوقف الطموحات العلمية عند هذا الحد بل هي في تقدم مستمر وشحذ الهمم متواصل لإرضاء الفضول العلمي والبشري واكتشاف أسرار الإنسان والكون، فالاكتشافات العلمية مستمرة والإعجاز الإلهي لا يتوقف.. يقول الله سبحانه وتعالى: {سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾}[1]

فكل المحطات التي وقف عندها الدكتور كاريل في تشخيصه للحقيقة الإنسانية بالاستعانة بعلم التشريح الفعلي ، لم تخرج عن حقيقة واحدة وهي جهلنا المطبق بالإنسان داخل القفص العلمي ، في حين لو وسعنا الدائرة وخرجنا من هذا القفص وتحررنا من هذا القيد لأدركنا الحقيقة واضحة ، وعرفنا الإنسان من خلال نافذة الإيمان التي يدخل منها النور الإلهي فيعرفنا بحقيقة أنفسنا ، فلا يمكن للمصنوع أن يعرف نفسه من دون أن يستمد المعرفة من الصانع ، فما علمناه من التوافق بين الحقائق العلمية والنصوص القرآنية له خير دليل وأقرب شاهد في جسم الإنسان على تلك العلاقة بين العلم والإيمان ، وهذه العلاقة هي التي تصوغ الإنسان أحسن صياغة لبناء الحضارة المنشودة التي تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، وكل الذي ذكرناه سابقا وغيره من عجائب هذا الإنسان تؤكد لنا حقيقة واحدة وهي : الإنسان ذلك المعلوم بالعلم والإيمان .

(1) سورة فصلت (53) .

النشاط العقلي والنشاط الروحي :

ما طبيعة كل من النشاط العقلي والنشاط الروحي ؟ وهل هناك ارتباط بينهما ؟ وإذا كان هناك تكامل في الوظائف فما طبيعة العلاقة التي تربط بينهما ؟ وما علاقتهما بالعلم والإيمان ؟

يصرح الدكتور كاريل في الفصل الرابع من كتابه قائلا : (يبدي الجسم وجوه نشاط أخرى ، مع ما يبديه من النشاط الفسيولوجي ، وذلك في آن واحد . ويطلق على هذه الوجوه اسم النشاط العقلي . وتعبر الأعضاء عن نفسها بالعمل الآلي والحرارة والظاهرة الكهربائية والمبادلات الكيميائية القابلة للقياس بواسطة فنون الطبيعة والكيمياء . أما العقل والشعور فيكشف عن وجودهما بواسطة إجراءات أخرى .. ولا شك في أن مما يقوم على تفهم حقيقة الموضع أن نقسم النشاط العقلي إلى نشاط عقلي وأخلاقي وذوقي وديني .. إذ أن الجسم والروح هما وجهان لشيء واحد استخلصتهما وسائل مختلفة وخلاصات مختلفة أيضا حصلنا عليها بعقلنا من وحدة وجودنا الصلبة .. والتناقض البادي بين المادة والعقل يمثل فقط تعارض نوعين من الفنون . ولهذا فإن الغلطة التي وقع فيها ديكارت كانت اعتقاده بصحة هذه الخلاصات واعتباره المادة والعقل شيئين غير متجانسين كما هو الحال في كل شيئين مختلفين . وقد كان لهذا التقسيم أثره البعيد في تاريخ معرفتنا بالإنسان ، لأنه أوجد مشكلة مزيفة لعلاقات الروح والجسم .. فحقيقة الأمر أنه ليست هناك مثل هذه العلاقات . فلا الروح ولا الجسم يمكن أن يفحصا كل

منهما على حدة . وإنما نحن نتأمل كائنا معقدا قسمت وجوه نشاطه إلى نشاط ف سيولوجي وعقلي بطريقة عرفية .)[1]

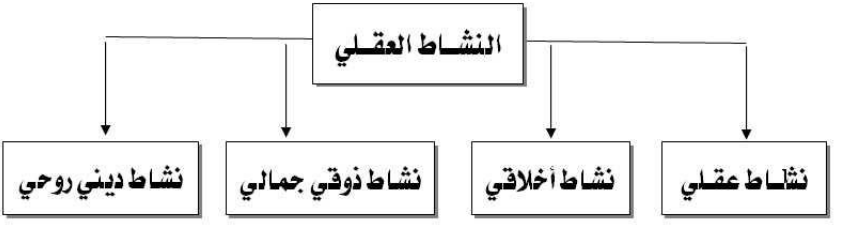

تقسيم ألكسيس كاريل للنشاط العقلي

فالدكتور ألكسيس يعتبر النشاط العقلي عمل متكامل تشترك فيه مكونات الإنسان الكلية وهي الجانب الروحي والجانب المادي ، حيث يقسم النشاط العقلي إلى نشاط عقلي وأخلاقي وذوقي جمالي وديني روحي بمعنى هناك ارتباط وثيق بين النشاط العقلي والنشاط الروحي ، وهذا ما أكدته الأكاديمية الأمريكية للعلوم بان الممارسة والتدريب الطويلين في مجال التأمل الروحي لدى الرهبان في منطقة التبت تحدث تغيرات فيزياوية داخل الدماغ.. وخلصت تلك الدراسة إلى أن الدماغ البشري شانه شان أي عضو في الجسم قابل للتمرين وزيادة قدراته..! ولقد استخلص الفريق العلمي البحثي بان الدماغ البشري هو كباقي أعضاء الجسم يمكن أن يدرب وينشط بشكل إرادي عن طريق ممارسة التأمل الروحي الذي يعد مثل

(1) ألكسيس ، المصدر نفسه ، ص : 130 .

رياضة كمال الأجسام التي تنمي وتقوي الجسم وتزيد من قدراته وفعالياته[1] .

ومن جهة أخرى ينبهنا الدكتور ألكسيس إلى حقيقة مهمة يرد بها على الفلاسفة والعلماء الغربيين الذين اعتبروا العقل أو العلم كاف للوصول إلى الحقيقة فيقول : (إن العقل وحده لا يستطيع إيجاد العلم ، ولكنه عامل لا مفر منه في الابتداع .. والعلم ، بدوره ، يقوي العقل .. فقد جلب للإنسانية موقفا عقليا جديدا ، علاوة على الوصول إلى الحقيقة بواسطة الملاحظة والتجريب والتفكير المنطقي . فالحقيقة المستمدة من **العلم** تختلف اختلافا تاما عن تلك المستمدة من **الإيمان** . فالأخيرة أكثر عمقا ولا يمكن التشكيك فيها بالمجادلات .. إنها تشبه الحقيقة التي يعطيها البصر المغناطيسي ، ولكن مما يدعو للغرابة أن هذه الحقيقة ليست غريبة على العلم . إذ من الواضح أن الاكتشافات الكبيرة ليست نتاج العقل فقط . فإن العباقرة يملكون إلى جانب قوتهم على الملاحظة والفهم – صفات أخرى مثل البصيرة والخيال المبتدع .. فعن طريق البصيرة يتعلمون أشياء يجهلها الآخرون ، ويدركون العلاقات بين الظواهر شبه المنفصلة .. وجميع عظماء الرجال وهبهم الله بصيرة ، فهم يعرفون دون تحليل أو تفكير ، ما هي الأشياء الهامة التي يجب عليهم أن يعرفوها .. والعالم النابغة يسلك بالغريزة الطريق المؤدي إلى الاكتشاف .. ولقد كان يطلق على هذه الظاهرة اسم

(1) العراق ، مجلة **الصوت الآخر** ، التأمل الروحي يزيد النشاط الدماغي ، العدد : 34 ، 2005/02/07 .

الإلهام أو الوحي في الأزمنة السابقة)[1] ويقول في موضع آخر : (.. وهكذا فإن معرفة العالم الخارجي قد تصل إلى الإنسان عن طريق مصادر أخرى غير أعضاء الحس..وهذه الحقائق التي تنتمي إلى علم ما وراء النفس الجديد يجب أن تقبل على علاتها .. أنها تكون جزءا من الحقيقة.. وتعبر عن جانب نادر يكاد يكون غير معروف من أنفسنا)[2] .

فالدكتور ألكسيس يعترف صراحة بدور الإيمان في معرفة الحقيقة ، كما يصرح بصدق الحقيقة المستمدة من الإيمان والتي لا تحتمل الخطأ ،

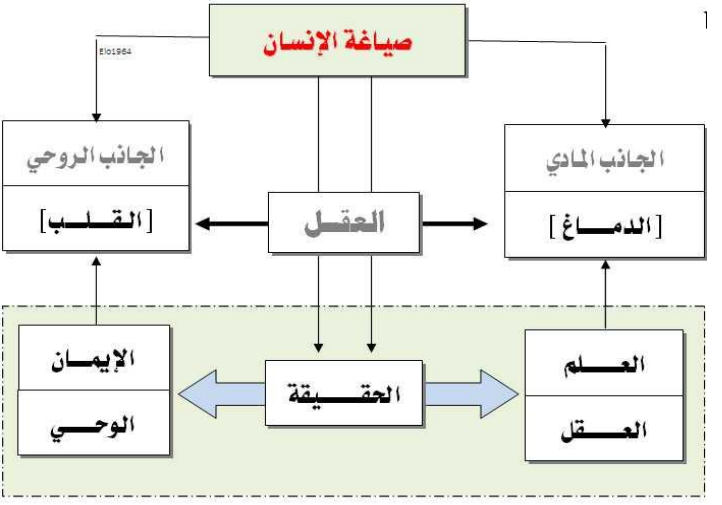

وهذا يعني أنه يميل إلى النظرة الإيمانية لمعرفة الإنسان ، وهو يؤمن بهذا غير أنه يأس من صلاحية ما تدعي الكنيسة أنه من عند الله ، حيث أن الأفكار التي وضعها رجال الكنيسة وتحريفهم لنصوص الكتب المقدسة جاءت

(1) ألكسيس ، **المصدر نفسه** ، ص : (134 – 135) .
(2) ألكسيس ، **المصدر نفسه** ، ص : (138) .

مناقضة لمسلمات العقل ، ومن ثم فقد فشلت فشلا ذريعا في تحقيق مصالح الناس وإخراجهم به من الظلمات إلى النور، وقد لا يكون على اطلاع على منهج الله الذي جاء به الرسول ﷺ، فقد نصح بسلوك تجارب هذا العلم تجربة بعد أخرى، حتى يتمكنوا من الوصول إلى المنهج المنشود، وقال: (ولئن استطاع هذا العلم أن يلقي الضوء على طبيعتنا الحقة وإمكانياتنا والطريقة التي تمكننا من تحقيق هذه الإمكانيات، فإنه سيمدنا بالإيضاح الصحيح لما يطرأ علينا من ضعف فسيولوجي، كذا لأمراضنا الأدبية والعقلية، إننا لا نملك وسيلة أخرى [مثل الإسلام] لمعرفة القواعد التي لا تلين لوجوه نشاطنا العضوي والروحي، وتمييز ما هو محرم مما هو شرعي، وإدراك أننا لسنا أحرارا لنعدل في بيئتنا وفي أنفسنا تبعا لأهوائنا، وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية، فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة)[1] .

ألا نرى أن الرجل يتطلع إلى منهج يعرف البشر بقواعد لا تلين لوجوه نشاطهم الجسمي والروحي، ليعرفوا الحلال من الحرام معرفة تشفيهم من أمراضهم الأدبية والعقلية!؟

إن هذا المنهج لهو الذي يتطلع إليه هو وغيره، وهو الذي يحقق للناس السعادة لهو المنهج الرباني الذي جاء به رسولنا محمد ﷺ الذي أبو أن يجربوه في الأرض بل إنهم ناصبوه العداء وحاربوه، ولازالوا يحاربونه، وكثير منهم يعلم ما يحمله هذا المنهج من الخير، ولكنهم يحاربونه حسدا وعنادا، إتباعا

(1) ألكسيس ، المصدر نفسه ، ص : (42) .

للهوى، وحرصا على بقاء البشرية ترسف في القيود والأغلال، قيود الشهوات وأغلالها التي أراد الطغاة أن يكبلوها بها ليتمكنوا من قيادتها واستعبادها، بدلا من السير على منهج الله الذي يحرر من اتبعه من عبودية العباد إلى عبودية الله الواحد الذي لا رب سواه للعباد .

هذا هو تعليل ذلك الجهل بحقيقة الإنسان، أو بأصغر وأظهر جانب من جوانب هذه الحقيقة من وجهة نظر العالم الغربي الكبير... ومهما نختلف معه في طريقة النظر إلى القضية كلها... فإننا هذه الشهادة كافية ، ونراه قد لمس فيها السبب الأساسي - وهو طبيعة تكوين عقلنا - فهذا التكوين مرتبط بوظيفة الإنسان في الأرض - وظيفة الخلافة - وهي تقتضي أن يكون تركيب عقله على هذا التصميم لأنه أنسب تصميم للقيام بالوظيفة ! وسيتقدم في إدراك قوانين المادة وتسخيرها، كما سيتقدم في معرفة جوانب من "حقيقة الإنسان" أكثر مما عرف، ولكن أسرار التكوين الإنساني ستظل خافية عليه أبداً... سيظل سر الحياة، وسر الموت، خافيين تماماً، وسيظل سر الروح الإنساني بعيداً عن مجال إدراكه... لأن شيئاً من هذا كله لا يلزمه في وظيفته الأساسية. .

لأن مزيد من البحث عن حقيقة الإنسان داخل قفص العلم لا يأتي بنتيجة تذكر وإنما يؤدي ذلك إلى الدخول في نفق مظلم وعالم من الخيال الغامض الذي لا يرى فيه شيء على الرغم من أنه يرى كل شيء .. كما يقول وحيد الدين خان نقلا عن الدكتور جود *Dr.cood* الذي يقول : (إن المادة الحديثة لغز لا يمكن وضع اليد عليه ، إنها مركب من البعد والزمن

، أو شبكة من الموجات البرقية ، إنها موجة الإمكان التي تتوه في بحر الفناء في لمحة البصر بيد أنها في حقيقتها لا تعدو أن تكون – في أكثر الأحايين – مجرد اتساع شعور الناظر ، وليست أبدا مادة حقيقة)[1] ويضيف الدكتور وحيد الدين خان قائلا : (هذه الجهود الضائعة لعملية البحث عن لغز الحياة من خلال العلوم المادة تؤكد حقيقة هامة ، هي أن الإنسان لن يتمكن بنفسه من اكتشاف لغز الحياة)[2]

ثم يحدثنا الدكتور ألكسيس عن جانب آخر من جوانب النشاط العقلي وهو النشاط الأخلاقي والجمالي الذي يرى بأن له تأثير كبير في حياة الإنسان فيقول : (الجمال الأخلاقي أكثر تأثيرا من جمال الطبيعة والعلم .. إنه يمنح أولئك الذين يملكونه هبات جليلة الشأن ، قوة عجيبة لا يمكن إيضاحها .. إنه يزيد قوة العقل ، ويوطد السلام بين الناس .. والجمال الأدبي يفوق العلم والفن من حيث إنه أساس الحضارة .)

وهو بهذا يرى أن الأخلاق هي أساس الحضارة ونشر السلام بين الشعوب ، وصدق الله العظيم إذ يقول : {**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**}[3] ، وقال رسول الله ﷺ : (**إن من خياركم أحسنكم أخلاقا**)[4] .

ثم يواصل حديثه عن النشاط الأخلاقي الجمالي ، فيقول : (إن الإحساس بالجمال موجود في الإنسان البدائي مثل ما هو موجود في أكثر

(1) وحيد الدين خان ، المرجع السابق ، ص : (91 – 92) .
(2) وحيد الدين خان ، المرجع السابق ، ص : 92
(3) سورة القلم (4) .
(4) متفق عليه من رواية عبد الله بن عمرو ، التبريزي ، المشكاة ، ، ص : 1408

الناس تمدينا .. بل إنه يبقى حتى ينطفئ نور العقل ، لأن الأبله والمجنون قادران على الإنتاج الفني .. فطالما تأمل الإنسان بسرور الحيوانات والزهور والأشجار والسماء والمحيط والجبال)[1] ، وكلامه هذا يذكرنا بقول الله تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ }[2] وقوله تعالى { وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ }[3] .

فالقرآن يعد الجمال إحدى الوظائف التي تؤديها آياته للإنسان ، ولفت أنظار أبصار بني آدم وبصائرهم إلى جمال الأنعام التي يرونها بكرة وعشيا ، ويتمتعون بها ، فالله تعالى جميل يحب الجمال. فالجمال إذًا عنصر أصيل في الإسلام ، والجمال قبل هذا كله عنصر أصيل في نظام الكون ومظاهره .

وهاهو الدكتور كاريل يعرض لنا المظاهر التي أفسدت الجمال الطبيعي بما أنتجته المدنية المعاصرة من تشويش على الذوق الجمالي لدى

(1) ألكسيس ، المصدر نفسه ، ص : 143
(2) سورة الصافات (6-7).
(3) سورة النحل (5-8) .

الإنسان فيقول: (.. ويظل تذوق الجمال كامنا في أغلب الأفراد لأن الحضارة الصناعية أحاطتهم بمناظر قبيحة كريهة خشنة ، ولأننا تحولنا إلى آلات . فالعامل يقضي حياته وهو يكرر الإشارات والحركات نفسها آلاف المرات في كل يوم .. إنه يصنع قطعا مفردة فقط ولكنه لا يصنع وحدة كاملة مطلقا . أي أنه غير مسموح له باستعمال عقله .. إن الصناعة تحرم على الإنسان استخدام وجوه نشاطه العقلي التي يمكن أن تجلب له قسطا من المتعة كل يوم . لقد ارتكبت المدنية الحديثة خطأ كبيرا دائما بتضحية العقل في سبيل المادة ..)[1] . ولو نظرنا إلى حضارتنا الإسلامية ونظرتها للجمال لو جدنا أن الفن الإسلامي أصيل فقد شمل مجالات واسعة في الحضارة الإسلامية التي ملأ إشعاعها أرجاء العالم أربعة عشر قرنا، وكان فنا متميزا في شكله وجوهره، ينبثق من رحاب المسجد، مستلهما عقيدة الإسلام الصافية، مرتكزا على رؤية عقدية، تحكم صناعته ابتداء، وترسم مساره العام، وتحدد أهدافه الكبرى، من غير أن تلزم الفنان المسلم بصيغة واحدة للتعبير الفني.

ولقد اهتم المسلمون بشتى الفنون الجمالية ، كجمالية الخط العربي حتى أصبح في منتهى الروعة والجمال ، وكذلك الزخرفة الإسلامية حيث استخدمت في العمارة والأثاث والمصاحف والمخطوطات والمساجد والأشغال اليدوية والمصنوعات الجلدية ..وقد أطلق الغربيون على الزخارف الإسلامية اسم الفنون الصغيرة (***Minor Art***) في محاولة

(1) ألكسيس ، المصدر نفسه ، ص : 144

منهم للتقليل من قيمتها بالرغم من تفوقها على الزخارف الغربية ، ولكنهم تداركوا الأمر وتفهموا لمعنى الفن الإسلامي ، وما فيه من قوة وروحانية ، وهندسة تجريبية ، وسبقه للفن الحديث قرون)[1]

وقد أشاد الإسلام بالجمال ونوه به في مواضع متعددة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وقد خلق الله الكون في قمة الجمال، وجعل الإنسان خليفته في الأرض، وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤}[2] ، وبث في الكون من آيات الجمال الباهرة ما يسبي الألباب ويدهش العقول، قال تعالى: { أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠}[3]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٦}[4].

وغرس حب الجمال في أعماق الإنسان ؛ حتى إنه لينجذب إلى كل الصور الجميلة والمناظر البديعة، ويشعر وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد. وهذا الانجذاب إلى الجمال هو الذي يمنح المرء الاستعداد لإدراك الجمال في أسمى صوره وأبين معانيه، وهو جمال الله تعالى، وجمال دينه، والاستقامة على هديه.

(1) مصطفى عبده ، **أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي** ، ص: 146.
(2) سورة التين (4) .
(3) سورة الغاشية (17-18) .
(4) سورة الحجر (16) .

ثم ينتقل بنا الدكتور ألكسيس كاريل إلى النشاط الديني والروحي الذي سبق وأن قلنا أنه من معالم النشاط العقلي **فيقول** : (.. لقد أشربت الإنسانية بالوحي الديني أكثر مما أشربت بالتفكير الفلسفي ... ومهما يكن من أمر ، فإن الإحساس الديني لا يزال حتى اليوم نشاطا لا مفر منه بالنسبة لشعور عدد من الأفراد .. كما أنه يظهر نفسه بين الأشخاص المثقفين ثقافة عالية ، ومن العجيب أن أديرة بعض الأديان تضيق بمن يحاولون الدخول إليها من الشبان والشابات الذين ينشدون دخول العالم الروحي عن طريق الزهد والتصوف . وللنشاط الديني جوانب مختلفة مثل النشاط الأدبي .. وهو يتكون ، في أبسط حالاته ، من تطلع مبهم نحو قوة تفوق الأشكال المادية والعقلية لعالمنا .. إنه نوع من الصلاة غير المنطوقة ، إنه بحث عن الجمال أكثر نقاء من الجمال الفني أو العلمي . وهو مماثل لنشاط الجمال . لأن حب الجمال يؤدي إلى التصوف ... ويستلزم السمو بالعقل نحو الذات العلية ، التي هي مصدر جميع الأشياء ، نحو قوة ، بل مركز القوة ، نحو الله ﷻ .)[1] .

ويضيف قائلا : (.. قد يحدث نشاط روحي معين تعديلا تشريحيا ووظيفيا في الأنسجة والأعضاء . وتلاحظ هذه الظواهر العضوية في ظروف مختلفة ، من بينها حالة العبادة . فالصلاة ، كما يجب أن تفهم ، ليست مجرد ترديد آلي للطقوس ، ولكنها ارتفاع لا يدركه العقل ، إنها استغراق الشعور في تأمل مبدأ يخترق عالمنا ويسموا عليه . ومثل هذه الحالة السيكولوجية

(1) ألكسيس ، المصدر نفسه ، ص : 147

ليست عقلية .. إن الفلاسفة والعلماء لا يفهمونها كما أنها صعبة المنال عليهم . ولكن يبدو أن الشخص المتجرد من حب متاع الدنيا يشعر بالله بمثل السهولة التي يشعر بها بحرارة الشمس أو بعطف أحد أصداقه عليه .. إن الصلاة التي تعقبها تأثيرات عضوية ذات طبيعة خاصة . فهي أولا تهتم بالذات ، إذ يقدم الإنسان نفسه فيها لله ، فيقف أمامه كما تقف اللوحة الفنية أمام الرسام والتمثال أمام النحات ، وهو يطلب منه ﷻ أن يسبغ عليه رحمته ، ثم يكشف له ﷻ عن مطالبه ومطالب إخوانه في المرض ، وفي العادة يشفى المريض الذي لا يصلي من أجل نفسه

ولكن من أجل شخص آخر . ويستلزم مثل هذا النوع من الصلاة إنكار الذات إنكارا تاما – وهذا النوع سام من الزهد والتقشف .. والرجل المتواضع والجاهل والفقير أكثر اقتدارا على إنكار الذات من الرجل الغني والمثقف .. وعندما تكسب الصلاة مثل هذه الصفات فقد تؤدي إلى حدوث ظاهرة غريبة .. ففي جميع البلاد والأزمان آمن الناس بوجود المعجزات وبشفاء المرض سريعا في أماكن الحج وفي معابد معينة . بيد أن قوة العلم الدافعة إبان القرن التاسع عشر جعلت مثل هذا الإيمان يختفي تماما .. ولقد كان المعترف به بصفة عامة أن مثل هذه المعجزات لم تحدث فحسب ، بل أيضا أنها مستحيلة الحدوث ، فكما أن قوانين السيكولوجية تعارض المعجزات ذلك هو إذن موقف علماء النفس والأطباء .. ومع ذلك ، فبالنظر إلى الحقائق التي لوحظت خلال الخمسين عاما الأخيرة ، فلن يكون في الإمكان الإصرار على هذا الموقف ، فإن أكثر حالات الشفاء الإعجازي أهمية هي تلك

سجلها المركز الطبي للورد .. أما فكرتنا الحالية عن تأثير الصلاة على الأمراض الباثولوجية فقائمة على ملاحظة المرضى الذين شفوا فورا تقريبا من الأمراض المختلفة مثل سل البريتون والخراجات الباردة والتهاب العظام والجروح العفنة وسل الأنسجة والسرطان ..الخ . وتختلف عملية الشفاء قليلا من شخص لآخر . وغالبا ما يشعر المريض بألم حاد يعقبه على الفور إحساس مفاجئ بالشفاء ... إن لمثل هذه الحقائق مغزى عظيما .. فإنها تدل على حقيقة علاقات معينة ، ذات طبيعة ما زالت غير معروفة ، بين العمليات السيكولوجية والعضوية .. وتبرهن على الأهمية الواضحة للنشاط الروحي التي أهمل علماء الصحة والأطباء والمربون ورجال الاجتماع دراستها إهمالا لا يكاد يكون تاما.. إنها تفتح للإنسان عالما جديدا .)[1]

لذلك فإن الجوانب الروحية التي تشمل العودة إلى الله والتوبة من الذنوب وزيادة الصلة بالله تعتبر من أهم جوانب العلاج لأمراض الإنسان وأسقامه ، وتنبني أهمية الجوانب الروحية للتداوي على أساس العلاقة الكبيرة بين النفس والجسد ، والتي يقررها الدين والعلم التجريبي الحديث ، وأصبحت الآن عند الغرب حقيقة علمية لا جدال فيها ، فكما أن العوامل النفسية السيئة تسبب الأمراض البدنية العضوية كذلك فإن ارتياح النفس واطمئنانها وسعادتها لن تجده حقيقة إلا بإدراك الحقائق الإيمانية للكون والحياة ، وبالعودة إلى الله والتقرب منه واللجوء إليه ،

(1) الكسيس ، المصدر نفسه ، ص : (158-161) .

والتقرب إليه بما يرضاه وسترى لكل ذلك الأثر العظيم في علاج الأمراض وتخفيفها بل وحتى في الوقاية منها.

إن مفهوم العبادة في الإسلام يختلف عن مفهومها في الديانات الأخرى ، يقول الدكتور عفيف عبد الفتاح طبارة : (إن فلسفة العبادة يختلف مفهومها في الإسلام عن مفهومها عند بعض الأديان المعاصرة التي ترى أن أفضل العبادة تكون في الانزواء في المعابد وكبت النفس بالرياضة الروحية العنيفة ، فمفهوم العبادة في الإسلام هو انفتاح العقل على الكون ، والتفكر فيما فيه من أسرار وحكم تدل على عظمة خالقه ، ولهذا نرى القرآن عندما يطلب من المؤمنين عبادة ربهم يوجه أفكارهم إلى آثار صنع الله لتكون عبادتهم له عن عرفان ويقين قال تعالى : **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}**[1] ..

والصلاة هي عبادة مشتركة بين الديانات ، وهي لون من ألوان الابتهال إلى الله ، عبارة عن أقوال وأفعال يقصد بها تعظيم الله ، مفتتحة بالتكبير (الله أكبر) ومختتمة بالتسليم (السلام عليكم) بشروط خاصة)[2]

(1) سورة البقرة (21-22) .
(2) عفيف عبد الفتاح طبارة ، **روح الصلاة** ،ص (22-23).

وجسم الإنسان يتكون من عظام ومفاصل وعضلات وشرايين وأوردة وأعصاب ... ولكنها تحتاج إلى تزيين وتشحيم كل يوم بالحراك لأن الراحة التامة والنوم يصيبها بالكسل والملل وعدم الكفاءة في ظروف أخرى تتطلب مجهودا أكبر ، ولعل جلطة الساقين الوريدية أو بعض آلام الظهر تأتى الأفراد الذين يؤثرون الراحة التامة ، وتبلغ العضلات في جسم الإنسان المئات والأعصاب كثيرة ومنتشرة متشابكة ومتشعبة وهي كالأسلاك الكهربية .

فالصلاة لذلك رياضة بدنية ممتازة تتحرك فيها المفاصل والعضلات وتنشط لها الدورة الدموية فما بالك بخمسة تمرينات رياضية كل يوم وتتكرر كلما ازدادت قوة زادت قوة إيمان الشخص.

و حركاتها خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التي تنشط كافة الأجهزة ، كذلك أمكن إبراء كثير من الأمراض المعدية وفى وقت مدهش بالنسبة لقصره ولكن بغض النظر عن جميع معجزات العلاج التى تمت في دنيانا هذه وما زالت هناك معجزات أخرى في إبراء المريض والأعرج والكسيح والأعمى لا يمكن تعليلها ولا ينفع فيها العلاج الطبي أو الجراحي أو السيكولوجي أو الاهتزازي ، فهناك آلاف من الحالات التي

لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم فطنة أدنى بارقة أمل ، والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم للصحة والعقل من خلال معجزات الصلاة ، ولذا نجد الدكتور يثبت هذه الحقيقة بقوله : . (.. لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا وقد رأيت بوصفي طبيباً أن كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً دخلت الصلاة فبرأتهم من عللهم ، إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشاعات ومولد للنشاط ، وبالصلاة يسعى الناس إلى زيادة نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التي يغنى نشاطها .

والصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية للأدعية ولكنها تسام صوفي يتصل فيها الإنسان بالله سبحانه كما يحس بحرارة الشمس أو كما يحس بعطف صديق ، والإنسان فيها يقدم نفسه لله ويقف بين يديه ليكسب السكينة والطمأنينة .

ولها فوائد نفسية كالشعور بالهدوء والاطمئنان النفسي الذي يعينه على الاستمرار في حياته بصحة جسمية وراحة عقلية واطمئنان حسي.

وفي آخر الفصل من كتابه يتحدث الدكتور عن الحضارة المعاصرة التي أفلست في الحفاظ على النشاط العقلي وكذلك النشاط الروحي فيقول : (إن الحضارة لم تفلح في خلق بيئة مناسبة للنشاط العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الإنسان ، إلى حد كبير ، لنقائص الموجودة في جوهم السيكولوجي . إذ أن تفوق المادة

ومبادئ دين الصناعة حطمت الثقافة والجمال والأخلاق كما عرفتها الحضارة المسيحية أم العلم الحديث .. كما أن الجماعات الاجتماعية الصغيرة التي لها شخصيتها وتقاليدها الخاصة تحطمت بفعل التغيرات التي طرأت على عاداتها ..وتدهورت الطبقات المثقفة لانتشار الصحف انتشارا واسع المدى كذا الأدب الرخيص والراديو ودور السينما . ومن ثم فإن ازدياد الطبقة الغبية آخذ في الازدياد أكثر فأكثر بالرغم من كمال المناهج التي تدرس في المدارس والكليات والجامعات . ومن العجيب أن بلادة الذهن توجد غالبا حيثما تتقدم المعرفة العلمية .. إن أطفال وطلبة المدارس يكونون عقلهم من البرامج السخيفة التي توضع لوسائل التسلية العامة ... إن الفنانين ورجال العلم يزودون المجتمع بالجمال والصحة والثروة .. وهم يعيشون ويموتون في فقر ، في حين أن اللصوص يتمتعون بالرخاء في وقت السلام .. كما يحمي رجال البوليس رجال العصابات ويحترمهم القضاة..أي إنهم الأبطال الذين يعجب الأطفال بهم في السينما ويقلدونهم في ألاعيبهم ..أي أن للرجل الثري كل الحقوق ، ففي استطاعته أن ينبذ زوجته الطاعنة في السن ، ويهجر أمه المحتاجة لتقع فريسة الفقر ويسرق هؤلاء الذين أمنوه على أموالهم دون أن يفقد اعتبار أصدقائه . كما أن الشذوذ الجنسي آخذ في الانتشار . بعد أن طرحت الآداب الجنسية جانبا ..ولم يعد هناك خلاف بين الخطأ والصواب والعدل والظلم ...إن الإنسان حول له ولا قوة حيال مثل هذه الهجمات السيكولوجية .. فهو مضطر بالضرورة إلى الاستسلام لجماعة فإذا عاش

الإنسان في رفقة المجرمين أو الحمقى فإنه يصبح مجرما أو أحمق.. والعزلة هي الأمل الوحيد في الخلاص ولكن أين يجد سكان المدينة الجديدة العزلة ؟ « إنك لن تستطيع أن تتقاعس في داخل نفسك حسبما تريد ، فإن أي تقهقر لن يكون أكثر سلاما أو أقل متاعب من ذلك الذي يلقاه الإنسان في روحه .. ولكننا عاجزون عن الإقدام على مثل هذا المجهود لأننا لا نستطيع أن نقاتل محيطنا الاجتماعي بنجاح)[1].

وهكذا شخص لنا الدكتور كاريل الواقع المأساوي الذي تعيشه تلك المدنية أو ما تسمى بالحضارة ، وهو كلام ينطبق على واقعنا المعاصر

ولعل الكنيسة المسيحية قد ساهمت في الجنوح المادي كما يقول الدكتور محمد الشرقاوي : (إن الحضارة المادية الغربية تنظر إلى الإنسان على أنه كيان مادي أي جسم فقط ، فتعمل على أن تشبع حاجته المادية ؛ ومن ثم كدست له الشيء الكثير من الأدوات والوسائل ولم تأبه إلى حاجته المعنوية الروحية ، وهل حاجة الروح شيء غير الإيمان والعقيدة، إن الكنيسة في العصور الوسطى تتحمل وزر جنوح الحضارة الغربية بالإنسان نحو المادة والانحياز لها على حساب حاجة روحه ، وهكذا سقط إنسان القرن العشرين رغم كل علومه الطبيعية وصناعته وتقنيته المذهلة وتقدمه المادي العظيم في وهدة البؤس النفسي والقلق والخوف والتوتر وفقدان الغاية والهدف)[2] ؛ وقال تعالى **{قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ**

(1) كاريل ، المصدر نفسه ، ص : (163-165)
(2) محمد الشرقاوي ، **الإيمان – حقيقته وأثره في النفس** ، ص : 11-12

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ }[1]

كل ذلك مؤشر على عدم وجود تكاملية بين النشاط العقلي والنشاط الروحي للإنسان ، وكل ما يمكن تسجيله هو أكداس من المعلومات متزاحمة على رفوف المكتبات وعناوين قائمة في جزر معزولة عن بعضها بعض ، تنتظر من ينظمها ويدمج أفكارها ويعيد صياغة جديدة للإنسان مراعيا بذلك مكوناته المادية والروحية .

صياغة الإنسان على ضوء العلم والإيمان :

نستنتج مما سبق ذكره عن واقع الإنسان المعاصر، تلك النظرة الأحادية التي جعلت من المادة كل شيء ، مع إقصاء كامل للجانب الروحي في الإنسان ، وهو الأمر الذي أوقع تلك النظرة في كثير من التناقضات والمغالطات نتجت عنها حالة مأساوية تنذر بالخطر كما بينها بصدق الدكتور ألكسيس ، ولكن ما هو الحل الذي يراه هذا العالم الكبير إنه يقول : (..يجب أن يعيد الإنسان صيغة نفسه حتى يستطيع التقدم ثانية .. ولكنه لا يستطيع صياغة نفسه دون أن يتعذب ..لأنه الرخام والنحات في وقت واحد .. ولكي يكشف عن وجهه الحقيقي يجب عليه أن يحطم مادته بضربات عنيفة من مطرقته ... إننا نعلم أن العته العقلي ، وسوء الأخلاق

(1) سورة **طه** (124-125).

والإجرام ليست وراثية في مجموعها . فمعظم الأطفال يوهبون عند ولادتهم نفس الإمكانيات التي وهبت لوالديهم . وفي استطاعتنا أن ننمي هذه الصفات الفطرية إذا رغبنا في ذلك رغبة أكيدة . فإن كل قوة العلم تحت تصرفنا ، ومازال يوجد رجال كثيرون يستطيعون استخدام هذه القوة دون أنانية .. إذ أن المجتمع العصري لم يقض على جميع مصادر الثقافة العقلية . والشجاعة الأدبية والفضيلة والجرأة ..وما زالت الشعلة متقدمة ، كما أن الشر قابل للإصلاح . ولكن إعادة صياغة الفرد تستلزم استبدال الحياة العصرية)[1] .

ويضيف قائلا : (إننا لا نستطيع تجديد أنفسنا وبيئتنا قبل أن نغير عاداتنا في التفكير .. لقد عانى المجتمع العصري ، منذ نشأ من خطأ عقلي – خطا ما زال يتكرر باستمرار منذ عصر النهضة .. لقد كونت التكنولوجية الإنسان ، لا تبعا لروح العلم ولكن تبعا لآراء ميتافيزيقية . وها قد حان الوقت لكي نتخلى عن هذه المذاهب .. يجب أن نحطم الحواجز التي أنشأت بين أجزاء المواد الصلبة وبين الجوانب المختلفة لأنفسنا . فإن الغلطة المسؤولة عما نعانيه إنما جاءت من ترجمة فكرة لطيفة لجاليليو.. فقد فصل جاليليو ، كما هو معروف جيدا ، الصفات الأولية للأشياء وهي الأبعاد والوزن التي يمكن قياسها بسهولة ، عن صفاتها الأولية للأشياء وهي الشكل واللون والرائحة التي لا يمكن قياسها .. ففصل الكم عن النوع ... فالأشياء غير القابلة للقياس في الإنسان أكثر أهمية من تلك التي يمكن

(1) كاريل ، المصدر نفسه ، ص : (284-285)

قياسها.. ولقد ازدادت التفرقة بين الكم والنوع اتساعا عند ما أنشأ ديكارت مذهب ثنائية الجسم والروح ، وعندئذ أصبحت ظواهر العقل غير مفهومة أو قابلة للإيضاح . إذ عزلت المادة نهائيا عن الروح . وعندئذ اتخذت التركيبات العضوية والآليات الفسيولوجية حقيقة أكبر كثيرا من التفكير ، والسرور والحزن والجمال . ولقد دفعت هذه الغلطة الحضارة إلى سلوك طريق أدى إلى فوز العلم وانحلال الإنسان .. ولكي نعثر على الاتجاه الصحيح يجب أن ننبذ مذهب ديكارت عن الثنائية . وعندئذ سوف يعاد وضع العقل في المادة . ولن يتميز الروح عن الجسد . كما ستصبح الظواهر العقلية والعمليات الفسيولوجية أيضا

في متناول أيدينا .. حقا ، إن دراسة النوع أكثر صعوبة من دراسة الكم ، لأن المادة الجامدة لا ترضي عقلنا الذي يفضل الجوانب القاطعة للمستخلصات.. بيد أنه يجب أن ينشر العلم لذاته فقط. ولا لرشاقة وسائله ولا لتألق جماله . وإنما يجب أن يكون هدفه فائدة الإنسان المادية والروحية .. ولأن الروح ووسائل العلم هي أثمن ما نملكه).

(ولسوف يكون من الصعب أن نتخلص من مذهب ظل يسيطر خلال أكثر من ثلاثمائة عام على عقول القوم المتحضرين... فإذا كان على الحضارة العلمية أن تتخلى عن الطريق الذي سارت فيه منذ عصر النهضة، وتعود إلى ملاحظة المادة الجامدة ببساطة، فسوف تقع أحداث عجيبة على الفور..ستفقد المادة سيادتها ؛ ويصبح النشاط العقلي كالنشاط الفسيولوجي. وسيبدو ألا مفر من دراسة الوظائف الأدبية والجمالية والدينية، كدراسة

الرياضيات والطبيعة والكيمياء.. وسوف تبدو وسائل التعليم الحالية سخيفة، وتضطر المدارس والجامعات إلى تعديل برامجها.. وسيسأل علماء الصحة عن السبب الذي يحدوهم إلى الاهتمام فقط بمنع الأمراض العضوية دون الأمراض العقلية، والاضطرابات العصبية، كما سيسألون عما يجعلهم لا يبذلون اهتماماً بالصحة الروحية؟ ولماذا يعزلون المرضى بالأمراض المعدية، ولا يعزلون أولئك الذين ينشرون الأمراض العقلية والأدبية؟ ولماذا يعتبرون العادات المسئولة عن الأمراض العضوية عادات ضارة، دون العادات التي تؤدي إلى الفساد والإجرام والجنون؟

ولسوف يدرك الاقتصاديون أن (بني الإنسان) يفكرون ويشعرون ويتألمون. ومن ثم يجب أن تقدم لهم أشياء أخرى غير العمل والطعام، والفراغ! وان لهم احتياجات روحية مثل الاحتياجات الفسيولوجية. كما سيدركون أيضاً أن أسباب الأزمات الاقتصادية والمالية، قد تكون أسباباً أدبية وعقلية..)[1] .

هذه شهادات هذا العالم الكبير وهي كثيرة متناثرة في كتابه كله ، وقد اخترت منها ما له علاقة بموضوع البحث ، وهي تتفق على إحساس واحد وهو : الإحساس بالخطر المقبل على حضارة الإنسان الذي تحكمت فيه الآلة والصناعة ونسي خصائصه الإنسانية ، وهو يختتمها بهذا التقرير الذي يحمل طابع الإنذار . يشبه صرخات الإنذارات الدينية للعصاة ، ومن أجل الاختصار فإننا نلخص كلام الدكتور كاريل فيما يلي :

---

[1] كاريل ، المصدر نفسه ، ص : (288- 290) .

1 - إعادة صياغة الإنسان من جديد بتحطيم المادة وتغيير نمط التفكير.

2 - أسباب المعاناة ترجع لطغيان الآراء الميتافيزيقية والمذاهب الفلسفية التي فصلت الكم عن النوع ، والروح عن الجسد .

3 - يجب أن يكون هدف العلم هو الفائدة المادية والروحية معا .

4 -يجب دراسة الوظائف الأدبية والجمالية والدينية كدراسة الرياضيات والطبيعة والكيمياء

5 -يجب أن نتخذ دواعي الحيطة حتى لا يحدث فشل المادة رد فعل روحي ، لأن استبدال الروحي بالمادي لن يصحح الخطأ الذي ارتكبته النهضة.

6 -إعادة صياغة الإنسان يجب أن توحي بهما معرفة دقيقة بجسمه وروحه .

7 -يجب تنشيط العقول بدلا من دفنها في المكاتب و البحث عن النمط الذي تتجمع فيه مجموعة من العلوم ، وفي استطاعة الإنسان أن يتعلم هذه العلوم في حوالي خمسة وعشرين عاما دون انقطاع .

8 -يجب حماية المجتمع من الاختراعات الميكانيكية التي تعتبر خطرا على عقولهم .

9 -أن يعاد إنشاء إطارنا الاجتماعي والمنظر الخلقي لحياتنا المادية والعقلية وكل فرد يملك القوة على تعديل حياته والسيطرة على بدنه وعقله ، و يتحد مع الآخرين الذين يسعون إلى الهدف نفسه .

10 -يجب أن نعزل الأطفال الذين وهبوا إمكانيات أعلى وننمي هذه الإمكانيات إلى أقصى حد مستطاع . فإن أحفاد مؤسسي الحضارة ما زالوا يحوزون صفات أسلافهم ، وهذه الصفات عادة تكون مخبوءة وراء غطاء الانحلال الظاهري.

11 - يجب حساب مصلحة الأطفال قبل كل شيء ، وينبغي أن يتلقى النساء تعليما أعلى لا لكي يصبحن محاميات أو أستاذات ، ولكن لكي يربين أولادهن حتى يكونوا قوما نافعين ففي استطاعتنا أن نوجه التشكيل العقلي للطفل .. فالمدرسون الأكفاء ، والكتب الملائمة ، تقدم إلى عالمه الداخلي الأفكار التي تؤثر في ارتقاء أنسجته وعقله .

12 - يجب إعطاء الإنسان الحرية والسعادة اللتين يتولدان من السلامة الكاملة للنشاط العضوي والعقلي .

13 - الصحة الصناعية لا تكفي للسعادة البشرية ، بل يجب الوصول إلى الصحة الطبيعية بتوفير الحصانة الطبيعية ضد الأمراض.

14 -إن النشاط العاطفي والجمالي والديني يحتاج إلى أن ينمى ، فيجب أن يدرك الوالدان دورهما الحيوي ، وأن تعاد المرأة لوظيفتها الطبيعية .

15 -لقد حان الوقت لنجدد أنفسنا ، ولكننا لن نضع برنامجا ، لأن البرنامج قد يخنق الحقيقة الحية خلف درع صلب ، إنه سيمنع انبثاق

غير المتنبأ به ، ويحبس المستقبل داخل حدود عقلنا . يجب أن ننهض ونمضي ..إن مصيرنا بين أيدينا[1] .

بهذه الكلمات يختم الدكتور ألكسيس رؤيته لإعادة صياغة مستقبل الإنسان من جديد . لكن إذا كان هذا التشخيص الواقعي للمشكلة المتفاقمة بهذه الخطورة وخصوصا أن تنبؤاته منذ أكثر من ستين سنة ، يعايشها الإنسان المعاصر فما مدى صدق هذه الرؤية بمنظور إسلامي ؟ .

إننا حين نتمعن في هذه الحلول التي يراها هذا العالم الكبير نجد أنها تمثل فعلا جهدا علميا لم يفقد قيمته ، ولأنه رجل علم فإن الحلول التي طرحها لم تخرج عن إطارها العلمي ، مع بعض الإشارات إلى الجانب الديني ، وهذا لا يستعبد أن توجد قواسم مشتركة كثيرة بين رؤيته والنظرة الإسلامية لهذه المشكلة . فمثلا من الأمور المشتركة ضرورة الاهتمام بالإنسان بكامله وعدم إهمال الجانب الروحي ، واستخدام الإنسان لطاقته الروحية والعقلية ، وتجسيد مبدأ الحرية وتحقيق السعادة الإنسانية والدعوة إلى السلام العالمي ، وبيان دور الإيمان وذلك حين بين الدور الذي يلعبه الدعاء والصلاة والصوم ..

ومن جهة فقد تعرضت بعض أفكاره للنقد كما ورد في كتاب " الدين في مواجهة العلم " قول وحيد الدين خان : (..ولكن الدكتور كاريل عندما يقول لنا : إن العلوم الإنسانية يمكن اكتشافها تماما مثل العلوم المادية ، فإنه في الحقيقة يعيد ويكرر نظرية الفسيولوجيين

(1) ألكسيس كاريل ، المصدر نفسه ، ص : (290 – 322) .

الميكانيكيين في القرن التاسع عشر بأسلوب جديد لأن المعلومات التي تمكنا من الحصول عليها عن الإنسان لا تعدو حدود المعلومات التي تسمى بـ "الوصفية " أي تلك التي تتعلق بالناحية المادية فقط من الإنسان . ولهذا فإن جميع نظريات أولئك الذين يحاولون فهم الإنسان بعيدا عن هدى الدين ستكون بالضرورة مستمدة من عنصر مادي ، وبالتالي لن يكون هناك ما يفرقهم عمليا عن ملحدي القرن التاسع عشر ... وفي إعداد رجل ملم بكل العلوم أمر مستحيل* في ضوء الأحوال القائمة حتى الآن ..لأن العمر الذي يتمتع به فرد لا يكفي حتى لمجرد الامتياز في فرع علمي واحد ، فكيف بهذا الإنسان الذي يتمنى استيعاب كل العلوم في هذا العمر المحدود بحدود الشيخوخة والموت)[1] .

هذا النقد الذي يطرحه وحيد الدين خان، وقوله بأن هذا الأمر(مستحيل) ، نلحظ فيه التناقض ، فكيف من جهة يعترف بعلمه وإشارته إلى الجانب الروحي كما لاحظنا ، وبيان دور الإيمان و العبادة في صياغة الإنسان ، ومن جهة يتهمه بأنه لا يختلف عن ملحدي القرن التاسع عشر ، وكان

* القول بأن هذا الأمر (مستحيل) ، قول يحتاج إلى وقفة ، فمنهج العلم والإيمان يثبت غير ذلك ، فعلم الوراثة يؤكد على إمكانية حدوث ما يسمى بالطفرات الوراثية في كل جيل من الأجيال ، وعلم الجينات قد توصل إلى نتائج مهمة في هذا الموضوع ، والإيمان أيضا يجانب هذا الرأي ،هناك أحاديث تدعوا إلى تحسين النسل ، و هذا من ضرورات الحضارة ، إذ كيف لعالم موهوب صاحب رؤية ثاقبة أن يجسد فكرته في الواقع ما لم تتجمع له عدة علوم التي تكمل بعضها بعض ، ولنا في تاريخ حضارتنا الإسلامية خير دليل ، فابن سينا ، والرازي ، والبيروني ، وابن الهيثم ...وغيرهم كانوا يتقنون علوم زمانهم ، ولهذا كانت الحضارة الإسلامية في منتهى الروعة والجمال جمعت بين علوم الإنسان وعلوم المادة ، والله أعلم .

(1) وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العلم ، ص : 103-104

الأجدر أن ننصف الرجل ولا نتسرع في الأحكام ، ونعرف البيئة التي كان يعيش فيها ، فقد علمنا أن ألكسيس قد نشأ نشأة دينية وعلمية ، وقد قرأت عن بعض ممن يكتبون ويتسرعون في الأحكام متهمين ألكسيس كاريل بالإلحاد والانحراف، متأثرين ومستندين على نقد وحيد الدين خان ولذلك أرد أوضح هذه الفكرة ونرد على هؤلاء الذين يرفضون التجديد وكل ما يأتي من الضفة الأخرى ، فنقول لهم إن الأفكار التي ينتجها العقل البشري مهما كان انتمائها الديني أو غير الديني ، قد نستفيد منها كليا أو جزئيا أو نرفضها إن كانت تناقض الدين . والأفكار التي طرحها الدكتور ألكسيس كاريل تتقاطع وتتفق مع ما جاء في الدين الإسلامي ، فالضرورة ملحة في إعادة صياغة الإنسان من نقطة البداية ، والبداية ليست هي بداية النهضة ، حتى لا نسلك طريقا آخر يؤدي إلى النتيجة نفسها ، إنما البداية هذه تكون على النهج الإلهي الذي خلق هذا الإنسان وهو أعلم بأحواله ، قال تعالى : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾}[1] ، على المفهوم الصحيح والحقيقي لمقولة: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها..» وهذه هي نقطة الانطلاق لإعادة صياغة الإنسان من الجديد ، إن المنهج الوحيد الذي تنشده البشرية و لا يعتريه نقص هو منهج من أحاط بكل شيء علما، المتصف بالعدل، المنزه عن الجهل والظلم والغفلة، هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

(1) سورة الملك (14) .

ولا من خلفه، وسنة نبيه الثابتة الصحيحة، وهو الذي شرف الله به هذه الأمة -الأمة الإسلامية -، وجعلها به خير أمة أخرجت للناس، وهو النور الهادي، والدواء الشافي، والصراط المستقيم الذي لاعوج فيه، وهو وحده الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور. هذا المنهج الوحيد الذي تنشد البشرية السعادة في ظله، وتشكو من التعاسة التي أصابتها من جراء العلوم التي تقدمت تقدما عظيما في عالم الجماد، ولم يواكبها تقدم يذكر في علوم حياة الإنسان.ولهذا قال تعالى : **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾}** [1]

فلو تمعنا كثير من الآيات القرآنية لوجدنا أنها تصوغ لنا الإنسان صياغة أخلاقية، روحية، عملية، فكرية، متوازنة، يستطيع من خلالها أن يكون إنسان الحياة الذي يتحمل مسؤوليتها من خلال إيمانه وإسلامه ، فرسالة السماء أقدر على صياغة الإنسان كما أراد له الله أن يكون **{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ}**[2]، وهي الوصية التي تقضي بأن نوحِّد الله في العبادة، فلا يخضع فكرنا ولا يخشع قلبنا إلا له تعالى . إن الإيمان أفضل مكون للضمير ورسالة السماء أقدر على صياغة الإنسان كما أراد له الله أن يكون .

(1) سورة **طه** (124).
(2) سورة الإسراء (23).

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي : (..ومن هنا نصل إلى أن العالم لكي يتقدم ويعيش في سلام وأمان .. لا بد أن يتبع القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ..وهذه القوانين متكاملة ، بمعنى أنك لا تستطيع أن تأخذ من هذه القوانين ما يعجبك وتترك منها ما لا يعجبك ..فأنت في هذه الحياة لا بد أن تتعامل مع أسباب الأرض التي تنفعل بك ، لأن فيها الرقى في الحياة ، وهذه توفر لك التقدم وتوفر لك خيرات الأرض وتوفر لك الاكتشافات العلمية التي تعطيك الرفاهية ، وأن تتعامل مع منهج الله في الأرض وهذا يوفر لك الحياة الآمنة المطمئنة ، ويوفر لك الأمن والأمان ، ويعالج أدواء المجتمع التي هي آفة البشرية كلها)[1] .

إذن فالمنهج الذي يبحث عنه الدكتور كاريل لإعادة صياغة الإنسان للوصول إلى السعادة هو منهج القرآن ومنهج الإيمان إلى جانب منهج العلم وبذلك نميط اللثام عن المجهول ونقول الإنسان ذلك المعلوم بالعلم والإيمان

(1) محمد متولي الشعراوي ، **منهج الله في الكون** ، ص : 22

الطب والإيمان وصياغة الإنسان :

فالطبيب الدكتور ألكسيس كاريل قد شرح لنا واقع الحال ، وكيفية صياغة الإنسان ، صياغة علمية وإيمانية ، وقد اقترح لنا ذلك العلاج بكل الوسائل النافعة ماديا ومعنويا ، ودراسة الإنسان تكون من الناحية العلمية التجريبية ومن الناحية الإيمانية .

والعلاقة بين علم الطب وعلم الفكر والإيمان شديدة الارتباط بتاريخ الفلاسفة والأطباء المسلمين، حيث عرف عن أشهر هؤلاء الفلاسفة أنهم كانوا أطباء وماهرين أيضا في علوم عصرهم بالإضافة إلى رسوخ إيمانهم . ومن الأسماء المعروفة في هذا المجال ابن سيناء صاحب كتاب " القانون في الطب" و"كتاب الشفاء" في الفلسفة، وأبو بكر الرازي صاحب كتاب " الحاوي في الطب" وصاحب المؤلفات الكثيرة في الفلسفة والمنطق والإلهيات، وابن رشد صاحب كتاب " الكليات في الطب" وكتاب "فصل المقال في الفلسفة، وهكذا ابن طفيل وغيرهم.. وقد انفكت هذه العلاقة بين هذين الحقلين في العصور الحديثة عند المسلمين، وبقيت على نطاق محدود عند الأوروبيين.

وإذا كان كما قيل العلم علمين علم الأبدان وعلم الأديان، فإنه يتبادر إلى الذهن أن الطب هو أقرب المعارف لذات الإنسان يمكن أن يعرض على شكلين اثنين طب مادي يستعمل الجراحة والعقاقير، وطب معنوي ينطلق من الذهن والإرادة العازمة إلى الخشوع والتفكر العميق بمقتضى عقيدة معينة أو معرفة راسخة.

والصيحة التي أطلقها الدكتور ألكسيس ودعا فيها إلى إعادة صياغة الإنسان ، كما رأينا ، إنما كان ذلك لخطورة الأزمة التي يعاني منها الإنسان وتضغط على العقل البشري ، إنها أزمة الضمير والوجدان البشري الذي لم يذق طعم الراحة والسعادة رغم كل هذه التيسيرات المادية الهائلة . انه مريض يعاني من مرض عضال قد استعصى حله ، وكل ما نرى في واقع الحياة البشرية إنما هو من نتائج هذه الأزمة ..

والأزمة هذه ناتجة من سوء وضع مناهج تعليمية وتربوية في الجامعات ، فالذي يدرس في الوقت الحاضر الدراسات المختلفة ، ومنها الدراسة الطبية الواسعة يجد أن هذه الدراسة مجزأة فهي مجموعة مفرقة من المعلومات ، وأكداس من ملاحظات ضخمة لا يجمعها شيء ولا يلم شتاتها خيط ؟!.. كما أن هذه الدراسة ـ يشعر الإنسان بعد أن ينتهي منها ـ إنها ما دلته بشكل مباشر على القصد والتصميم في خلق الإنسان العجيب ..

وكان لهذا الضرب من التفكير والدراسة النتائج السيئة في العقل والقلب وقد أعطت نتائج معاكسة للشيء الذي يجب أن يصل إليه الدارس ومن الأسباب الأخرى :

أولاً : أهملت الدراسة النفسية الروحية في الطب ، فالدراسة المادية واسعة جداً وكل فرع له كتابه بل كتبه التي لا تنتهي ، أما الدراسة النفسية فكتاب واحد صغير أو ملخصات بسيطة ، وهكذا يخرج الذي يدرس هذه المادة وهو متضخم في جانب وضامر بشدة في جانب آخر ، مع أن الدراسة النفسية الروحية يجب أن تعطى من الأهمية ما للجانب الآخر.

وثانياً : أن تركيب الإنسان بجوانبه المتعددة تجعل المتأمل يخشع ويأخذه العجب لهذا التركيب الفذ الفريد . هذا في الجوانب المادية عند الإنسان فقط فما بالك في الجانب غير المنظور !. ولكن الدراسات والأبحاث في هذا المجال كأنها تتعمد إغفال محصلة هذه الأبحاث وتجعله يخرج بنتيجة سلبية عما رأى وعاين ، ومع هذا فان الفلتات تبدو هنا وهناك وهي تقر وتعترف ولو رغماً عنها بعظمة الإحكام والبناء وروعة التناسق والعمل ... فالذي يعلم أن هناك ثلاثة عشر مليار خلية عصبية ـ والخلية بحد ذاتها بناء محير مدهش ـ تعمل بشكل دقيق محكم متناسق متعاون لتأدية الأغراض الحيوية والفكرية . والإنسان يدهش للرقم أولاً ثم لكيفية عملها وترابطها وإبداعها !.

والطب الإسلامي يتميز عن غيره بصورة الإنسان الشاملة الجامعة للجسم والنفس والعقل والقلب والروح كوحدة متماسكة لا تتأثر بتغييرات التيارات الفكرية المتقلبة والمحدودة في قفص المادة أو النسق المذهبي ، كما هو الحال في الغرب ، فلو نظرنا إلى المدارس العلمية والطبية والفلسفية والنفسية الغربية لو وجدنا أنها ما زالت تبحث عن صورة الإنسان التي يقول، عنها كارل جاسبرز *Karl Jaspers* إنها بعيدة المنال صعبة الإدراك ينفلت من قبضة البحث . وكما رأينا موقف ألكسيس كاريل من الإنسان الغربي ، فالفكر والذكر وراحة البال والرجاء والتفاؤل وأداء العبادات والجمع بين الطب المادي والطب المعنوي إتباعا للسنة النبوية المطهرة كلها تعيدنا إلى النظرة الشمولية حيث أثبتت التجارب الحديثة صحة دور العلاج الروحي فيما يتعلق بالإرادة والتأمل والخشوع ، في شفاء

كثير من الأمراض ، فقد شرع بعض الأطباء في إجراء اختبارات لرؤية ما يحدث في الجسم من تغيرات بيولوجية وكهربائية إثر تركيز الفكر في التأمل والخشوع في الصلاة حتى يقوم البرهان على المنفعة العلاجية للوسائل الروحية.

وأثبتت التجارب فعالية الصلاة في الشفاء من كثير من الأمراض يقول الدكتور محمد السقا* : " إن الصلاة هي الدواء الناجح والشفاء الرباني لكل أمراض الدنيا البدنية والعضوية والنفسية والعصبية وفيها الوقاية من حدوث كل هذه الأمراض ففي عملية الصلاة تتحرك كل عضلة من عضلات الجسم وفي هذا صيانة لها وتدريب لتقويتها" .

وتشكل الآيات التي فيها إشارات للعلوم الطبية أغلبية مقارنة بالآيات التي فيها إشارات ترتبط بالعلوم الطبيعية الأخرى حيث تبلغ أكثر من ثلث عدد الآيات المتعلقة بالعلوم الطبيعية والبالغ عددها أكثر من ألف آية . والآيات التي فيها إشارات طبية تبلغ أكثر من خمسين وثلاثمئة آية وزعت على أكثر من سبعة عشر موضوعا طبيا حسب هذا الجدول[1] :

* اخصائى جراحة العيون وباحث فى الإعجاز العلمى فى القرآن .

(1) محمد جميل الحبال ، رمزي العمري ، **الطب في القرآن** ، ص: 34 .

العلوم الطبية	الآية	النصوص القرآنية	سورة
الطب النفسي	130	{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} 45	البقرة
وظائف الأعضاء	59	{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} 125	الأنعام
علم الأجنة	36	{اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ} 8	الرعد
النساء والتوليد	21	{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ } 14	لقمان
طب العيون	10	{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ } 4	الملك
طب المجتمع	43	{ يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً} 28	النساء
علم التشريح	19	{ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي} 28/27	طه
الأنف الحنجرة	15	{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } 12	الحاقة
علم الوراثة	15	{خَلْقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ } 6	الزمر
الطب الغذائي	18	{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً} 25	مريم
العناية بالمريض	10	{ ۝۝لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} 17	الفتح
الجلدية	9	{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} 23	الزمر
الطب لعلاجي	8	{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } 42	ص
الجراحة	8	{سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ} 56	النساء
طب لشيخوخة	6	{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ..) 4	مريم
طب الأطفال	5	{ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} 5	الحج
الطب الشرعي	4	{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ..} 92	يونس

وفي تحديد العلاقة بين العلم والإيمان نذكر هذه القصة الشاهدة على الارتباط الوثيق بين الطب والإيمان ، يقول الدكتور **بول إرنست أدولف*** : (عندما كنت أعمل جراحاً في احد المستشفيات ، جاءتني ذات يوم جدة جاوزت السبعين تشكو من شدخ في عظام ردفها ، و بعد أن وضعت فترة تحت العلاج أدركت من فحص سلسلة الصور التي أخذت لها على فترات تحت الأشعة أنها تتقدم بسرعة عجيبة نحو الشفاء ، و لم تمض أيام قليلة حتى تقدمت إليها مهنئاً بما تم لها من شفاء نادر عجيب . عندئذ استطاعت السيدة أن تتحرك فوق المقعد ذي العجلات ، ثم سارت وحدها متوكئة على عصاها ، و قررنا أن تخرج تلك السيدة في مدى أربع و عشرين ساعة و تذهب إلى بيتها ، فلم يعد بها حاجة إلى البقاء في المستشفى .

و كان صباح اليوم التالي هو الأحد ، و قد عادتها ابنتها في زيارة الأحد المعتادة حيث أخبرتها أنها تستطيع أن تأخذها والدتها في الصباح إلى المنزل لأنها تستطيع الآن أن تسير متوكئة على عصاها . لم تذكر لي ابنتها شيئاً مما جال في خاطرها و لكنها انتحت بأمها جانباً و أخبرتها أنها قد قررت بالاتفاق مع زوجها أن يأخذا الأم إلى أحد ملاجئ العجزة لأنهما لا يستطيعان أن يأخذاها إلى المنزل . و لم تكد تنقضي بضع ساعات على ذلك حتى استدعيت على عجل لإسعاف السيدة العجوز . و يا للهول ما رأيت . لقد كانت المرأة تحتضر ، و لم تمضي ساعات قليلة حتى أسلمت الروح .

* طبيب وأستاذ مساعد التشريح بجامعة سانت جولس وعضو جمعية الجراحين الأمريكيين له كتب في الطب . **المرجع** : الله يتجلى في عصر العلم ، ص : 142.

إنها لم تمت من كسر في عظام ردفها و لكنها ماتت من انكسار في قلبها . لقد حاولت دون جدوى أن أقدم لها أقصى ما يمكن من وسائل الإسعاف وضاعت كل الجهود سدى . قد شفيت من مرضها بسهولة و لكن قلبها الكسير لم يمكن شفاؤه برغم ما كانت قد تناولته في أثناء العلاج من الفيتامينات و العقاقير المقوية و ما تهيأ لها من أسباب الراحة و من الاحتياجات التي كانت تتخذ لتعينها على المرض و تعجل لها الشفاء . لقد التأمت عظامها المكسورة التئاماً تاماً و مع ذلك فإنها ماتت .لماذا ؟ إن أهم عامل في شفائها لم يكن الفيتامينات ولا العقاقير و لا التئام العظام ، و لكنه كان الأمل . و عندما ضاع الأمل تعذر الشفاء .

أثرت هذه الحادثة في نفسي تأثيراً عميقاً ، و قلت في نفسي : لو أن هذه السيدة و ضعت أملها في الله ما ضيعها و ما انهارت و لما حدث لها ما حدث . و برغم أنني كنت أومن بالله خالق كل شيء بحكم اشتغالي بالعلوم الطبية ، فإنني كنت أفصل بين معلوماتي الطبية و المادية و بين اعتقادي في وجود الله كما لو لم تكن هنالك صلة بين هذين الأمرين ، و لكن هل يوجد ما يدعو إلى هذا الانفصال بين هاتين الناحيتين ؟ ها هي ذي السيدة العجوز التي تم لها الشفاء و سلامة الجسد فقدت روحها و نظرة التفاؤل إلى الحياة . لقد عقدت كل آمالها حول ابنتها الوحيدة ، و عندما خلت لها أبنتها انهارت آمالها فواجهت الموت بدلاً من أن تواجه الحياة . و لقد صدق عيسى عليه السلام عند ما قال " كيف ينتفع الإنسان بهذه الدنيا إذا ملكها كلها و فقد روحه ".

لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لابد يشمل الروح و الجسم معاً و في وقت واحد و أدركت أن من واجبي أن أطبق معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيماني بالله و علمي به ، ولقد أقمت كلتا الناحيتين على أساس قويم . بهذه الطريقة وحدها استطعت أن أقدم لمرضاي العلاج الكامل الذي يحاجون إليه . ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية و عقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة .

و الواقع أن النتيجة التي وصلت إليها تتفق كل الاتفاق مع النظرية الطبية الحديثة عن أهمية العنصر السيكولوجي في العلاج الحديث ، فقد دلت الإحصائيات الدقيقة على أن ثمانين بالمائة من المرضى بشتى الأمراض في جميع المدن الأمريكية الكبرى ترجع أمراضهم إلى حد كبير إلى مسببات نفسية ، و نصف هذه النسبة من الأشخاص الذين ليس لديهم مرض عضوي في أية صورة من الصور)[1] .

ولكن لماذا نغفل عن البعد الإيماني الذي هو المصدر الأساسي للشفاء وهو الارتباط بالله تعالى ، إذ يقرر الطبيب ألكسيس كاريل وكذلك الجراح بول أدولف كما رأينا سابقا أن على الأطباء أن يوثقوا ارتباطهم بالله عقيدة وإيمانا راسخا ودعاءً مع الإلحاح المستمر من أجل النجاح ، بدل الاعتماد فقط على آلاتهم الجراحية كما يحدث في أغلب المستشفيات ، ومن هنا ندرك تلك الصلة التكاملية بين علم الإيمان وعلم الطب ، فقد يحدث الإيمان في شفاء الأمراض ما لا يحدثه الطب ، لأن من الأسباب الرئيسية

(1) جماعة من العلماء ، **الله يتجلى في عصر العلم** ، ص : (137-144)

لكثير من الأمراض ، الحالات النفسية التي يتعرض لها الإنسان في حياته وبالخصوص المريض . و مما يؤسف له أن كثيراً من الأطباء يبتعدون عن العلاج الإيماني الذي يبث الاطمئنان والراحة النفسية والتي تعتبر أمرا ضروريا لشفاء المريض ، فطلب العون من الله والشفاء منه تعالى يلهم الطبيب الصواب ويشفي المريض ، أم الجحود الأعمى لحق الخالق فإنه يوقعنا في الأخطاء . ولذلك نجد الدكتور أدولف يقول : (.. لقد وجدت في أثناء ممارستي للطب أن تسلحي بالنواحي الروحية إلى جانب إلمامي بالمادة العلمية يمكناني من معالجة جميع الأمراض علاجاً يتسم بالبركة الحقيقة ،أما إذا أبعد الإنسان ربه عن هذا المحيط ، فإن محاولاته لا تكون إلا نصف العلاج ، بل قد لا تبلغ هذا القدر ، فمعظم القرح المعدية لا ترجع إلى ما يأكله الناس كما يقال ، و إنما إلى ما تأكل قلوبهم ، و لابد لعلاج المريض بها من علاج قلبه و أحقاده أولاً ، و ليكن لنا أسوة بالأنبياء الذين كانوا يصلون من اجل أعدائهم و يدعون لهم بالخير . فإذا تطهرت قلوبنا و صرنا مخلصين ، فإننا نشق طريقنا نحو الشفاء ،و بخاصة إذا كان العلاج الروحي مصحوباً بتناول المواد ضد الحامضية و غيرها من العقاقير التي تساعد على الشفاء من هذه القرح)[1].

ولقد أخذت هذه الفكرة الأخيرة تتبوأ تدريجيا مكانا مرموقا عند عدد وافر من الأطباء في العالم كله عندما يقولون: ما معناه: لو علم الناس ما للطاقة الروحية من فائدة علاجية على الجسم والنفس لتخلى واستغنى

(1) الله يتجلى في عصر العلم ، المرجع السابق ، ص: 136

الإنسان عن استعمال كمية وافرة من الأدوية التي في معظمها لا تعالج إلا الأعراض ولا تنفد إلى الأسباب بأي وجه من الوجوه .

ولقد أخذت الناحية الروحانية ووسائلها العلاجية تتسع آفاقها بقدر ما يتعمق التفكير والبحث العلمي ، وما محاولة الدكتور جلبي في الربط بين علم الطب وعلم الإيمان إلا صيحة واحدة من الصيحات التي يطلقها العلماء هنا وهناك من أجل الرجوع إلى وحي السماء حيث يقول تعالى : { **أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴿٨٥﴾ }[1]

وليس المقصود من كلامنا التقليل من أهمية دور الطب والأطباء والدواء . ولكن نبين أن الجسم يجب أن يعتمد على نفسه لكي يرجع إلى حالته الطبيعية ويستعيد توازنه مما يتطلب طاقة روحية ونفسية وهو الأمر الذي أمسى معروفا لدى أطباء الغرب والشرق في هذا العصر . ولا زلنا نجهل الكثير من قدرة الروح وتأثيرها في سير وظائف الجسم ، ولهذا لو رجعنا إلى تاريخ أطباء الإسلام في العصور الذهبية لو وجدنا أنهم كانوا يتحلون بالإيمان والتقوى والورع والأخلاق الحميدة ، فكان الطبيب المسلم يتحلى بالأخلاق الطيبة والتقوى وبهذا الصدد يقول الطبيب يعقوب بن إسحاق الكندي نقلا عن كتاب السلوك المهني للأطباء : (" **ليتق الله تعالى المطبب ، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض**..."ويوصي ابن سينا صديقه أبو سعيد ابن أبي الخير الصوفي نقلا عن كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء : " **ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره**

(1) سورة الإسراء (85) .

، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ، مسافرا بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى ...ومعرفة الله أوّل الأوائل ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ")[1] .

فالطب هو خير شاهد على العلاقة الوثيقة بين العلم والإيمان ، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تنفصل هذه العلاقة ، وإلا يصير المرء كمن يسير بسيارة في الظلمات بضوء واحد ، فهو مهدد بالخطر ، قال تعالى : { **ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾** }[2] .

يا جامع الطب والإيمان في هدف ❖❖ أبشر بمكرمة لا بد تلقاها
هلا ابتدرت إلى الرحمن مبتهلا ❖❖ تعلوا إلى رتبة ما كنت ترقاها
أنت الطبيب الذي في قلبه أمل ❖❖ في فنه حذق في علمه ضاهى

(1) عبد الله سعود السعيد ، **الطب ورانداته المسلمات** ، ص : 29
(2) سورة الشعراء (78 – 82) .

خاتمة

إن الصيحة الغربية التي أطلقها الدكتور ألكسيس كاريل من خلال كتابه "الإنسان ذلك المجهول" ترسم لنا الخطوط العريضة نحو الرؤية المستقبلية لكيفية صياغة الإنسان بالعلم والإيمان باعتبارهما وجهان لعملة واحدة ، فالطبيب يستعمل أدوات الجراحة في مجال الأفكار بالصورة التي يظهر فيها التعبير عن هذه الأفكار بنوع من الحدية والقسوة ، قد تخلف نزيفا وألماً في بعض الحالات. فهو حين يقارن بين مشرط الجراح وريشة الكاتب يقول: "أن يمسك الجراح بالمبضع فيشق الجلد مفهوم وسهل، ولكن أن يتناول الريشة فيخط اسطراً من الفكر فهو صعب وغير متوقع، أو لا يفتح شهية الجراحين... يستخدم الجراح أدواته فيقص ويخيط أنسجة الجسم ليبرأ المريض والمصاب، والكاتب يخيط الجمل ويرقع الكلمات فيخرج منها نسيجاً جديداً من التجربة البشرية". بهذه العبارات يعبر ألكسيس عن المرض الذي أصاب البشرية ويتوصل إلى الدواء الشافي الكافي الذي يتفق مع طبيعة هذا الجسم المريض ويتجاوب معه بصورة عجيبة وسريعة ، فالأستاذ مالك بن نبي من الهندسة وضع التصميم المناسب في دراسة أفكار المجتمع ووضع أسس النهوض الحضاري ، و كل العلماء الذين تخصصوا في شتى العلوم ، بداية من علماء الحضارة الإسلامية إلى علماء مدنية العصر الحديث .

فألكسيس كاريل وغيره من العلماء الباحثين في شتى مجالات العلوم اتفقوا على رؤية واحدة وهي ضرورة الالتفات إلى الجانب الروحي في الإنسان والاهتمام به كالاهتمام بالمادة ، وضرورة الجمع بين العلم والإيمان باعتبارهما الجناحان اللذان يطير بهما الإنسان في هذا الكون الواسع المليء بالمفاجآت وأنه بفقد أحدهما سيفقد الإنسان توازنه الديني والفكري والثقافي ، ومن ثم يصبح يخبط خبط عشواء ، أو يصبح يسير سير السكران وما هو بسكران ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾[1] وهو حال البشرية الآن .

إن لحظة التآخي والتوافق بين العلم والإيمان هي لحظة التحول الكبرى التي تغير مجرى تاريخ العالم كما حصل في اكتشاف اينشتاين للعلاقة بين الطاقة والمادة، حيث يتم تحول الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة ، أو كاللحظة التي وقع فيها الإنفجاز العظيم فتكّون الكون بأمر (كن فيكون) .

إن الواقع المنهار الذي يعيشه كثير منا كأفراد أو كجماعات أو كأمم ، ومحاولة استيعاب الإعصار العلمي الحاصل الآن وصدمة الحداثة التي دخلت العالم الإسلامي وأحدثت ما يشبه بالفقدان في التوازن . والضغوطات العالمية على الدين الإسلامي بشتى الصور ومختلف الوسائل ، يتطلب من العلماء المفكرين وضع حلول عميقة ، وهذه الحلول العميقة تحتاج إلى جهود مخلصة تعمل جاهدة على توفير مناخ صحي يساعد على

[1] سورة الحج (2) .

غرس ثقافة العلم والإيمان ، فالعلم كشف عن أسرار بداية الكون ، ومحورية العقل ، وخلود الروح ، والبعد اللامادي في الإنسان ، ونسبية الزمن و قدم الدليل على الخلق والخالق ، واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، في المنظومة الثلاثية الأساسية الإيمانية ، فاجتمع العلم والإيمان ، وتعانق العقل والضمير ، في عقدة تستعصى على التفكك ، واندمج في وحدة عضوية نامية متطورة ، تُهذّب الإنسان وتقربه من رب العالمين . قال تعالى : { وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦ }[1] .

إن الإنسان النموذجي الذي رسمته الحضارة الغربية الحديثة وأرادت فرضه على العالمين مازال مجهولا ليس في أغوار تركيبته النفسية وجهازه الروحي فحسب بل كذلك في بنيته العضوية المادية مما يعني أن المثال الإنساني الذي تبشر به تلك الحضارة المادية مكتسحة الدنيا بأسرها بحجة القوة وقوة الحجة معا ، ليس جاهزا بعد للنسخ على منواله وكيف يكون جاهزا للتصدير من مواضع الجهل به عضويا فضلا عنه روحيا أكثر من مواضع العلم ، فكان كتابه ثورة حقيقية في خضم العلاقة بين الشرق والغرب أو بين العلم والإيمان . ثم توالت الثورات الثقافية في ذلك الاتجاه على يد روجي غارودي طورا ثم على يد آخرين عاشوا فوق الأرض الغربية المادية طويلا وهم غربيون طورا آخر ، فلما برق العقل الهادي بإذن

(1) سورة سبأ (6) .

ربهم عادوا يصلحون ما فسد ولا تزال رحلة تلك الثورات ماضية وعدا موعودا حتى يتبين لهم أنه الحق. قال تعالى: {وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ }[1]

وقال تعالى : {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ }[2]

و صيحات علماء الشرق والغرب هنا وهناك حول الحالة التي آلت إليها البشرية ، والانحرافات الخطيرة في شتى مجالات الحياة ، قد جعلت كثيرا من المفكرين والمختصين يقفون حيال قبول نظريات غربية كانت سببا في انحراف الإنسان وجحوده لحقوق خالقه عليه طيلة نيف من الزمان ، ولعل أشهرها نظرية النشوء والارتقاء الداروينية ، فضلا عن نظريات أخرى أسست للفلسفة الغربية المعاصرة كالمادية والوجودية ، وظلت الأبحاث في المستويين النفسي والعضوي تؤكد في كل مرة بأن أغلب ما ظن يوما بأنه الحق الذي ليس وراءه إلا الباطل ليس سوى سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب قال تعالى { وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ }[3] .

(1) سورة الرعد (43) .
(2) سورة الفتح (28) .
(3) سورة النور (39) .

يقول كريسي موريسون في كتابه " العلم يدعو للإيمان" : (إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية وشعوره بالواجب إنما هما أثر من آثار الإيمان بالله ، والاعتقاد بالخلود ، وإن غزارة التديُّن لتنكشف عن روح الإنسان ، وترفعه خطوةً خطوةً ، حتى يشعر بالاتصال بالله ، وإنَّ دعاء الإنسان الغريزيِّ لله بأن يكون في عونه ، هو أمرٌ طبيعيٌ وإن أبسط صلاة تسمو به لتقربه من خالقه . إن الوقار ، والكرم ، والنبل ، والفضيلة والإلهام ، وكل ما يسمَّى بالصفات الإلهية ، لا تنبعث عن الإلحاد ، أو الإنكار الذي هو مظهرٌ مدهشٌ من مظاهر الفرد ، يضع الإنسان في مكان الله ! وبدون الإيمان كانت المدنية تفلس ، وكان النظام ينقلب إلى فوضى ، وكان كلٌّ ضابط ، وكلٌّ كبح يضيع ، وكان الشر يسود العالم . فعلينا إذا أن نثبت على اعتقادنا بوجود الله . وعلى محبته وعلى الأخوة الإنسانية ، فإن ذلك يسمو بنا نحوه تعالى. إذ ننفذ مشيئته كما نعرفها ، ونقبل تبعة اعتقادنا بأننا بوصفنا خلقه ، جديرون بعنايته الإلهية .)[1] .

النتائج والتوصيات : وفي الأخير يحسن بنا أن نضع بعض النتائج ملخصة في هذه النقاط :

1 - أن صياغة الإنسان يجب تنطلق من مصدرين أساسين وهما الوحي والعقل ، فالعلم والإيمان هما المنطلق الأساسي لأي خطوة يخطوها الإنسان نحو الغرض المنشود .

(1) كريسي موريسون ، **العلم يدعو للإيمان** ، ص : (196-197) .

2 - أن رسالة الإسلام مبناها كلمتان لا ثالث لهما : الله واحد لا معبود بحق سواه والإنسان مخلوقه الأكرم الذي أستأمنه وأستخلفه وملكه الدنيا والآخرة فضلا منه سبحانه فمن تعدى على المخلوق تعدى على الخالق .

3 - أن الإنسان ذلك المجهول ، لم يعد مجهولا في عصر العلم والإيمان ، بل معلوم المهمة التي من أجلها خلق ، ومعلوم الخالق الذي خلقه ، وأن السعادة الحقيقة في إتباع منهج العلم والإيمان . وأن جهلنا المطبق يتمثل بكرامة الإنسان رغم التقدم الحاصل ، حيث نجد الظلم المسلط على الضعفاء وانتهاك حقوق الإنسان، وانتشار سياسة الاستعلاء والتمييز العنصري . في حين لو نظرنا إلى ديننا الحنيف لوجدنا كرامة الإنسان وحقوقه ثابتة في عقيدتنا تنطق بها كل آية وحديث .

4 - أن الإنسان مفطور على الإيمان وأن العقيدة راسخة في وجدانه ، و العلم مثّبت لها ومبرهن عليها .

5 - الحقيقة المشاهدة أن الإنسان المعاصر كلما تقدم ماديا وعمرانيا تخلف روحيا وتقهقر نفسيا ، فإذا كانت حركة التقدم المادي والعلمي التي يشهدها الإنسان اليوم تقود إلى إشعال نار الحروب المدمرة ومزيد من إقبال إضعاف واحتقار القوّي الغني لأخيه الفقير فإن شيئا ما يهدد الكون بأسره وأن الطوفان قادم ، وسوف يجتاح الكرة الأرضية بأسرها فيأتي على بنيانها من القواعد ، ولا يسلم منه إلا من ركب سفينة النجاة وهي حضارة الإسلام المبنية على العلم والإيمان .

6 - الحاجة ماسة لتنمية ثقافة عقدية مبناها وحدانية الله وكرامة الإنسان كل الإنسان وإذا ما تم العلم بذلك على وجه الصحة والدقة ثم تعزز ذلك بالخلق الإسلامي فإننا نكون قد وضعنا أنفسنا على درب تغيير ما بأنفسنا أي تغيير الله ما بنا .

7 - إن التسلح بالثقافة الإسلامية الصحيحة خير ضمان لتقدم سفينة الدعوة إلى الله ﷻ . فالدعوة الإسلامية اليوم مطالبة بأن تثبت للعالمين بأن الإنسان في الإسلام مكرم ومعلوم المعالم في ديننا وحضارتنا ، ولسنا في حاجة إلى من يعلمنا كرامة الإنسان وحقوقه الثابتة ، اللهم الخبرات العلمية والعملية التنظيمية التي تتماشى وتطور الإنسان .

8 - إن التمكن من العلم والإيمان من شأنه أن يكسبنا القوة على الرد على أصحاب المذاهب الضالة والمنحرفة من اليهود أو النصارى أوالمجوس و من تبعهم من المغرر بهم من المسلمين المنبهرين بالمدنية الغربية .

9 - المسلم صاحب رسالة عالمية وعقيدة مبنية على الرؤية الواضحة والعلم الصحيح والمنطق السليم والتفكير القويم ، والإنسانية محتاجة إليها لتوضح لها الطريق الصحيح وتنجيها من هول المادية القاتلة في غياب الإيمان .

10 - أن تصرف الجهود الفكرية والمالية في المزيد من العلم ، من أجل تقوية الإيمان والسمو به إلي درجات عالية ، ونقترب من رب العالمين ، لنستمد منه تعالى القوة بكل معانيها وأبعادها ، وثانيا حصول التفوق العلمي ، فنستخدمه في الدعوة وتبليغ الرسالة للآخرين .

فهرس
الآيات والأحاديث

ر ،آ	السورة و نـص الآيـــــة	ص
	سورة البقرة	
8	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ	64
21 22	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ	183
23	وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ	30
29	هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا	150
32	قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ	36
45	وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ	203
60	قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ	37
85	أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ	64
111	قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾	92
129	رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ	36
146	يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ	19
151	وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾	37
177	لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ..	42
216	وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ...	58
225	{لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِىٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ...	66
231	وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾	36

260	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى. . . .	53
	سورة آل عمران	
7	وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ	54
18	شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ...	33 38
59	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ	119
64	قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ	9
190 191	إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ....	92
	سورة النساء	
28	يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً	203
56	سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا	159 203
124	{وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	164
	سورة المائدة	
5	مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ	63
83	مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا	11
	سورة الأنعام	
67	لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾	37 104
76 79	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ	53
82	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ	67

121	وَإِن ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ	59
122	أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ	39
125	وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ	203
	سورة التوبة	
61	وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ ...	65
125	وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ	51
	سورة الأنفال	
3-2	إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...	41 51
67	{مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ	30
60	لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ .	11
	سورة يونس	
13	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ...	5
92	فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً . . .	203
101	قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ .	91
	سورة يوسف	
3	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ	31
58	وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾	19
106	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾	64

سورة الرعد		
8	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ	203
28	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ...	67
43	وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ...	213
سورة الحجر		
9	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾	4 131
16	وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ	179
29 30	فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ	156
85	وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ	95
سورة النحل		
8-5	وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ...	177
78	وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا	121
83	يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾	19
سورة الإسراء		
23	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ	197 222
36	إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ..	55
70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...	150
85	وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٨٥﴾	26 208

سورة مريم		
4	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً . . .	203
25	وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً . . .	203
67	وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ...	124
سورة طه		
27 28	وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي	203
114	وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾	37
124 125	قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ..	188 197
سورة الأنبياء		
16	وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾	96
25	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ	61
30	أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا	98
104	يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ ...	105
سورة الحج		
2	وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ	209
5	وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ	203
46	أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ	55 57
54	وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ...	38

سورة المؤمنون		
14	فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا	128
	ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾	
سورة النور		
39	وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً	213
سورة الشعراء		
78 82	ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾	209
سورة العنكبوت		
46	وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا	42
20	قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ	91
سورة الروم		
1 3	الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ...	31
55 60	وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ .. .	122
56	وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ...	3
سورة لقمان		
14	وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ	203
سورة السجدة		
5	يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ...	101
6+7	ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ...	150

سورة الأحزاب		
72	إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ...	150
سورة سبأ		
6	وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ	212
سورة فاطر		
31	وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ	27
سورة يس		
82	إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾	94
سورة الصافات		
7+6	إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾	177
سورة ص		
42	ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ	203
سورة الزمر		
6	يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ...	123
9	قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...	33 37
23	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ ...	203
سورة غافر		
62 64	ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً	119
83 84	فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ	4

سورة فصلت		
9	۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ .	98
10 12	وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا ...	98
9 10	۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ...	102
20 22	حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم ...	161
53	سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ	49 129 169
سورة الشورى		
7	وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا	27
51	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ...	59
53	{وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَا	62
سورة الأحقاف		
13	إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ	34
23	ِ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾	36
26	وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ	61
سورة محمد		
19	فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ	3
سورة الفتح		

17	لَّيسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ	203
28	{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...	213
	سورة الحجرات	
13	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا ...	164
14	قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا	46
	سورة ق	
16	وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ	149
38	وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ.....	96
	سورة الذاريات	
20 21	وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾	91
21	وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾	168
36	فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾	45
47	وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾	103
	سورة الحديد	
4	هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ....	96
	سورة المجادلة	
11	يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ	38 92
	سورة الممتحنة	
10	فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ	19

		11
سورة التغابن		
11	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ..	67
سورة الملك		
4	ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ	203
14	أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾	196
سورة القلم		
4	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾	176
سورة الحاقة		
12	لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	203
سورة المعارج		
4	تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	101
سورة نوح		
13 14	مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾	123
سورة الجن		
23	وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾	102
سورة الإنسان		
3-1	إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا	121 126
سورة عبس		

17 22	قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾	127
20	ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾	129
	سورة الإنفطار	
7 8	ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾	128
	سورة المطففين	
14	كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾	52
	سورة الغاشية	
17 18	أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾	179
	سورة البلد	
-8 10	أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾	149
	سورة الضحى	
5+4	وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ	151
	سورة التـين	
4	لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾	179
	سورة العلق	
1	ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾	3 31
	سورة العصر	
3	إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	42
	سورة قريش	

4	وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ	40

فهرس الأحاديث

	بداية الحديث ..	ص
ا	(الإيمان بضع وسبعون شعبة	42
ا	أي الأعمال أفضل ، فقال : الإسلام	46
ا	إن من خياركم أحسنكم أخلاقا.....	176
ا	اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها	151
ا	إن أول ما خلق الله القلم.....	71
ب	بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل	47
ب	بُنِيَ الإِسلامُ عَلى خَمْسٍ	45
ح	الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهما مُشَبَّهاتٌ	42
ك	... كُلُّهُمْ فِي الجَنّة	50
م	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	48
ق	القلوب أربعة ، قلب أجرد	57
خ	خلق الله التربة يوم السبت	99

فهرس
المَصَادِر والمَرَاجِع

المصادر والمراجع

حسب ترتيب [أبجد هوز]

	الكتب	

1 -**القرآن الكريم**

2 - **البخاري** ، الجامع الصحيح ، المطبعة السلفية ، القاهرة1400ه ، ط : 1 ، ج : 1

3 - **مسلم** ، صحيح مسلم ، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ط : 2 دار إحياء التراث العربي ، القاهرة

4 -**ابن حجر** ، فتح الباري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، السعودية 1996، ط : 1 ، ج : 1

5 - **التبريزي** ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط : 3 ، 1985 ،

6 -**ألكسيس كاريل** ، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد ، مكتبة المعارف، بيروت2003

ح	ر	مؤلف	عنوان الكتاب	الطبع	البلد	السنة	ط	ص
أ	7	**ابن كثير**	**تفسير القرأن العظيم**	الأندلس	بيروت	1986	105	50
أ	8	**ابن منظور**	**لسان العرب**	الحديث	القاهرة	2003	.	40
أ	9	**ابن خلدون**	**المقدمة**	الكتاب العربي	بيروت	2005	.	.
أ	10	**ابن القيم**	**مدارج السالكين..**	الكتاب العربي	بيروت	.	.	19
ب	11	**البغدادي عبد القاهر**	**أصول الدين**	الكتب العلمية	بيروت	1981	3	41
ج	12	**بكير بن سعيد**	**القرآن ومذهب داروين**	البعث		1983	1	119

ج	13	جابر أبو بكر	عقيدة المؤمن	الشهاب	الجزائر	1985	.	61
ج	14	الجرجاني الشريف	التعريفات	الفكر	بيروت	2005	1	13
ج	15	الجسر نديم	قصة الإيمان...	التربية	بغداد	.	.	63
ج	16	جون كلوقرمونسما	ترجمة الدمرداش الله يتجلى في عصر العلم	التربية	بغداد	.	.	168
د	17	درنيقة محمد	القرآن والعلم	الأرقم	بيروت	2002	.	2238
د	18	الدغمي أحمد	نظرية المعرفة في القرآن	الفكر	دمشق	2002	1	21
ز	19	زيدان محمود	من نظريات العلم المعاصر	النهضة العربية	اسكندرية	1982	.	7784
ز	20	الزمخشري	الكشاف	المعرفة	بيروت	.	.	4963
ز	21	الزنداني عبد المجيد	الإيمان	الأرقم	بيروت	1993	4	44128
ز	22	الزنيدي عبد الرحمان	مصادر المعرفة ...	المؤيد	السعودية	1992	.	1218
ز	23	الزركلي	الأعلام	العلم للملايين	بيروت	2002	15	107
ح	24	الحبال م	الطب في القرآن	النفائ	بيرو	2004	2	200

		العمري		س	ت			
ح	25	الحنفي بن أبي العز	شرح العقيدة الطحاوية	المكتب الإسلامي	بيروت	1988	9	39 40
ط	26	طبارة عفيف	روح الصلاة	العلم للملايين	بيروت	1981	12	180
ي	27	يحي هارون	خديعة التطور	Secil Ofset	تركيا	2003	.	109
ي	28	/	سلسلة المعجزات	arastirma	تركيا	2003	.	76
ك	29	كوسا يحي	تقارير علمية	الهدى	الجزائر	1992	1	155
م	30	ميموني و قسوم	قصة الكون	المعرفة	الجزائر	2002	2	70 105
م	31	موريسون كريسي	العلم يدعو للإيمان	ابن كثير	دمشق	2006	1	108 211
م	32	معروف نايف	الإنسان والعقل	سبيل الرشاد	بيروت	1995	1	22 73
م	33	المعهد العالمي	إسلامية المعرفة	البشير	الأردن	.	.	.
م	34	المراغي	تفسير المراغي	الفكر	بيروت	.	.	49
ن	35	النابلسي م راتب	آيات الله في الإنسان	المكتبي	دمشق	2005	1	.
ن	36	نشواتي م نبيل	الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان	القلم	دمشق	2001	1	111 128

ن	37	نجاتي م عثمان	القرآن وعلم النفس	الشروق	بيروت	1987	.	67
ن	38	نوفل ع الرزاق	الله والعلم الحديث	الكتاب العربي	بيروت	.	.	154
ن	39	النجار ع المجيد	خلافة الإنسان بين الوحي والعقل	العربية للعلوم	بيروت	2005	3	2493
س	40	سابق السيد	العقائد الإسلامية	الكتاب العربي	بيروت	.	.	43
س	41	السعيد عبد الله	الطب ورائداته المسلمات	المنار	الأردن	1985	.	206
س	42	السحمراني أوأ كنعان	عقل الإنسان بين الفلسفة و ...	النفائس	دمشق بيروت	2005	2	57
ع	43	العز بن عبد السلام	معنى الإيمان والإسلام	الفكر	دمشق الجزائر	.	.	3965
ع	44	عجيلة عاصم أحمد	المسلون وتقليد الأجانب	نهضة مصر	القاهرة	2006	1	162
ع	46	عبده مصطفى	أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي	الإشراق	بيروت	1990	1	25176
ع	47	عبدو محمد	رسالة التوحيد	المطبوعات الجامعية	الجزائر	.	.	2758
ع	48	العوا عادل	الإنسان ذلك المعلوم	عويدات	بيروت	1982	2	106

ف	49	الفاخوري و خليل الجر	تاريخ الفلسفة العربية	أبدرا ن	بيرو ت	1966	.	107
ف	50	الفيومي أحمد	المصباح المنير	العصر ية	بيرو ت	1996	1	54
ف	51	الفيروزآبادي	القاموس المحيد	الجيل	بيرو ت	.	.	17
ص	52	الصايم محمد	قيمة العقل في الإسلام	الزهرا ء	القاهر ة	1988	.	24
ص	53	الصالح صبحي	مباحث في علوم القرآن	العلم للملاي ين	بيرو ت	1981	13	29
ق	54	قطب سيد	في ظلال القرآن	الشرو ق	بيرو ت	1986	12	42
ق	55	/	الإسلام ومشكلات الحضارة	الشرو ق	بيرو ت	1980	6	141
ق	56	/	المستقبل لهذا الدين	الشرو ق	بيرو ت	2005	16	135
ق	58	القرضاوي يوسف	الإسلام حضارة الغد	وهبة	القاهر ة	1995	1	5
ق	59	/	العقل والعلم في القرآن	الرسال ة	بيرو ت	2001	1	27 54
ق	60	القنوجي صديق	أبجد العلوم	الكتب العلمية	بيرو ت	1978	1	12
ر	61	الرازي	مختار الصحاح	المشار يع	بيرو ت	2004	1	10
ر	63	رشيد رضا	تفسير المنار	المعر فة	بيرو ت	.	2	162

ش	64	الشعراوي	عقيدة المسلم	التراث الإسلامي	القاهرة	1983	.	32
ش	65	/	الإسلام حداثة و...	العودة	بيروت	1982	.	156
ش	66	/	منهج الله في الكون	القلم	بيروت	2000	.	195
ش	68	الشرقاوي م عبد الله	الإيمان حقيقته وأصوله	الجيل	بيروت	1990	2	184
ش	69	شحاتة عبد الله	تفسير الآيات الكونية	الاعتصام	القاهرة	1977	.	93
ش	70	الشهرستاني	الملل والمنحل	المعرفة	بيروت	.	1	107
خ	71	خان وحيد الدين	الدين في مواجهة العلم	النفائس	بيروت	1981	.	135
غ	72	الغزالي أبو حامد	إحياء علوم الدين	المعرفة	بيروت	.	1	1151

المجلات والصحف

ح	البلد	عنوان المقال	كاتب المقال	المجلة	ع	ش	س	ص
74	أمريكا	**الطاقة المجهولة**	.	العلوم	.	12	2003	104
75	السعودية	**حقيقة الإيمان**	م . أمحزون	البيان	103	.	1996	8 65
76	الكويت		.	العربي ع	11	4	2006	161
77	مصر	**.**	.	المنار	.	ي	1901	27
78	العراق	**التأمل الروحي**	.	الصوت	34	2	2005	172
79	تركيا	**حدوث الكون**	أورخان محمد	حراء	1	10	2005	85
80	لندن	**التخلف التقني**		البيان	37	3	1991	.
81	لندن	**بين العقل والنقل**	ع التميمي	البيان	139	.	1999	129

المواقع الالكترونية والأقراص المدمجة

	المقال	الكاتب	الموقع
82	الكون ..	ز. النجار	*www.IslamOnline.net*
83	**الإشـــارات الكونية**	.	*www.maknoon.com*
84	خلق الكون		*www.55a.net*
85	الثـــــورة العلمية ..	خ جلبي	*http://www.iraker.dk/v/althawra.htm*
86	الزمن	حسب النبي	*www.55a.net*
87	مفهوم العلم	علي جمعة	*www.IslamOnline.net* http://www.islamonline.net/iol-rabic/dowalia/mafaheem-3.asp
88	جائزة نوبل		http://nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/1912/index.html
89	الموســـوعة البريطانية		http://www.worldcatlibraries.org/wcpa/ow/ca6fc22fedaa1e21.html 2005/02/07
90	موقع ناسا		http://www.jwst.nasa.gov/science/shape.htm1
91	الإسـلام فـي عصر العلم	شـركة مكـة للبرمجيات	قرص صوتي مرئي
92	خلق الكون	يحي هارون	قرص شريط علمي " قرص مدمج "
93	معجزة خلق الإنسان	الزنداني	قرص مدمج

فهرس الأعلام

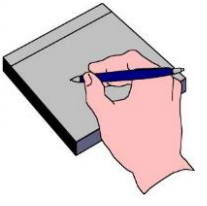

فهرس
الأعلام المسلمين

ابجد	الأعلام	الوفاة (الهجري)	صفحة
ا	ابن بري عبد الله	582	14
ا	ابن الشجري هبة الله	542	111
ا	الباجي أبو الوليد	474	15
ا	الإيجي عضد الدين	756	15
ب	الأشعري أبو موسى	403	44
ب	الباقلاني أبو بكر	403	15
ب	البصري أبو سعيد الحسن	110	53
ج	الجرجاني أبو الحسن علي	826	46
ق	قطب سـيد	1387	46
ر	الرازي فخر الدين	606	15
ع	العز بن عبد السلام	660	69
غ	الغزالي أبو حامد	505	15

ابجد	الأعلام		صفحة
ا	أندريه سبونفيل كومت	A.Comte Sponville	74
ا	أوجست كونت	Comte auguste	17
أ	ألكسيس كاريل	Alexis Kareel	137
ب	بول دافيز	Bole davies	74
ب	بول أرنست أدولف	Bole arenste adolve	209
ج	جورج بوليتزر	George davies	77
هـ	هرمان بوندي	H. Bomdi	78
ك	كارل ماركس	Karl marx	77
ك	كيت مور	Keit moor	130
م	ماكسيم رودنسون	Maxim rodinson	30
س	سومرست موم	w.Someret maigham	16
س	سكايما دينيس	Dennis sciama	80
ف	فرد هويل	Fred hoyle	78
ر	رسل تشارلز أدولف	Resle tcharles adolve	173
ر	رينيه ديكارت	R . Descartes	26

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 05

الفصل الأول : العلم والإيمان ، المفهوم والمضمون

مفهوم العلم 13

الفرق بين العلم والمعرفة : 20

مصدر العلم : 23

القرآن والعلم : 31

مفهوم الإيمان : 42

الفرق بين الإيمان والإسلام : 47

الإيمان يزيد وينقص : 52

الإيمان يَثْبُتُ بالوحي ويُثَبَّتُ بالعقل : 54

مصدر الإيمان : 56

الإيمان والقرآن : 64

الفصل الأول : الكون والإنسان بين العلم والإيمان

مفهوم الكون : 73

نشأة الكون والنظريات المادية : 75

نقد النظريات المادية : 80

النظرية النسبية ونظرية الانفجار العظيم : 82

القرآن ومنهج التفكر: 93

الكون والقرآن : 96

الإنسان في لغة العرب : 109

الإنسان في الفكر الفلسفي : 109

أصل الإنسان ونظرية التطور و الصدفة : 111

الإنسان و القرآن : 121

خلق الإنسان في القرآن : 124

الفصل الثالث : صياغة الإنسان بين العلم والإيمان

ألكسيس كاريل : 135

الإنسان ذلك المجهول : 137

علم الإنسان وعلم الإيمان : 141

تكوين الإنسان شاهد على العلاقة بين العلم والإيمان : 156

النشاط العقلي والنشاط الروحي : 170
صياغة الإنسان على ضوء العلم والإيمان : 190

خاتمة : 212
النتائج و التوصيات : 216
فهرسة الآيات : 221
فهرسة الآحاديث : 232
فهرسة المصادر والمراجع : 235
فهرسة المجلات والصحف : 240
فهرسة المواقع والأقراص المدمجة : 241
فهرسة الأعلام من المسلمين : 245
فهرسة الأعلام غير العرب : 246
فهرس المحتويات : 249